جامعـــــة ا زائـــــر

كليـــــة العلـــوم الإنسانيـــة و ا لإجتماعيـــة

قســـم التاريــــخ

الشيخ محمد رشيد رضا والدولة العثمانية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ تخصص حديث ومعاصر

إعداد الطالب: هزرشي بن جلول

إشراف الدكتور: يوسف مناصرية

السنـــــة ا امعيـــــــة

1424هـ - 1425هـ

2003م - 2004م

بسم الله
الرحمن الرحيم

إهــــــداء

إ   أمـي وأمـ

إ   أخي جلـول الذي علمـ   مع   ا ياة وزرع   نفسـي الأمل با ستقبل دائما .

إ   الذيـن لا زالـوا يقبضـون علـى ا مـــر   ليـا   الرمــــاد.

إ   الذين لا زالت تشـدهم غيمة الصبح إلـى فجـر عربـي جديـــــد.

وإ   كثـ   اجلهم اهـدي هـذا العمــل ا تواضـــــــــع

مقدمة

بلغت الدولة العثمانية ـاية القرن التاسع عشر مرحلة متقدمة من التخلف الاقتصادي، وا ـمود الثقا ، والضعف العسكري، وأصيبت أجهز ا ومؤسسا ا با لل والا ـطاط، وأصبحت تعا من شيخوخة مبكرة، وعقم حضاري واضح.وغدت غ قادرة على مواجهة التحديات ا فروضة عليها.وعلى امتداد تلك الفترة ـحور سعي واهتمام بعض ا تنورين وا ـصلح العرب والأتراك،وبكل اختلافا م وتناقضا م الفكرية والدينية البحث عن أسباب ا لل، ومظاهر الا ـطاط الدولة وسبل العلاج الناجع،و كيفية درء الأخطار،و ـاوز التحديات ال راحت ـدد الأقطار العربية والإسلامية وجودها التار ي وكينونتها ا ـضارية.وقد حدث كل ذلك نتيجة اختلال موازين القوى ب العا الإسلامي الذي أصيبت بناه با ـمود والتكلس، والعا الغر الذي بلغ آنذاك مرحلة متقدمة من الرقي العلمي، والتطور العسكري، والازدهار الاقتصادي كنتيجة ا عرفه من ـضة ثقافية، وثورة صناعية دفعته فيما بعد إ التوسع الاستعماري ثا على ا واد الأولية، والأسواق ا ارجية، وا واقع الإستراتيجية.

والدارس لتلك الفترة ـكن له أن يرصد ا ـاه بارزين عبرا عن صحوة أو يقظة ـاه ما كان يتعرض له العا الإسلامي: اما الا ـاه الأول فهو دي مثلته حركات دينية كالوهابية، والسنوسية، وا هدية، اعتقدت أن ا ـروج من ا أزق ـر حتما ع العودة إ الإسلام،وس ة السلف الصا ، ونبذ ا ـرافات والبدع.وقد مثل هذا الا ـاه ـموعة من ا ـصلح كجمال الدين الأفغا و ـمد عبده، ،ورشيد رضا،والذين شكلت مواقفهم رد فعل متوازن للتحدي ا زدوج الذي كان العا الإسلامي يواجهه ألا وهو تدهور ا تمعات الإسلامية من جهة،وا يمنة العسكرية ا تزايدة ال يفرضها الغرب ا سيحي من جهة أخرى.و ـكن اختزال مقولات هذا التيار وأطروحاته فكرة ا ـامعة الإسلامية ال تعد من أك ـاولات إنقاذ الدولة العثمانية باعتبارها دعوة للتضامن والتكاتف.أما الا ـاه الثا فهو علما يسعى إ ـديث بنية الدولة وا تمعات العربية والإسلامية من خلال الدعوة إ الاستفادة من ا ازات ا ـضارة الغربية،وتب مفاهيمها ومعاي ها،مع كل ما يتصل بذلك من دعوة إ التغريب والعلمنة،وما يترتب عنها من تقويض و ـد قومات استقلال ا تمعات الإسلامية،وطمس معا ها التار ية،وتشويه هويتها الثقافية.

1- دوافع اختيار ا وضوع:

يعود اختياري لدراسة موضوع الشيخ مد رشيد رضا والدولة العثمانية لاهتمامي به منذ فترة مبكرة من دراس ا امعية.حيث انصب اهتمامي على كل ما يتعلق با ركة الإصلاحية العا الإسلامي العصر ا ديث.وقد وضعت للبحث إطارا ددا بالزمان وا كان. فالدولة العثمانية هي إطار البحث، لأ ا مركز أحداثه،والفترة ا متدة ب عام 1898 إ غاية عام 1924 هي إطاره الزما .ذلك أن التاريخ الأول يش إ تأسيس لة ا نار ال أصبحت مدونة أفكار الشيخ رشيد رضا، ومتضمنة شروعه التربوي والسياسي. والتاريخ الثا يرتبط دثٍ بارزٍ هز العا الإسلامي،ويتمثل إلغاء ا لافة الإسلامية وما ترتب عنها من تداعيات. وبعد أن اتسعت مطالعا للموضوع صممت على الس فيه موعة من الأسباب كن إبرازها على النحو التا :

1- أن جل الدراسات ال أرخت للحركة الإصلاحية، أو تعرضت ا سياقات أخرى قللت كث ا من شأن رشيد رضا ومكانته الفكرية والسياسية، ودوره الإصلاحي.و ض باهتمام كب .فلم يكن لدى البعض سوى ناشر لأفكار الأفغا ، أو شارح ومؤرخ ياة مد عبده لدى البعض الآخر.

2- أن رشيد رضا تابع ا يار آخر دولة إسلامية تاريخ ا سلم كانت سد نظريا وحد م ا عنوية.وكان شاهداً على تداعيها وضعفها أمام الغزو الأور ،والانقسامات الداخلية،والصراعات الفكرية ال كانت تغذيها الإرساليات التبش ية،و ط التعليم ا ديث.

3- أغلب الدراسات ال تناولت الشيخ ركزت على ا انب اللغوي والدي ،و تنل مسا اته،أو مشروعه السياسي العناية الكافية من ا ؤرخ العرب الذين أرخوا لتلك الفترة، ورصدوا مراحل تطورها.

4- أنه لا كن نظري فهم وكتابة تاريخ العرب وا سلم منذ اية القرن التاسع عشر وح الثلث الأول من القرن العشرين فهما دقيقا دون العودة إ دراسة حياته، والوقوف على الدور الإصلاحي الذي قام به.يضاف إ ذلك أنه رجل عاش عصره، واثر فيه، واتصل بأغلب أعلامه وأحداثه، وكتب عنه، وخلف لنا تراثا فكريا ضخما عله من أبرز من وثق، وأرخ، ودون أحداث عصره. وبالتا فإنه يكن شخصا

عاديا، بل كانت له إسهاماته ومواقفه.

5- لأنه ثل أبرز أ وذج لفهم العلاقة ب العروبة والإسلام،أو ب التيارين العرو والإسلامي الفكر السياسي العر .وأنه لا رسالة للعروبة حضاريا من دون الإسلام،وأنه من غ الممكن إعادة إحياء د المسلم واسترجاع دورهم التار ي،وثقلهم ا ضاري إلا بتو العرب زمام المسؤولية والقيادة.

2- الإشكاليــــة:

يعت هذا البحث مسا ة متواضعة لإبراز جانب من الفكر السياسي لشخصية إصلاحية بارزة لعبت دوراً كب اً تلك الفترة كمراقب، وصانع للأحداث.كما يشكل دراسة رحلة هامة من المراحل التار ية، والفكرية، والسياسية ال مر ا العا الإسلامي. وهو مسا ة إبراز حجم التحديات ا ارجية، والصراعات، والتناقضات الداخلية.وي ز من جهة أخرى دور رشيد رضا الدعوة إ ا وار ب التيارات المتصارعة داخل الأمة آنذاك. وهو أمر بات اليوم ضرورة تقتضيها صعوبة المرحلة ال تعيشها،خاصة ب القوى الإسلامية، والقوى القومية،وضرورة سد الفجوة بينهما،و اوز القطيعة والصراع المفتعل .

أما الإشكالية ال حاولت معا تها هذا البحث فهي متأتية نظري أن الشيخ أحسن من عبر عن ثنائية مازالت تشغل الساحة السياسية العربية، وتث جدلاً ب المؤرخ .فثمة فئة تدعي الانتساب للإسلام ورغم ذلك تتنكر للعروبة وتعت ها حركة قامت لضرب الإسلام وتقويض دعائمه.وهناك فئة ادعت الإ ان بالعروبة، ولكنها حاولت فصلها عن روحها المتمثلة الإسلام.وقد دفع ذلك بالبعض إ ترديد مقولة مفادها أن ا ركة القومية، أو العرب هم المسؤولون تار يا عن تقويض وا يار ا لافة الإسلامية ال جسد ا الدولة العثمانية.وبالتا يتهم العرب دمة ا خططات الاستعماريــة. فما صحة هذه المقولة؟وهل ة تناقض ب العروبة والإسلام فكر رشيد رضا من خلال موقفه من الدولة العثمانية؟وما مقدار مسؤولية العرب ا يار الدولة العثمانية من خلال نضال رشيد رضا،وكتاباته السياسية؟وهل شكل نظام ا لافة الصيغة الوحيدة لنظام ا كم الإسلام؟أم أن مبادئ الدين تتسع لصيغ متعددة تتغ بتغ الأزمان والظروف،ولكنها تبقى متفظة بقواعدها الإسلامية؟وهل كان ا يار الدولة العثمانية نتيجة ملابسات ا رب العا ية الأو ،أم كان له مقدمات وأسباب أعمق،وأقدم من ا رب وما رافقها من أحداث؟.

3- صعوبـات البحـث:

تكن معا ة هذا ا وضوع بالأمر السهل.فقد واجهت عدة صعوبات يرتبط بعضها بظروف العمل، ويرجع بعضها الآخر إ صعوبة العثور على ا صادر. ا اضطر إ البحث عنها بالسفر إ سوريا ولبنان،أو ا صول عليها بواسطة ا راسلة.وقد ملت لتحقيق تلك الغاية أعباء مالية ثقيلة.ذلك أن ا مع ب اكتساب العلم،وتوف ا ادة أمر عس .يضاف إ ذلك أن ا صدر الأساس الذي اعتمدت عليه بشكل كامل، واستقيت منه أفكار رشيد رضا الذي ي ز مشروعه السياسي وهو لة ا نار تكن كل أعداده متوفرة، وبعضها الآخر كان زقا، وكتابته غ واضحة، وبالتا صعبة القراءة.كما أن تصوير ا قالات والنصوص ال كتبها رشيد رضا كان سيتلفها.

4- مصادر البحث:

عت مادة ا وضوع من خلال الاطلاع على كل ما توفر من مصادر أرخت،أو تناولت الفترة ال عاش فيها الشيخ.فقد اعتمدت على ما كتبه ودونه وبالدرجة الأو لة ا نار،ال هيأت مادة وف ة لأ ا تضمنت أغلب أفكار الرجل،ومواقفه من تلف قضايا عصره السياسية،والدينية،والاقتصادية،والاجتماعية،وكانت ا دونة الأساسية ختلف أفكاره.كما اطلعت على مؤلفه "تاريخ الإمام الأستاذ مد عبده "،الذي ألفه بعد وفاة هذا الأخ .وبقدر ما كان تار ا ياة هذا ا صلح الكب ،فإنه كان تأر ا لتلك الفترة بكل جزئيا ا وتفاصيلها.ولذلك اعت ه بعض ا ؤرخ أهم مصدر لتاريخ الفكر العر أواخر القرن التاسع عشر.أما كتابه "ا نار والأزهر " فقد وثق فيه الشيخ س ته الذاتية،وحدد من خلاله منطلقاته الفكرية والسياسية.أما كتابه "ا لافة " فقد تناول فيه ا لافة من حيث التعريف ا وإبراز أحكامها الشرعية، وشروط اختيار ا ليفة، ودور أهل ا ل والعقد، ومقاصد الناس ا لافة، وعلاقة العرب بالترك.

هذه ا صادر الأربعة تعت مراجع أساسية لأي باحث يتو مهمة كتابة تاريخ تلك الفترة بكل ما مله من ا ازات وإخفاقات.كما اعتمدت على كتابات بعض رفاقه مثل: "مذكرات ب الدين ا طيب "ال نشرت لة الثقافة، واحتوت على معلومات هامة

عن نشاط رشيد رضا السياسي.واطلعت من جهة أخرى على مصدرين هام لصديقه شكيب ارسلان و ا: _'' تاريخ الدولة العثمانية'' و''السيد مد رشيد رضا أو إخاء أربع سنة''. و توي ا صدران على معلومات، وأفكار هامة حول س ة الشيخ الذاتية،ومواقفه السياسية ،وتفك ه الدي .أما الدراسات ا طولة ال تناولت الشيخ واطلعت عليها فقد ثلت : دراسة الشرباصي ''رشيد رضا صاحب ا نار عصره وحياته ومصادر ثقافته''،و العدوي ''رشيد رضا الإمام ا اهد''، و الشوابكة '' مد رشيد رضا دوره ا ياة الفكرية والسياسية''،وا راكشـي ''تفك رشيد رضا من خلال لة ا نـار1898-1935 ''. وللأمانة التار ية فقد استفدت استفادة كب ة من هذه الدراسات حيث وجهت تفك ي، وساعدت على وضع تصور للموضوع وضبط ا طة، بالنظر ا احتوت عليه من معلومات قيمة، وأفكار هامة.ورغم ما تضمنته من فوائد جليلة،فإن ما يؤاخذ على البعض منها خاصة الكتاب الأول أ ا كانت دراسات شاملة طغى عليها الاهتمام بتفك الرجل، ومشاريعه الدينية أكثر من مواقفه السياسية.و يزت بالسرد التار ي،وغلب عليها ا دح، والإطراء واقفه و يع نشاطاته،دون التزام بالنقد،أو با قيقة التار ية ا ردة،وا وضوعية،وال اهة ال يفترضها البحث العلمي ا اد.

5- ا نهـ ـج:

حاولت هذه الدراسة الاعتماد على ا نهج التار ي، وإستخدام التحليل والنقد عرض الوقائع التار ية .وقد حاولت أن اطبق ذلك على ا صادر وا راجع ال استخدمتها إ از هذه الرسالة، خاصة وأن ا هتم يتوقفوا عند رأي واحد عند دراستهم وقف رشيد رضا من الدولة العثمانية .

6- توى البحث:

وعلى ضوء دراس وقف رشيد رضا من الدولة العثمانية رأيت تقسيم ا وضوع إ مقدمة،و سة فصول،وخا ة وملاحق وفهرس.فأما ا قدمة فقد خصصتها للتعريف با وضوع من حيث أسباب، ودوافع اختياره وأ يته،وطرح الأشكال و ديد الإطار الزما وا كا للموضوع م زا الصعوبات، وا شاكل ال اعترضت ، ومصادر مادة البحث،وا نهج الذي اتبعته.

وقد تضمن الفصل التمهيدي ة عن عصر الشيخ، وما يز به من أحداث داخلية،وما رافقه من ديات خارجية، وأبرزت أهم ا طات التار ية حياته. واشتمل الفصل الأول على مطالبته لافة عثمانية على أساس دستوري من خلال إبراز موقفه من السلطان عبد ا ميد الثا ، وتأسيسه معية الشورى العثمانية، وموقفه من سياسة الا ادي .وتطرقت الفصل الثا لدعوته للجامعة الإسلامية ومفهومه ا،وأطرافها،والعقبات ال تعترضها.كما تناولت دعوته إ اللامركزية الإدارية،وموقفه من ا ؤ ر العر الأول الذي انعقد بباريس عام 1913.وتتبعت الفصل الثالث دعوته للوحدة العربية من خلال إبراز مفهومه للعروبة،ودوره ا معيات السياسية العربية،وموقفه من ثورة الشريف حس ،ودعوته إ مواجهة ا ركة الصهيونية منذ وقت مبكر.وعرضت الفصل الرابع موقفه من الكماليي وسياستهم، ومطالبته بضرورة إحياء ا لافة الإسلامية كمخرج من ا أزق الذي أصبح يعا منه العا الإسلامي بعد سقوط الدولة العثمانية.

وتتمة ذه الدراسة فقد أ قت ا ثبتاً با لاحق وا صادر وا راجع العربية والأجنبية، وا قالات ا ختلفة ال اعتمدت عليها هذه الدراسة،وبفهرس للإعلام، وللأماكن،وآخر للأحزاب ، وا معيات السياسية، وا رائد والصحف، وفهرس للمواضيع.

وإن ، إذ أتقدم ذا البحث الذي بذلت فيه هوداً متواضعاً ا أن اكون قد وفقت وضع لبنة صرح البحث العلمي، متحريا ا وضوعية قدر ا ستطاع من خلال إبراز الإ ابيات وعدم التغاضي عن السلبيات. وما قدمته ليس بالضرورة عملا متكاملا، ولكنه اولة متواضعة لإثراء الدراسات ا خصصة ذه الشخصية الإصلاحية . وما توصلنا إليه من نتائج لا يعدو أن يكون مسا ة دودة، وبداية ث علمي لا يزال تاج إ هودات كب ة،و كن أن يصل فيه الباحثون إ نتائج تلفة إعتمادا على ما يتوفر من وثائق، مع أن حاولت الإلتزام بدراسة جادة ت ز مواقف، وآراء الشيخ الكث من القضايا العربية والاسلامية.

و الأخ لا يسع إلا أن اتقدم زيل الشكر إ أستاذي الدكتور: يوسف مناصرية ، الذي بذل جهداً كب اً إشرافه على هذه الرسالة، و ا منح من وقته الثم للرد على تساؤلا وإستفسارا ،وعلى توجيهاته الصائبة ال هونت علي الكث من الصعوبات ال واجهت .
كما أشكر كل الذين ساعدو من قريب أو بعيد إ از هذا العمل ا تواضع،وأخص بالذكر منهم الأستاذ مصطفى نويصر،و يع عمال ا كتبة ا امعية والوطنية.

..

الفصـــــــل التمهيـــــــدي.

محمد رشيد رضا, عصره وحياته(1865م-1935م)

1- عصر الشيخ رشيد رضا:

أ- الوضع السياسي:

ولد الشيخ مد رشيد رضا منتصف ستينيات القرن التاسـع عـشر ، وتـو منتصف ثلاثينيات القرن العشرين. وقد عرفت هذه السبعون عاما ولات عديدة ، وشهدت تغ ات كث ة طبعت تاريخ العرب وا سلم ا ديث وا عاصر بطابعها ا اص ، وسا ت رسم معا ه و ديد ا اهاته السياسية وا ضارية وا غرافية .

فما هي أبرز تلك التحولات والتغ ات ؟ وما هي انعكاسـا ا على الوطن العـر والعـا الإسلامي ؟ وفيم ثل موقف رشيد رضا منها ؟ .

إن ا ستقرئ لتاريخ تلك الفترة ، وا تتبع لأبرز التطورات ال عرفتها يدرك أنه ما إن دخـل العا الإسلامي القرن التاسع عشر ا يلادي حـ كانت علامات الضعف وأمارات الا ـلال قد بدأت تتوضح ، وبأن الدولة العثمانية ال امتدت حـ احتلت رقعة جغرافية واسـعة القارات الثلاث أصبحت تعا من الفساد، وتشكو من التأخر، وأمراض عصر الا طـاط ، وتتهددها مطامع الدول الاستعمارية ، حـ اصطلح على تسميتها برجل أوربا ا ريض[1] .

و كن القول أن الدولة العثمانية وصلت إ ما ع عنه ابن خلدون بالطور ا امس ، أي طور الإسراف والتبذير حيث : ((يكون صاحب الدولة هذا الطور متلفا ا ع أولوه سـبيل الشهوات وا لاذ والكرم على بطانته و السه ، واصطناع أخدان السوء وخـضراء الـدمن ، وتقليدهم عظيمات الأمور ال لا يستقلون ملها ، ولا يعرفون مايأتون وما يـذرون منـها ، مستفسدا لكبار الأولياء من قومه ، صنائع سلفه ، حـ يضطغنوا عليه ، ويتخاذلوا عن نـصرته مضيعا من جنده ا انفق من أعطيا م شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده ، فيكـون ربا ا كان سلفه يؤسسون ، وهادما ا كان يبنون ،و هذا الطور صل طبيعة ا رم ويستو عليها ا رض ا زمن **))[2].**

---

[1] - أول من أطلق عبارة " رجل أوربا المريض" هو نيقولا الأول قيصر روسيا في عام 1844، ثم أعاد طرحها من جديد في عام 1853،أي قبل نشوب حرب القرم.

[2] - عبد الرحمن، ابن خلدون ، **مقدمة أبن خلدون** ، تحقيق درويش جويدي ، المكتبـة العـصرية للطباعـة والنشر ، بيروت، 2002 ، ص : 164،165.

وقد ربط أحد ا ؤرخ ضعف وا طاط الدولة العثمانية بالعوامل التالية :

1- زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكب ة ، واتساع دائرة الترف .

2- تقاعس السلاط بعد سليمان القـانو عـن قيـادة ا ـروب والبقـاء قصورهم.ولذلك أصبح أمر النظر كافة أمور الدولة من اختصاص الصدر الأعظم بـدل السلطان الأمر الذي فتح ا ال للوزراء خاصة أولئك الذين أسلموا، أو تظاهروا بالإسلام من النصارى، أو من غلمان وخدم السلاط للتدخل الشؤون السياسية[1].

إذا كانت هذه الأسباب ال ذكرها مد فريد بك وجيهة ، فإن بعض ا ـؤرخ يـرون الامتيازات الأجنبية أك سبب ساهم تقويض أركان الدولة العثمانية وذلـك بـالنظر إ ا قوق ال أصبح يتمتع ا الأجانب من جهة ، وما ترتب عنها من عواقب وخيمة فيما بعـد من جهة أخرى . حيث غدت مطية للتدخل شؤون الدولة الداخليـة، وبالتـا ا ـسا ة ا باشرة صياغة وتشكيل قرارها السياسي والاقتصادي[2] ، استعمارها اقتصاديا. والواقـع أن العوامل والأسباب ال سا ت إضعاف الدولة العثمانية، وا طاطها متعددة ومتنوعـة. فمركزية ا كم، وسلطة القرار ظلت بيد السلطان الذي كان ثل حجر الزاوية الدولـة، والإدارة اضطربت وأصا ا ا لل، ونظام الضرائب فقد فاعليته ونزاهتـه، وا ـيش فقـد انضباطه، والعلماء أصبحوا يشكلون فئة خاصة تبحث عـن تقويـة نفوذهـا الاجتمـاعي والسياسي. كما كانت الإم اطورية تاز أزمة اقتصادية خانقة ازدادت خطور ا بعد فقـدان الدولة العثمانية سيطر ا على البحار الشرقية كنتيجة طبيعية للكشوفات ا غرافيـة ، الـ أتاحت للا تغالي فرصة التحكم بطرق التجارة الشرقية ، و ول ا ـط التجـاري إ رأس الرجاء الصا .

وكان لاكتشاف أمريكا آثارا وخيمة على الاقتصاد العثما ، حيث ولت ـارة الـذهب والفضة إ يد الأوربي [3] .

---

[1] - محمد ،فريد بك ، **تاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة** ، تحقيـق إحـسان حقـي ، ط1 ، دار النفـائس ، بيروت،1981 ، ص : 252.

[2] - قيس جواد، العزاوي ، **الدولة العثمانية ، قراءة جديدة لعوامل الانحطاط** ، ط 2 ، الدار العربية للعلـوم ، بيروت،2003، ص:26.

[3] - ألبرت ،حوراني ، **الفكر العربي في عصر النهضة ، 1798 - 1939** ، ترجمة كريم عزقـول ، نوفـل ، 1997، بيروت، ص : 46

وعوض البحث عن مواطن ا لل ، وتشخيص الداء ، و ديد نقاط الضعف الأساسية قصد مواجهة التحديات ا ارجية وا شاكل الداخلية ، أ السلاط إ مضاعفة الإنفاق على الانكشارية ، وتقوية الأسطول البحري، ومضاعفة الضرائب على السكان .

وقد أدت هذه السياسة بالإضافة إ الأزمة الاقتصادية إ إثارة الاضطرابات الداخلية وإضعاف النسيج الداخلي للدولة . وقد تزامن هذا الوضع ا تردي اقتصاديا، وا نهار اجتماعيا، وغ ا ستقر سياسيا الذي كانت تعا منه الدولة اية القرن التاسع عشر مع بداية اختلال واضح موازين القوى.فقد حققت أوربا تطوراً كب اً بفضل الثورة الصناعية ال عرفتها. وحدث تطور حركة الرأ الية العا ية، ال ولت إ حركة استعمارية كان هدفها الأساسي استغلال ا واد الأولية، والبحث عن أسواق خارجية لتصريف فائض إنتاجها، وتوط سكا ا.وقد عرف ذلك با سألة الشرقية ال ارتبطت حاولات الدول الأوربية ا تحالفة مع الصهيونية العا ية زئة الدولة العثمانية ووراثة أملاكها. وقد تركز الصراع والتنافس ب ثلاث دول بالدرجة الأو : بريطانيا لتأم طرق مواصلا ا إ الشرق الأقصى وا ند خصوصا ، وروسيا القيصرية ال أرادت أن د ا منفذاً ا ياه الدافئة ، وفرنسا ال أخذت على عاتقها مهمة اية ا سيحي الكاثوليك[1].

وأمام هذا ا طر الداهم ، والأخطار والتحديات الكب ة ال أصبحت دق بالعا الإسلامي شعر ا فكرون، وا ؤرخون، ورجال الدولة بأزمة داخلية خط ة . وكان ذلك سبباً ارتفاع الأصوات ا طالبة بضرورة القيام ركة إصلاح تستهدف بالدرجة الأو علاج الأزمة، و اوز حالة التخلف، وإصلاح ا لل قصد اللحاق بركب الدول الأوربية ال كانت قد خطت خطوات معت ة ميدان التطور الاقتصادي، والعلمي، والعسكري. والدارس ركة الإصلاح الدولة العثمانية ، وا تتبع لأطوارها ، وا طلع على الظروف ال أحاطت ا كنه تقسيمها إ ثلاث مراحل أساسية : مرحلة التجديد الذا و الإصلاح الداخلي ال كرسها الشعور بأزمة داخلية اتضحت معا ها الرئيسية بعد أن انتهت فترة ا د ، وأعقبتها مرحلة بداية الأفول. أما ا رحلة الثانية فقد اعتمدت الإصلاح وفق النموذج الأور . تأ ا رحلة الثالثة

---

1 - السيد رجب ،حراز، **الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840 – 1909** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مصر ،(د.ت) ص : 9.أنظر كذلك:اسماعيل أحمد،ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي**،ط2،مكتبة العبيكان،الرياض،1998،ص،93.واحمد عبد الرحيم،مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**،ط3،دار الشروق،القاهرة،2003،ص،224.

ال كانت مفروضة من قبل الأوربي و يت رحلة التنظيمات[1].

كانت ا اولة الأو عبارة عن تقارير قدمها مفكرو الأمة للسلاط ، وكانوا يروم ون م ن خلا ا تقد النصح والتوجيه بعد أن أصبحت ا اجة ا لحة للإصلاح هي ال شغل ال شاغل هاز ا كم. وقد كان القاسم ا شترك ب هذه الدعوات الإصلاحية هو التركي ز عل ى أن أسباب الضعف الذي تعا منها الدولة تكمن الرشوة والفساد ، وغياب ال سلاط ع ن أعمال ا كومة ، وبذخ الطبقة ا اكمة ، واستشراء ا سوبية . وقد كانت القاع دة ال استندت إليها هذه الدعوات الإصلاحية هي استلهام الإسلام كعامل أساسي يعي د للدول ة قو ا[2].

ويبدو أن الاستجابة ذه الدعوات تكن مستوى التحديات ا فروضة ول ذلك ف شلت وأخفقت إيقاف عجلة التدهور والا طاط الدولة العثمانية . وكنتيج ة ل ذلك ب دأ ا فكرون، ورجال الدولة، والسلطان يطرحون أسئلة مص ية كن اختصارها سؤال واحد: كيف السبيل لإجتياز امتحان الإصلاح والتحديث؟. ولذلك أصبح الانفت اح عل ى أورب ا والاستفادة من إ ازا ا فكرة ثابتة لدى ا تنورين العثماني والسلاط والوزراء عل ى ح د سواء[3] . وحسب ا صادر التار ية فإن حركة الإصلاح رك زت بالدرج ة عل ى ا ان ب العسكري نظرا لطبيعة نظام ا كم العثما ، وتأخر الفن العسكري ، ولأن ا يش كان ا ور الرئيس الذي ترتكز عليه الدولة منذ البداية، وكان أحد مظاهر ضعفها فيما بعد . وقد ك ان الإصلاح يتضمن الأساس تغيير نظام الانكشارية الذي كان ثل خط الدفاع الأول ع ن الدولة أوج قو ا وازدهارها ، أصبح معول ا دم ا رحلة ا ت أخرة .كم ا أص بح للانكشارية اليد الطو قتل الصدور العظام والوزراء وعزل ال سلاط .ه ذا ال ضعف العسكري يفقد الدولة العثمانية هيبتها ا ارجية فقط، بل ساهم زرع الفوض ى وع دم الاستقرار الداخل ي، وشجع الولاة على العصيان ، وبدأوا يفكرون الاس تقلال عن ها، وامتنعوا عن دفع الضرائب ا ساهم تعميق الأزمة ا الية والاقتصادية.

---

[1] - العزاوي ، **مرجع سابق ،** ص : 32 .

[2] - محمد ،حرب، **الدولة العثمانية**، شركة سفير، مصر، (د.ت)، ص: 54.

[3] - خالد ،زيادة، **اكتشاف التقدم الأوربي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981 ، ص: 30.

وتؤكد الدراسات والأ اث أن الإصلاح كان مفروضا من ا ارج رغم ا اولات الداخلية . ولذلك يز بالسعي للأخذ بأسبـاب الإصلاح على ا بادئ الأوربية ، وذلك ماساهم إفشاله وفتح ا ال لدخـول حركة الإصلاح مرحلتها الثالثـة ا عـروفة بالتنظيمـات وال تعرف بأ ا : ((حركة ثقافية وإصلاحية حدثت الدولة العثمانية النصف الأول من القرن (19) ا يلادي، للتقارب ب العا الإسلامي وا سيحي، و لت مناحي ا ياة كافة الديار العثمانية على حساب ا ضارة الإسلامية ، وانتقلت سلطة السلاط أي الصدر الأعظم والوزراء ، وتراجعت مشيخة الإسلام إ درجة أقل من حيث الاعتبار والنفوذ شل عملها **))[1].**

و كن ديد ا عا الرئيسية ركة التنظيمات ثلاث نقاط رئيسة:

1- الاقتباس من الغرب فيما يتعلق بتسليحه.

2- الا اه با تمع العثما و التشكيل العلما ، وا روج عن التنظيم الإسـلامي للدولـة وا تمع.

3- الا اه و مركزية السلطة القسطنطينية والولايات[2].

وقد استندت حركة التنظيمات إ ثلاثة قوان صدرت كلها ظـروف بالغـة ا طـورة، وكانت عمومها استجابة للضغوط الأوربية. هذه القوان هي خط شريف كلخانة الـذي صدر 3 نوفم 1839 والذي ألغى النظام الضرائ القد ، وأعلن ا ساواة بـ يـع رعايا الدولة . و 18 فيفري 1856 صدر خط ايون حيث أقر السلطان كافة ا بادئ ال وردت خط كلخانة ، وأكد على مبدأ ا ساواة القانونية وا دنية لكافة رعايا الدولة وحقهم خدمتها ، وإنشاء ا اكم ا ختلطة، وإصلاح السجون وا الس البلدية .و عـام 1876 صدر أول دستور للدولة العثمانية ، تضمن ا ساواة ب الرعايا العثماني و ايـة حريـا م ، ونص على إنشاء لس تشريعي من الأعيان والنواب ،وعلى إنـشاء ـالس للولايـات والأقضية والنواحي[3].

---

1 - حرب، **مرجع سابق،** ص: 59

2 - محمد ،أنيس ، **الدولة العثمانية والشرق العربـي ، 1514 - 1914** ، دار تكنو برنت للطباعـة ، 1985 القاهرة،، ص: 213.

3 - علي ،المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، 1798- 1914**، ط2، الأهلية للنـشر والتوزيع، بيروت، 1978 ، ص ص: 21، 22.

وفد ارتبط إقرار الدستور بشخصيات بارزة ذات ميول لي الية يأ مقدمتها مدحت باشا[1] الذي كان يعتقد أن العلاج الوحيد لإيقاف التدهور، والا طاط، و اية الدولة من الا يـار يكمن تقييـد السلطان وكبح احـه، وإعلان ا ساواة ب تلف الأجناس البـشريـة ا كونة للدولة ،وإنشاء لس وط وتطبيق اللامركزية[2].

لكن هل إعلان الدستور كان يع اوز حالة الاستبداد ال طبعت نظام ا كم العثما ؟ أم كان استجابة آنية للضغوط ا ارجية والتهديدات الداخلية ؟ هل اقتنع به الأحرار العثمانيون الذين تزعموا حركة ا طالبة بتقييد سلطة السلاط ، ونادوا با ياة الدستورية منـذ النـصف الثا من القرن التاسع عشر ؟ .

يرى جورج انطونيوس أن إعلان الدستور جاء نتيجة عامل : و الوعي القـومي، وطغيـان ا كم وقساوته ، ولذلك أصدر السلطان الدستور لامتصاص الغضب الـداخلي ، ولتمويـه الأوربي [3]. وحسب تقديري فإن كل ما ارتبط بكفاح ا ثقف الأتراك الذين اخذوا علـى عاتقهم العمل على ا د من نفوذ السلاط وإقامة ا ياة الدستورية . وقد لعبت تركيا الفتـاة دوراً بارزاً هذا ا ال من خلال اربة الاستبداد وا كم ا طلق.

وإذا كانت هذه ا ركة قد ظهرت البداية على شكل حركة إحياء أد وثقا فإ ا سرعان ما ولت إ العمل السياسي بعد هجرة زعمائها إ أوربا. وقد مهد ذلك فيما بعد لظهـور ا ركة الطورانية ذات البعد القومي ا تطرف . فالعامل الداخلي هنا يطرح نفسه بشدة وكان يراد من ذلك ة وتقوية ا بهة الداخلية، والتنفيس عن حالة الاحتقان الداخلي ،وتفادي أي اولة انفصالية. أما العامل ا ارجي فقد ارتبط بالتصدي اولات الـدول الأوربيـة زئـة تلكات الدولة العثمانية ، ووضع حد للتدخل شؤو ا الداخلية من خلال الامتيازات ال حصلت عليها ، وع سفرائها وقناصلها الذين ولوا إ شبه حكام فعلي .

---

[1] - مدحت باشا: (1822 – 1883) سياسي و مصلح عثماني, ارتبط اسمه بمقاومة الاستبداد. لعـب دورا كبيرا في إ جبار السلطان عبد الحميد على إصدار دستور 1876 , وكان ذلك سببا في محا كمته و نفيه إلـى الطائف , ثم قتله فيما بعد . راجع : عبد المتعال، الصعيدي , **المجددون في الإسلام مـن القـرن الأول إلـى القر ن الرابع عشر** , دار الحمامي للطباعة (د.ت) ص ص، 486 ، 489 .

[2] - حراز ، **مرجع سابق** ، ص : 51.

[3] - جورج، انطونيوس ، **يقظة العرب**، ط3 , ترجمة ناصر الدين الأسد و إحسان حقي، دار العلم للملايـين بيروت،(د.ت)، ص:130.

وإذا كان ما أقدم عليه السلطان عبد ا ميد الثا من إجراءات تؤسس نظريا لنظـام حكـم يعتمد مبدأ ا رية، وا ساواة ،واللامركزية ، ويلغي الاستبداد، فإنه سرعان ما كـشف عـن وجهه ا قيقي ، وبدأ تطبيق سياسة ذات طابع استبدادي مركزي قامت على التجـسس، والاضطهاد والرشوة، والرقابة، والاعتقال، والنفي، والإبعاد مستغلا ذلك إعلان ا رب من قبل روسيا على الدولة العثمانية شهر افر يل 1877. ومن أبرز معا تلك السياسة عـزل مدحت باشا عن الصدارة العظمى ونفيه، وفض لس ا بعوثان قبل أن يـتم دورة انعقـاده الثانية. و يدع ا لس للاجتماع دة ثلاث عاما تفتح خلا ا قاعته ولو مرة واحدة حـ لأجل تصليح زجاج الشبابيك ال كانت تتكسر الواحدة بعد الأخرى ت تـأث الريـاح والعواصف أوقات تلفة[1].و ت تأث ا وف من الغزو ا ارجي، والتحرك الداخلي مارس السلطان عبد ا ميد الثا حكماً استبدادياً مطلقاً ، وقاوم كافة الا اهات التحررية ا طالبـة بعودة الدستور ، وكان ذلك سببا ظهور حركات ا عارضة كمه ال تعرف ركة تركيا الفتاة كما سبقت الإشارة إليها، وال وإن كـان ظهورهـا يرجـع إ عهـد الـسلطان عبد العزيز، فإ ا أصبحت أكثر تنظيما بداية من عام 1889 عندما ولت إ عيـة سـرية عرفت باسم (الا اد العثما) . وإذا كان هدفها الأساسي هو الإطاحة بنظـام الـسلطان عبد ا ميد فإ ا كانت تسعى نفس الوقت للمحافظة على كيان الإم اطوريـة، و اربـة الاستبداد العثما ، وإعادة الدستور للبلاد[2]. و يقتصر نشاطها على الداخل بـل امتـد إ ا ارج خاصة باريس عن طريق التنسيق مع أحرار الأتراك هناك الذين كان مقدمتـهم خليل غا ، وا د رضا بك، ومراد بك الذين دفعهم الإحساس بوطأة الاستبداد إ العمـل سويا ت اسم (عية الا اد والترقي) ال حددت أهدافها تقوية الدولة وعثمنـة القوميات ، ومعارضة التدخلات الأجنبية[3].وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأتراك فماذا كان واقع الولايات العربية ؟ وهل تأثر العرب بالتحولات السريعة والأفكار القادمة من أوروبـا ؟ وا أي مدى أثرت على علاقتهم بالدولة العثمانية ؟.

لقد شهـد الوطن العر النصف الثا من القرن التاسع عشر بداية لظهور يقظـة عربيـة

---

[1] - ساطع، الحصري ، **الدولة العثمانية والبلاد العربية** , ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1960،ص: 99.
[2] - حراز ، **مرجع سابق** ، ص : 58.
[3] - أنيس، **مرجع سابق**، ص ص: 251، 252.

واضحة ، تضافرت موعة من العوامل ظهورها، لعل من أبرزها انتشار الطباعة ، وظهور الصحافة ، وانتشار ا دارس لاسيما مدارس الإرساليات التبش ية ال لعبت دوراً كـ ب أ إيقاظ الوعي القومي ، ومقاومة الاستبداد ا ميدي . وقد برزت كوكبة من أبناء العرب الذين تأثروا بالأفكار التحررية أوربا ، و نطلقات الثـورة الفرنـسية ، وانـدفعوا إ تـشكيل ا معيات السرية والعلنية الأستانة وبلاد الشام، ومصر، وباريس ، وال كانت دف إمـا إ الدفاع عن كيا م التار ي ووجودهم ا ضاري وإصلاح أوضاعهم ، أو إ الاسـتقلال والانفصال عن الدولة العثمانية كمرحلة تالية .

والواقع أن اولات رد العرب عن الدولة العثمانية بسبب ما آلت إليه أوضاعهم من لف يع ا الات ، تعود ا فترة مبكرة . و كن أن نعت ا ركة الوهابية ال قادها مد بـن عبد الوهاب منطقة ا جاز ، وسعي مد علي باشا لبناء دولة عـصرية ، وقيـام دولـة الشهابيي ا سحيي جبل لبنان بقيادة فخر الدين ا ع أ وذجا لذلك .

والدارس لتلك ا معيات من حيث تاريخ ظهورها ومطالبها وبرا ها، والظروف ال أحاطت ا كنه القول أ ا كانت بادئ الأمر عبارة عن : ((معيات علمية أو ثقافية ، تطـورت إ حلقات علمية ذات مضمون سياسي ، و تلبث أن ظهرت ا معيات السياسية مـع مطلـع القرن العشرين))[1]. و كن ديد سنة 1875 كبداية حقيقية للعمل العـر ا ـنظم ، فقـد شهدت هذه السنة تأسيس (عية ب وت السرية) ال حـورت مطالبـها حـول مـنح الاسـ ـتقلال لـ ـسوريا ، والاعتـ ـراف باللغـ ـة العربيـ ـة لغـ ـة ر يـ ـة ، وإلغـ ـ ـاء الرقابـ ـ ـة والقيـ ـ ـود ا فروضـ ـ ـ ـ ـ ـة علـ ـ ـى حريـ ـ ـة التعب ، وجعل ا دمة العسكرية لية[2].وكان من أبرز أعضائها ر فارس، ويعقوب صروف[3]،

---

[1] - سهيلة، الريماوي ، **" صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام ، 1850- 1908، من الجمعيات العلمية الى الجمعيات السياسية "** مجلة دراسات تاريخية ، ع7 ، (سوريا، كانون الثاني – يناير1982) ص ص : 135،134 .

[2] - المحافظة، **مرجع سابق،** ص: 130.

[3] - يعقوب صروف (1852-1927) ، لبناني من نوابغ العالم العربي في العصر الحديث ، وركن من أركان النهضة العلمية والأدبية في الشرق ، حامل مشعل الفكر الحر والنزعة العلمية .أسس مجلة المقتطف، تعـددت اختصاصاته فهو مؤرخ ، وكاتب ، وروائي ، وصحافي من ابرز آثاره : رسائل الأرواح ، أعلام المقتطف ، سير الأبطال والعظماء والقدماء . راجع يوسف اسعد، داغر ، **مصادر الدراسة الأدبية فـي الفكـر العربـي الحديث في سير أعلامه ، القسم الأول : الراحلون (1800-1955)** ، ج2 ، (د.ط) ، منشورات جمعيـة أهل القلم في لبنان ، بيروت، 1956 ، ص، ص 540 -547.

وإبراهيم اليازجي[1] الذي ألف قصيدة مشهورة حث فيها العرب على الا اد.

و سنة 1881 أنشئت عية أخرى (عية حقوق ا لة العربية) ال كانت ث العرب على الا اد واليقظة ، والتمـ ـرد على الاستبـ ـداد ا ميدي[2]. و عهـ ـ ـد مدحت باشـ ـا ظهرت حلقة الشيخ طاهر ا زائري[3]، ال حور النقاش ب أعضائها حول استبـ ـداد ا كام الأتراك ، وسوء الإدارة ومفاهيم العدل وا رية[4] . وبالتوازي مـ ـ ـع ظهور ا معيات وانتشـ ـارها برزت شخصيات عربية لعبت دوراً بارزاً وهاماً استنهاض الوعي القومـ ـي. فقـ ـد أدان عبـ ـد الر ن الكواك[5] مـ ـن خلال كتابه (طبائـ ـع الاستبداد) الـ ـدولة العثمانية، و لها مسؤولية تردي الأوضاع[6] ، وشـ ـدد على ضرورة اللامركزية الإدارية ، ونادى بعودة ا لافة للعرب . وقد ذهب أحد ا ؤرخ إ التأكيد على أن كتابات ألكواك ساعدت على تنمية الوعي القومي[7].

---

[1] - إبراهيم اليازجي ، (1847- 1906) هو أحد كبار العاملين تحت لواء النهضة الأدبية الحديثة ، أديـ ـب ، كاتب ، ناثر ، شاعر ، ناقد ، لغوي مدقق ، وصحافي مجدد . من ابرز مؤلفاته ، نجعة الرائد في المتـ ـرادف والمتوارد وهي ثلاث أجزاء ، شرح ديوان المتنبي , الحسان من قلائد اللـ ـسان . داغـ ـر ، **مرجـ ـع سـ ـابق** ، ص.ص 759- 763.

[2] - محمد عزة، دروزة ، **نشأة الحركة العربية الحديثة** , ط2 ، منـ ـشورات المكتبـ ـة العـ ـصرية، بيـ ـروت، 1971 ,ص:94.

[3] - طاهر الجزائري (1851- 1920) ، عالم من علماء دمشق ، ومصلح من كبار المصلحين في سوريا ، وعلم من أعلام الحركة العلمية في دنيا العرب ، وقف حياته على بث الثقافة العربية وتدعيم أركانها الأولـ ـى ممثلة في المدارس والمكتبات العامة ، من أبرز مؤلفاته : تدريب اللسان على تجويد البيان ، الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية . داغر ، **مرجع سابق** ، ص ص 264 -269 .

[4] - الريماوي ، مقال سابق ، ص : 137.

[5] - عبد الرحمن ألكواكبي (1854، 1902) سوري من مدينة حلب ، هاجر في نهاية حياته إلى مصر فرارا من الاضطهاد العثماني ببلاده ، عاصر الأفغاني وعبده ، انصب اهتمامه على معالجة قضية الاستبداد العثماني ، وأسباب تخلف المسلمين في العصر الحديث في كتابيه الهامين: طبائع الاستبداد (1899) وأم القرى1901 . راجع أحمد،أمين،**زعماء الاصلاح في العصر الحديث**،(د.ط)،موفم للنشر،الجزائر،1990،ص،ص،319،356.

[6] - عبد العزيز،الدوري، **التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية والوعي**، ط1، مركز دراسـ ـات الوحدة العربية، لبنان، 1984، ص 170.

[7] - **المرجع نفسه** ، ص : 176.

ويعت يب عازوري[1] من الرواد الأوائل الذين سا وا بلورة حركة القومية العربية . فقد دعا إ تأسيس حزب قومي أطلق عليه اسم (جامعة الوطن العر) عام 1904 ، وأصدر باريس لة بالفرنسية أطلق عليها إسم (الاستقلال العر) و استمرت الصدور من مارس 1907 إ جوان 1908 . وأكد على ضرورة: ((إقامة إم اطورية عربية، تد من الفـ ـرات ودجلة إ خليج السويس، ومن ا توسط حـ ر عمان **))[2]. ورغم الاهتمام الذي أثارته لـ ة عازوري فإن تأث ها ا ركة العربية كان ضئيلا .**

وإذا كانت رة نضال العرب إ جانب إخوا م الأتراك قد ثلت الثورة الدستورية عـ ام 1908، وال قاد ا عية الا اد والترقي. فماذا كان موقفهم منها ؟. لقد استقبل العـ رب عودة الدستور بالفرح ، وا رطوا العمل السياسي بشكل كب . و هذا الإطار أنـ شئت أول عية عربية عرفت باسم (عية الإخاء العر العثما) عام 1908 وكانت أهـ دافها الأساسية تتمثل : ((ا افظة على الدستور وتوحد يع العناصر الولاء للسلطان ، و س أوضاع ا قاطعات العربية على أساس ا ساواة ا قيقية مع الأجناس الأخرى الدولـ ة ، ونـ شر التعليم باللغة العربية وتنمية الشعور با افظة وأتباعهـ ا)). **وكـ ان حـ ل الا ـ ادي معيـ ة (الإخاء العر العثما) رغم بساطة مطالبها و ارستها لش صنوف العنف سـ ببا ـ ل العرب على تـ أليف ا معيـ ات الـ سريـ ة. ففـ ي أواخـ ر عـ ـ ام 1909 أنـ شئـ ت (ا معية القحطانية) ال كانت دف إ ويل الدولة العثمانية إ لكة ذات تاج علـ ى غرار الإم اطورية ا رية- النمساوية[3].**

وبعد عودته من رحلته إ الأستانة خلال سنة 1909 – 1910، وبعد أن ـ س اسـ تحالة دوام الا اد ب العرب والأتراك أسس رشيد رضا القاهرة (عية ا امعة العربية) الـ كانت دف إ إقامة حلف ب أمراء جزيرة العرب، ونبذ الشقاق بينهم[4] . و بـ اريس تأسيس عية سرية هي (عية العربية الفتاة) عام 1911، وال قدر ـ ا أن تلعـ ب دوراً

---

[1] - نجيب عازوري ، (1810 - 1916) ولد في جنوب لبنان , تبو أ منصب مساعد حاكم القـ دس مـ ابين 1898 - 1904 أصـ در فـ ي بـ اريس مجلـ ة الاسـ تقلال العربـ ي . راجـ ع : نجيـ ب، عـ ازوري , **يقظة الأمة العربية** , تعريب وتقديم أحمـ د أبـ و ملحـ م , المؤسـ سة العربيـ ة للدراسـ ات والنـ شر،(د.ت)، ص ص: 17 ، 24.

[2] - **المرجع نفسه** ، ص: 219.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص: 186.

[4] - أمين، سعيد ، **الثورة العربية الكبرى** , (د.ط) ، مكتبة مدبولي , مصر ، (د . ت) ،ص، 19.

مؤثراً الأحداث ال عرفتها ا رب العا ية الأو . وقد حورت أهداف ا معية السعي إ إستقلال العرب[1]. و مصر تأسيس حزب عل هو(حـزب اللامركزيـة الإداريـة العثما) من ا الية السورية وكان مقدمتهم رفيق العظم[2]،ورشيد رضا ، وكان يطالـب باللامركزية الإدارية كحل شاكل الولايات العثمانية [3].و الأستانة انشأ موعة من الضباط العرب عام 1913 عية سرية هي (عية العهد) وحددت الغرض الرئيسي من إنشائها ا ادة الأو من برنا ها ال تنص : ((إن عيـة العهد ، عية سرية أنشئت الأسـتانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب ، على أن تظل متحدة مع حكومة الأسـتانة ، ا اد ا ر مع النمسا))[4] .

يلاحظ ا سبق ذكره أن ظهور ا معيات السرية والعلنية ارتبط بظروف صعبة كانت ر ـا الدولة العثمانية ، وأن مطالبها ا ذت أربع ا اهات : ا اه يدعو إ ا كـم اللامركـزي الدولة العثمانية ، وا اه ينادي بالاستقلال الذا إطار إم اطورية بتاج ، وا ـاه يـدعو صراحة إ ضرورة قيام خلافة عربية قرشية ، أما الا اه الرابع فقد كان يطالب الاسـتقلال والانفصال عن الدولة العثمانية[5] .

وقد ساهم الاحتلال الإيطا لطرابلس الغرب ، وا زام الدولة العثمانية حرب البلقـان ، وتزايد حدة التتريك ، والتخوف على مصـ العرب من التنافس الاستعماري ظل ضـعف الدولة العثمانية انعقاد ا ؤ ر العر باريس عام 1913 للمطالبة بتحقيق اللامركزيـة ، و اية حقوق العرب ، ومشاركتهم إدارة الدولة . غ أن انضمام الدولـة العثمانيـة ا جانب أ انيا ا رب العا ية الأو ، وتزايد حدة التسلط التركي على العرب ، خاصة بعـد إعدامات ال باشا أدى ا ثورة العرب بقيادة الشريف حسـ عام 1916 ، وال سا ت

---

[1] - سعيد ،**مرجع سابق**، ص: 17.

[2] -رفيق العظم – 1865 – 1925 ولد في دمشق ونشأ بها وهو من رواد النهضة في سوريا.هاجر إلى مصر واتصل بمحمد عبده، شارك مع رشيد رضا واسكندر عمون في تأسيس حزب اللامركزية العثماني. كان لـه ميل لكتابة التاريخ. من ابرز مؤلفاته: أشـهر مـشاهير الإسـلام، الجامعـة الإسـلامية وأوربـا. انظـر: خير الـدين،الزركلي،**الاعـلام قـاموس تـراجم لأشـهر الرجـال والنـساء مـن العـرب المـستعربين والمستشرقين**،ج3،ط2،دار لعام للملايين،بيروت 1995،ص،56.

[3] -زهير عبد الجبار، الدوري،**الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**،ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا،2005 ،ص ص ،110-111.

[4] - سعيد، **مرجع سابق**، ص: 52.

[5] - المحافظة، **مرجع سابق**، ص ص: 147، 148.

بشكل واضح ناية التواجد العثما البلاد العربية . وقد ترتب عن ا نزام الدولة العثمانية نتائج وخيمة على منطقة ا شرق العر ، حيث فرض عليها الانتداب الا يطـا - الفرنـسي ا زدوج ، وذلك تكريسا لاتفاقية سايكس – بيكو، ووعد بلفور . كما أن وصول الكمـالي إ سدة ا كم تركيا، وا راطهم سياسة تغريب ،وعلمنة ا تمع التركي، خاصة بعـد إلغاء ا لافة الإسلامية قد ساهم بروز أفكار وا اهات تلفة. بعضها دعا ا إعادة إحياء ا لافة الإسلامية و ديدها كواجب شرعي ، كما هو ا ال بالنسبة للشيخ رشـيد رضـا ، وبعضها رأى ضرورة تب القومية العربية كطريق لتوحيد الأمة ، و ايتـها مـن الأخطـار ا ارجية[1] .

حاولت الصفحات السابقة قراءة الواقع السياسي على ا ستوى الداخلي وا ارجي الذي كان يز الدولة العثمانية ، وأشرت إ أبرز ا معيات السياسية العلنية والسرية ، وتتبعـت أهم مطالبها ، وحاولت قدر الإمكان أن أرسم صورة مصغرة لواقع دو ضاغط يـستهدف السيطرة والتوسع والاحتلال ، وواقع عثما يتميز بالضعف. وعدم الاسـتقرار الـسياسي . فماذا عن الواقع الاقتصادي، والعلمي والثقا الذي ساهم هو الآخر بلـورة ا نطلقـات وا فاهيم والا اهات السياسية الا يتحرك على ضوئها العرب والأتراك ؟.

ب/ الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

بلغت الدولة العثمانية خلال تلك الفترة حالة متقدمة مـن التـردي والا طـاط، عكستها الأزمة الاقتصادية ا انقة الا تتجلى أبرز مظاهرها ارتفاع الديون ،و ول الدولة إ شبه مستعمرة من قبل الاحتكارات الرأ الية، لاسيما النصف الأخ من القرن التاسع عشر. وكان من نتائج تغلل الرأ ال الأجن الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية تدم الاقتصاد العر ا ر ، وتكييفه دمة متطلبات السوق الأوربيـة ومـصلحة الـصناعات الغربية ، خاصة عندما دخلت الرأ الية مرحلتها الاستعمارية[2] ، وسعيها ا ثيث لاسـتغلال

---

[1] - محمد الصالح، المراكشي ، **الايديولوجيا والحداثة عند رواد الفكر الـسلفي** ، (د ، ط) ، دار المعـارف للطباعة والنشر ، تونس ، 1995 ،ص :50.

[2] - حسين، ضناوي ، **السيد رشيد رضا ، فكره . نضاله السياسي**، ط1، دار الإنشاء للـصحافة والطباعـة والنشر، لبنان، 1983 ، ص: 14

ا واد الأولية والطاقة البشرية ، والتحكم ا واقع الإستراتيجية . وشكلت الامتيازات الأجنبية ، ال ولت إ حقوق خاصة عندما دخلت الدولة العثمانية مرحلة التقهقر والا يار إ خطر حقيقي ، وأصبحت وسيلة من وسائل السيطرة الاستعمارية وعرقلة النمو الاقتصادي ، وربط الاقتصاد الوط بالاقتصاد الرأ ا [1].

ج / الوضع الثقا والعلمي:

يز الوضع الثقا والعلمي با مود والا طاط، وأصبح لا يعتمد إلا على التقليد وا اكاة ولا يتماشى مع روح العصر. فمراكز العلم كانت تتركز الأديرة، والكتاتيب والزوايا، وا ساجد[2] . و تعرف ا دارس إقبالا إلا ا ناطق ال تكثر فيها الإرساليات التبش ية ال نشطت بناء ا دارس، وتأسيس ا معيات العلمية والأدبية ، وال كانت غايتها التنص ونشر الثقافة الغربية ، وإثارة التعصب الدي ، والبغضاء ب الطوائف وا لل ، وأصبحت أداة هامة من أدوات التوسع السياسي والثقا للدول الأوربية.ولعل أبلغ وصف الة التردي العلمي والتخلف الثقا الذي كان يلف الدولة العثمانية عموما والبلاد العربية بشكل خاص ، ما ي زه لنا الشيخ مد عبده ، الذي جاهد كث ا كي يدرس طلاب الأزهر ا غرافيا على حد كان الشيوخ يرون فيها و أمثا ا : ((بدعا مستحدثة ، تدخل ب اب الضلالات ال ستلقى مع أصحابا النار))[3].

وإذا كان الأزهر يعت تلك الفترة نظريا من أهم ا نابر الثقافية والصروح العلمية ، فإن الشيخ مد عبده يصف لنا حالته حوار شيق مع الشيخ مد البح ي الذي تعجب من وف الإمام من الاستمرار الاعتماد على الطرق التقليدية وا ناهج القد ة التعليم ، مؤكدا له نفس الوقت على أن ما بلغه الإمام إ ا يعود إ تعلمه الأزهر ، فأجابه مد عبده قائلا : ((إن كان حظ العلم الصحيح الذي تذكر ، فإن أحصله إلا بعد أن

---

[1] - انظر لوتسكي ، **تاريخ الأقطار العربية** ، ترجمة عفيفة البستاني ، ط7 ، دار الفارابي،بيروت، 1980 ، ص ص: 382 ،383.

[2] - محمد أحمد، درنيقة ، **السيد محمد رشيد رضا ، إصلاحاته الاجتماعية والدينية** ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،1986، ص:19.

[3] - محمد، عمارة، **الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين،** (د، ط) ،دار الوحدة للطباعة والنشر، لبنان، 1985، ص: 55.

مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق فيه من وساخة الأزهر ، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريده له من النظافة))[1] . **إن ما أشار إليه محمد عبده يبرز بشكل واضح حالة الجهل والأمية وسيادة حالة الجمود الفكري التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي.وللتدليل على ذلك فإن وضعية العلم أصبحت تعتمد على الاجترار والشروح، والمتون والمؤلفات القديمة، وأن العلماء كانوا يرددون ((** أن لا علم إلا أزهري **)) ويرفضون فتح باب الاجتهاد، ويقاومون كل دعوة للتجديد والإصلاح. وما يروى عن الخديوي إسماعيل في إصلاح نظام الحكم أنه عندما أراد أن يكلف الأزهر لجأ إلى رفاعة الطنطاوي، وطلب منه أن يقنع شيخ الأزهر وعلماءه بوصفه واحداً من علماء الدين . فقال له رفاعة :** ((إنني يا مولاي قد شخت ولم يطعن احد في ديني ، فلا تعرضني لتكفير مشايخ الأزهر إياي في أخر حياتي واعفني من هذا الأمر))[2].

وكان حال الطرق الصوفية سيئا ، حيث انحرف مريدوها عن حقيقة الدين ، وأصبحت تصرفاتهم غاية في الغرابة ، واستغلوا في ذلك جهل العامة الذين آمنوا بولاية المجنون ، وكرامة الأبله . وكان ذلك شيئا طبيعيا في عصر الانحطاط الفكري، وبذلك تحول التصوف من استقامة في الأفعال ، ومحاسبة للنفس، والتخلق بالسجايا الكريمة، وتحكم في الغرائز إلى ممارسات شاذة، وأشكال عبادية لا تمت إلى الإسلام بصلة . وهذا ما دفع بالشيخ رشيد رضا الذي انتمى إلى الطريقة النقشبندية إلى الابتعاد عنها ، ونقدها وإبراز مساوئها ، والتنبيه إلى خطرها الروحي والديني الذي يتعارض مع جوهر الإسلام ، والى أخطارها السياسية والاجتماعية القائمة على التدجيل ، والاستلاب ، والخضوع ، والزهد في الدنيا والاستسلام للأقدار .ورغم هذا الوضع المتردي الذي طبع الحياة الثقافية والعقلية في الدولة العثمانية والبلاد العربية ، فإن فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد عرفت فيها الطباعة انتشاراً والصحافة ازدهاراً واضحا[3]. فقد أنشأ على سبيل المثال لا الحصر يعقوب صروف وفارس نمر مجلة (المقتطف)عام 1876 ، وانشأ بشارة وسليم تقلا جريدة (الأهرام) عام 1875 ، و(الهلال) عام 1892،

---

[1] - محمد ،عبده، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده،** ج3، ط1، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص: 194.

[2] - الصعيدي ،**مرجع سابق** ، ص : 449.

[3] - المحافظة، **مرجع سابق**، ص: 27.

جورجي زيدان[1]،و(المؤيد) عام 1889 لصاحبها علي يوسف ، وجريدة (اللواء) الناطقة باسم الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى كامل[2].كما أن احتكاك العرب بالغرب ، وإطلاع بعض أعلامه على منجزاته العلمية جعل رواد الحركات الإصلاحية يتأثرون بالنموذج الأوربي ، ويتخذونه طريقا للتحرر من التخلف الذي يشكو منه المجتمع العربي الإسلامي . وبفعل تأثير المكونات الثقافية والتراثية ، والإطلاع على الأفكار والمنطلقات والمفاهيم الغربية ، تبلورت تلك الفترة ثلاثة مواقف واتجاهات حول سؤال النهضة : موقف يرى ضرورة الأخذ بالحداثة الأوربية والقطيعة مع كل ما خلفه تراث العصور الوسطى . وموقف يرى أنه لا يمكن تحقيق النهضة والرقي إلا بالعودة إلى التراث واستلهام تجربة السلف الصالح . أما الموقف الثالث فهو موقف توفيقي يدعو إلى التشبث بالتراث والاستفادة من الحداثة الأوربية[3] .

وعموما: ((فقد كان العالم الإسلامي- إذ ذاك – شيخا هرما حطمته الحوادث، وأنهكه ما أصابه من كوارث فساد نظم، واستبداد حكام وفوضى أحكام، وجمود عام، واستسلام للقضاء والقدر... فقد الدين روحه ، وصارت شعائر ظاهرية لا تمس القلب ولا تحيي الروح ،وسادت الخرافات وانتشرت الأوهام ، وأصبح التصوف ألعابا بهلوانية ، والدين مظاهر شكلية ، ووسيلة النجاح في الحياة ليست الجد في العمل ولكن التمسح بالقبور والتوسل بالأولياء ، فهم الذين ينجحون في العمل،وهم الذين ينصرون في الحروب، والحارات مملوءة بالدجالين والمشعوذين))[4].

يتضح مما سبق عرضه أن الفترة التي عاصرها الشيخ رشيد رضا كانت فترة صعبة ومليئة بالتحديات والمخاطر، التي كان العالم الإسلامي يعيشها. فقد اختل ميزان القوى لصالح أوربا التي كانت قد وصلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مرحلة متقدمة من النمو

---

[1] - جورجي زيدان 1861-1914 أحد أهم أعلام النهضة الصحفية والأدبية والعلمية الحديثة في الشرق =العربي، ورائد من رواد تجديد علم التاريخ، وفن القصة التاريخية الطويلة. انتخب عام 1865 عضوا في المجمع العلمي الشرقي. انشأ الهلال عام 1892. من ابرز مؤلفاته: تاريخ آداب اللغة العربية، تاريخ التمدن الإسلامي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. داغر، **مرجع سابق،** ص ص: 442،448.

[2] - مصطفى كامل (1874-1908)، احد زعماء مصر في السياسة والصحافة والخطابة، زعيم الحركة القومية في مصر، ورئيس الحزب الوطني فيها، ويعتبر من ابرز دعاة الجامعة الإسلامية. من ابرز مؤلفاته: المسألة الشرقية، مصر والاحتلال الإنجليزي. داغر ، **مرجع سابق** ، ص.ص 649 -652 .

[3] - محمد عابد، الجابري ، **المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية** .ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1996، ص:121 .ومحمد، القاضي،عبدا ، صولة،**الفكر الإصلاحي عند العرب في عصر النهضة**،(د.ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 1992 ،ص:171.وبلال، نعيم،**الفكر الإسلامي بين النهضة والتجديد**،ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان،2004 ،ص:26.

[4] - أمين، **مرجع سابق،** ص ص: 7،8.

الاقتصادي والتفوق العسكري ، مقابل بداية ا يار وتدهور ل يع ا الات الدولة العثمانية ، وزاده خطورة اتساع دائرة الاحتكارات الأوربية، والامتيازات الأجنبية، والبعثات التبش ية، والتخلف الثقا ، والاستبداد السياسي . وقد ترتب عن هذا الوضع السيئ وا ط عدة نتائج ، كان من أبرزها ظهور دعوات ا الإصلاح ارتكزت على مبدأ الدعوة إ الدستور، والد قراطية، و فيف حدة ا ركزية، وا ساواة، والعدالة . عموما عاصر الشيخ مرحلة صعبة نتجت عن : ((دبات ومشاريع التوسع الرأ ا الغر مرحلة الإم ياليـة : مشاريع اقتصادية ، ثقافية ، ومؤسسات جديدة ، مشاريع دول وأجهزة على صورة النموذج الغر الليا ... إ ا مرحلة تار ية انتقالية مؤسسات التعليم ، تكييف ا تمعات العربية الإسلامية للسيطرة الأجنبية ا باشرة ، تبلور ا واقف والا اهات حيال مسألة ا لافة الإسلامية والسلطنة العثمانية والتمثل القومي على اختلاف أشكاله الإقليمية والطوائفية والاثنية ، و بروز مشاريع الدول ال ترافقت مع هذا التمثل))[1] .

هذا ا و السياسي و الاقتصادي والثقا العام ، عاش رشيد رضا وكانت له مواقفه ا اصة من الدولة العثمانية والأحداث السياسية ا تعاقبة وا تسارعة ، ومارس أعمال تلفـة صـبت كلها ال الإصلاح ، ولذلك عرف هوده الإصلاحية الات تلفة تربويا، واجتماعيا وسياسيا، ودينيا، ولغويا .والسؤال ا طروح هنا ما الذي أهله للمـسا ة هـذه ا ركـة الإصلاحية ؟ وما الذي هيأه ليلعب الدور الفعال البلاد العربية خلال الفترة ا متدة ب اية القرن التاسع عشر ومنتصف ثلاثينيات القرن العشرين ؟

هذا ما سندرسه ونستطلعه الفصول اللاحقة من هذا البحث.

[1] - وجيه،كوثراني، **مختارات سياسية من مجلة المنار** ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980 ، ص: 18.

2-حياتــه:

أ-مولده , نشأته وأهم طات تار ه:

هو مد رشيد بن علي رضا بن مد س الدين بن مد اء الدين بن منلا علـي خليفة القلمو البغدادي الأصل ، ا سي النسب[1]. ولد قرية القلمون بل لبنان ، وال تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ، وذلك عام 1282 هـ ا وافق لـ 1865 ميلادية[2]. نشأ بيت ينتسب إ فرع ا س بن علي سليل بيت الأشراف والأسياد ، وهو مايؤكده عندما يقول : ((وأهل بيتنا تازون فيهم بأ م أهل العلم والإرشاد والرياسة ، ويلقبون با شايخ للتمييز ، وجدي الثالث هو الذي ب م ا سجد ا عروف الآن انب بيتنا القد الذي ولدت فيه ،وكان م مسجدا قد ا تقا وا حجارته لغلبة ا هل علـيهم **))[3].وكـان النـسب الشريف دد لصاحبه موقعا هاما ا رم الاجتماعي،و نحه مكانة مؤثرة تسمح له مارسـة سلطة سياسية وقضائية.وهذا ما ي ر تسلسل ا اءات السلطانية من العثماني ح وصـلت إليه[4].**

تلقى رشيد رضا دراسته الأو على النهج القد ، فدخل كتاب قريتـه بـالقلمون ، ودرس قواعد ا ساب واللغة العربية وا ط والقرآن الكر [5] ، انتقل إ ا درسة الرشدية بطرابلس ا درسة الوطنية الإسلامية للاسـتزادة مـن العلـوم . و ـدثنا عـن ذلـك فيقـول :

((دخلت ا درسة الرشدية مدينتنا (طرابلس الشام) وهي مدرسـة ابتدائيـة للدولـة يدرس فيها الصرف والنحو وا ساب ومبادئ ا غرافيا وعلم ا ـال (العقائـد والعبـادات) واللغـة التركيـة واللغـة العربيـة ولكـن يـع التـدريس فيهـا باللغـة التركيـة ، فأقمت فيها سنة أعد إليها لأن أحب أن اخدم ا كومة . دخلت ا درسـة الوطنيـة الإسلامية وهي أرقي من ا درسة الرشدية و يع التعلـيم فيهـا باللغـة العربيـة إلا اللغـة التركية والفرنسية ، وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية وا نطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية .

---

[1] - الزركلي ، ج6،**مرجع سابق**، ص: 126.

[2] - محمد رشيد، رضا، **المنار والأزهر**، (د.ط)، مطبعة المنار، مصر،1934 ، ص: 133.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص: 135.

[4] - **المرجع نفسه** ، ص: 137.

[5] - **المرجع نفسه** ، ص: 139.

وكان أستاذنا العلامــة الشهــ حســ ا ــسر الأزهري[1]هو ا دير ا بعد أن كــان هــو الذي سعى لتأسيسها))[2].

وقد تنوعت مصادر ثقافة رشيد رضا، وتعددت طرق صيله الثقا . فالقرآن الكر وا ديث النبوي الشريف حددا وجهته الدينية وصقلا تفك ه، وكتب التراث ورجالاته طبعا ســلوكه وحرراه من نزعته الصوفية ال طبعت مرحلة تفك ه الأو . ولعل أهم كتاب تأثر بــه هــو (إحياء علوم الدين) لأ حامد الغزا الذي قال عنــه : ((فهو الذي طالعتــه كله وكنــت أكثر مراجعته وقراءة بعض أبوابه عودا على بدء ، صرت اقرأه للناس وكان له اك التــأث دي وأخلاقي وعلمي وعملي))[3].

وتعت العروة الوثقى[4] ال كان قد أصدرها باريس السيد ال الدين الأفغــا [5]، وتــو ريرها الشيخ مد عبده[6] من أبرز ا صادر ال استقى منها رشيد رضا أفكاره السياسية.

لقد فتحت العروة الوثقى أمامه آفاقا واسعة ، وجعلته ينخرط الدعوة إ أفكار سبقه إليها عدد كب من ا صلح ، كالدعوة إ ا امعة الإسلامية والعودة إ الإسلام كمنطلق رئيسي للتطور والرقي ، وقاعدة للحاق بالغرب واستعادة العرب وا ــسلم ــدهم ا ــضاري، ودورهم التار ي . ويبدو التأث العميق قالات العروة الوثقى إثارة الأســئلة الكــ ى حياته و ارسته الإسلام كدين ودولة ، وبالتا فإ ا سا ت إحداث تأث عظيم تكوينه وتفك ه، وأصبحت بالنسبة إليه مراجع أساسية لأطروحات الإصلاح الدي والعمل السياسي

---

[1] - حسين الجسر الأزهري 1845-1909 عالم لبناني فقيه، وأديب من مشاهير أعلام الأدب فــي طــرابلس الغرب. صرف شطرا كبيرا من حياته في تربية الأجيال. تخرج على يديه مجموعة من حملة العلم أمثال رشيد رضا وعبد القادر المغربي. من مؤلفاته: الرسالة الحميدية، حقيقة الديانة الإسلامية. داغــر، **مرجــع ســابق**، ص ص: 270-272.

[2] - رضا، المنار ، **مرجع سابق**، ص: 139.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص: 140.

[4] - العروة الوثقى، مجلة إصلاحية صدر منها ثمانية عشر عددا. صدر العدد الأول منهــا فــي 13 مــارس 1884 وآخرها في 17 أكتوبر 1884.

[5] - الأفغاني، 1839- 1897، أول زعيم من زعماء الحركات الإسلامية. دعا إلى الوحدة الإســلامية والــى التعاون بين الزعماء الدينيين والسياسيين ، والى تضامن الأمة عن طريق الــشعور بالمــسؤولية لــدى كــل أبنائها.دعا إلى تحرير الفكر الديني من قيود التقليد الباعث على الجمود. من أبرز مؤلفاته: الرد على الدهريين، تتمة البيان في تاريخ الأفغان. داغر، **مرجع سابق**، ص ص: 126،127 .

[6] - محمد عبده ، 1849-1905 ، رائد من رواد الإصلاح في العالم الإسلامي . كان من أهدافه تحرير الفكر من قيد التقليد وإصلاح أساليب اللغة العربية، اهتم بالتعليم الديني في مدارس المملكة العثمانية. انظــر أمــين، **مرجع سابق**، ص ص: ، 357،429.

وتوجهاته[1]. كما بينت له أن الواجب على ا سلم ليس الأمر با عروف والنهي عن ا نكر ، إ ا إقامة دولة قوية وهو ما يؤكده بقوله : ((إ ا هي ال وجهت نفسي للسعي الإصـلاح الإسلامي العام بعد أن كنت لا أفكر إلا فيما بـ يدي، وأرى كل الواجب علـي أن اظهـر دروسي العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، وأمر با عروف وأ ى عن ا نكـر، وانفـر مـن ا عاصي، وأنا لا اعلم سبب الفساد الذي فعل العقائد والأخلاق ودفع ا ـسلم إ مزالـق الزلل، حـ هدت العروة الوثقى إ ا ناشئ والعلل))[2]. **وعن العلاقة بـ ا نار والعروة الوثقى ، كتب أحد الباحث :** ((حـ لا كن القول بأن ا نار خلال 36 لدا ، بلغـت صـفحا ا 27200 صفحة ، صدرت منذ 1898 إ 1935 ، تكاد تكون هي التفس لنصوص العروة الوثقى))[3] . **كما أن استفادته من أهل العلم واتصاله بعلماء عـصره، ورحلاتـه إ أوربـا، وا جاز، وا ند، والقسطنطينية، وسوريا قد سا ت صقل مواهبه،وتنمية معارفه وتوسيعها. عموما كن القول أن مصادر صيل رشيد رضا الثقافية كانت متنوعـة وإن ا ـصرت ا وروث العر الإسلامي، وافتقرت بالتا إ الإطلاع على الثقافة الغربية[4] . فقد إطلع على ا صادر اللغوية والنحوية والدينية وكتب ا نطق، والكتب الاجتماعية والعلمية، بالإضـافة إ الصحف وا لات وحـ التوراة والإ يل[5]. ورغم ذلك يبقى استعداده الشخصي، وإرادتـه القوية، وحبه للعلم، واحتكاكه الدائم بالعلماء وعصاميته[6]من ابرز العوامل ال طبعت ثقافتـه وحددت تفك ه ووجهته الإصلاحية.كما أن تأثره بالشيخ مد عبده كان له الأثر البـارز اتساع دائرة صيله العلمي. وبعد وفاة الأفغا وفشل مشروعه السياسي، وعودة مد عبده**

---

[1] - كوثراني، مختارات ، **مرجع سابق،** ص ص: 10،9.

[2] -محمد رشيد، رضا ، **تاريخ الإمام ،تاريخ الأستاذ الإمام،**ج1،(د.ط)، مطبعـة المنـار، القـاهرة،1931 ، ص:84.

[3] - أنور، الجندي، **تراجم الأعلام المعاصـرين فـي العـالم الإسـلامي،** ط1، مكتبـة الانجلـو مـصرية، القاهرة،1970 ص:75 .

[4] - زار رشيد رضا أوربا مرة واحدة في حياته ، وأدرك آنذاك فـضل إتقـان اللغـات الأجنبيـة قـائلا : ((أن الإنسان لا يعرف قدر معرفة اللغات الأجنبية كما يجب إلا إذا سافر إلى بلاد لا يعرف لغات أهلها فـإن معرفته بذلك في بلاده بين قومه لا تعدو النظريات الفكرية وشهوة التكمل والتوسع فـي العـالم)). انظـر: يوسف، أيبش، **رحلات الامام محمد رشيد رضا،** ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيـروت، 1979، ص: 318.

[5] - احمد، الشرباصي ، **رشيد رضا ، صاحب المنار، عصره وحياته ، مـصادر ثقافتـه** (،د.ط) ، مطبعـة الأهرام التجارية ،مصر،1970 ، ص ص: 288 ،289.

[6] - **المرجع نفسه** ، ص: 272.

إ مصر، وانصرافه إ التركيز على التربية والتعليم كوسيلة إ النهضة والرقـي ، وأمـام الأخطار ا ارجية ال كانت دق بالأمة الإسلامية و ددها وجودها ، وانطلاقـا مـن الإحساس رارة الاستبداد، وغياب ا رية واتساع دائرة القمع ، واستحالة حرية التعـب ، وضغط الطرق الصوفية ال كان يتزعمها أبو ا دى الصيادي[1] الذي لعـب دورا كـب ا تكريس الارتباط بالسلطان ، و ارسته لسياسة الوعد والوعيد ضد ا عارض له ، قرر رشـيد رضا السفر إ مصر ا فيها من حرية النشاط والعمل ، ولكو ا كانـت تـشكل متنفـسا لأفكاره وآرائه ، وملتقى ا ناضل ، والثوار، وا نفي ، والعلماء الفارين من الاستبداد وا كم ا ائر كإبراهيم اليازجي ، ورفيق العظم ، وعبد الر ن الكواك . وقد انصبت جهود هؤلاء الشامي البحث عن آلية، أو وسيلة للتخلص من الاستبداد. فسعى بعـضهم للإصـلاح الدستوري و يق اللامركزية وا كم الذا إطار الدولة العثمانية ، وا ه البعض الآخر إ العمل على التخلص من الروابط مع تركيا ، ومن هذا الفريق من دعا ا خلافة عربية بدلا من ا لافة العثمانية . ووجد هؤلاء يعا دعما ومساندة من بريطانيا ال كانت دف إ إضعاف الدولة العثمانية[2]،خاصة وأن مصر كانت تابعة ا تبعية ا ية وشكلية فقط .

ويبقى أعظم شيء كان يرجوه رشيد رضا من هجرته إ مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ مد عبده من ا كمة وا ة وخطة الإصلاح ال استفادها من صحبة ال الدين الأفغا .

و نا رشيد رضا سـ ته الذاتيـة عـن التحـض ات الـ سـبقت سـفره حيـث أخ والديه، وأعطـى كـل مـا تـاج لزميلـه فـرح انطـون[3]، حـ لا ينكـشف أمر سفره ، ا يؤكد حالة الاستبداد ال كانت مستشرية وقائمة الدولة العثمانية.

---

[1] - أبو الهدى الصيادي ، 1849-1909. هو محمد بن حسن وادي المعروف بابي الهدى الصيادي، درس في مسقط رأسه على بعض شيوخ الكتاب القرآن والقراءة والكتابة. تولى نقابة الأشراف، قلده السلطان عبد الحميد مشيخة الإسلام بالأستانة عند توليه الحكم عام 1876. من مؤلفاته: تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، داعي الرشاد لسبيل الاتحاد والانقياد. انظر: منير، موسى، **الفكر العربي في العصر الحـديث**،(د.ط)، دار الحقيقة، بيروت،(د.ت) ، ص ص: 139،147.

[2] - السيد ، يوسف ، **رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف** ، ط 1 ، ميريت للنـشر والمعلومـات، مـصر، 2000 ، ص: 42.

[3] - فرح أنطون (1874- 1922) ، أبو النهضة الفكرية الحرة ، ورسول الديمقراطية في الشرق العربـي ، أديب اجتماعي وصحافي مجدد ، روائي مبدع ، مؤلف مسرحي وكاتب سياسي . من أبرز مؤلفاته، الجامعـة وهي عبارة عن مجلـة شهرية أصدرها سبع سنوات، ابن رشد وفلسفته، المرآة في القرن العشرين. داغـر ، **مرجع سابق** . ص.ص: 147 ، 152 .

وهذا ما يؤكده صديقه شكيب أرسلان[1] بالقول : ((كنا عصر السلطان عبد ا ميـد لا نقدر على السياحة إ ا ارج إلا بإذن ، وكان هذا الإذن متعذرا كثـ ا ، و ا أقيم معرض بـاريز سنة 1900 حاولت السفر إليه فلم استطع ذلك فكان للسيد رشيد حق وقد أ ـع الرحلـة إ مصر أن يستر حركته هذه إلا أن يكون قد دخل ا دود ا صرية)) [2]. **ذهب رشيد رضـا إ بـ وت وهناك اخ صديقه عبد القادر القبا [3] صاحب جريدة (رات الفنون) الذي عرض عليه الإقامة بـ وت، وتو رئاسة رير ا ريدة، غ أنه رفض ذلك مؤكدا له بالقول ((** إن ا رية الـ بـ وت لا تسع **)) فقال له عبد القادر القبا : (** أو تريد أن تنتقد جـ ـ ـلالة السلطان عبد ا ميد و وض سياسته**) ؟فرد رشيد رضا :** ((إ ا أريـد إصـلاح الأخـلاق والإ اع والتربية والتعليـم . فرد عبد القادر القبا : ((إن لك أوسع ا رية هذا)). **فقـال رشيد رضا :** ((إذا أردت أن أكتب فضيلة الصدق ومضار الكذب ، ومفاسده ، فأبـ أن أكـ أسباب فشو الكذب الأمم ا كم الاستبدادي ، أتنشر ذلـك جريـدتكم ؟ **. قـال:** ((لا.لا عجل بالذهاب إ مصر ولا أحدا))[4].

ركـب رشيـد رضا السفينـة من بـ وت إ الإسكندريـة فوصـل ميناءها مسـاء ا معة 08 رجب سنة 1815 ا وافق ل 3يناير 1898.[5] و الثامن عشر يناير التقى بالشيخ مد عبده وكشف له عن الأهداف ا قيقية الـ تقف وراء يئه مصر،وهي الاستفادة من صحبته ،وإنشاء صحيفة إسلامية تم بشؤون ا سلم ، و وض طرق إصلاحهم ،فوافقه على ذلك واشترط عليه أن

---

[1] - شكيب ارسلان ، 1780 -1946 ، احد أعلام اليقظة العربية والسياسية والثقافية ، في العالمين العربي والإسلامي ، مصلح اجتماعي ، وعالم أديب ، صحافي ناشط وسياسي مناضل . كان عضوا في المجمع العلمي بدمشق . تولى رئاسته لفترة من الزمن، عمل على إيقاظ الشعوب الشرقية وتحريرها السياسي، اشترك مجاهدا في حرب طرابلس ضد الإيطاليين، ثم انقطع للسياحة والرحلة والكتابة. من ابرز مؤلفاته: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟ ، السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. داغر ، **مرجع سابق** ، ص.ص : 101،69 .

[2] - شكيب، ارسلان ، **السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة** ، ط1 ، مطبعـة ابن زيدون ، دمشق، 1937 ، ص : 128.

[3] - عبد القادر القباني(1848-1935): صحافي من أعيان بيروت، اصدر جريـدة ثمـرات الفنـون، ومـن مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، وأول من تولى رئاستها. ترأس المجلس البلدي في بيروت، ومديرا للأوقاف الإسلامية فيها خمس سنوات. انظر: الزركلي، ج4، **مرجع سابق**، ص: 46.

[4] - أرسلان ، السيد ، **مرجع سابق** ، ص : 129.

[5] - رضا ، تاريخ الأستاذ **مرجع سابق**، ص : 998.

لا تتحزب زب من الأحزاب ،وأن لاترد على جريدة من ا رائد الا تتعرض ـا بذم وانتقاد، وأن لا دم أحدا من ا كام أو ا سؤوليـن[1] .

صـدر العـدد الأول من ا نـار بتاريـخ22شوال سنة 1315 هـ ا وافق ا ـ15 مارس 1898[2] . وقد عرض رشيد رضا أهداف لة ا نار منذ فا ة العدد الأول من ا لد الأول حيـث ذكر : ((وغرضها الأول ا ث على تربية البنات والبن ، لا ا ط من الأمراء والسلاط ، والترغيب صيل العلوم والفنون ، لا الاعتراض على القضاة والقانون ، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم ، والتنشيط على اراة الأمم ا تمدنة ، والأعمال النافعة ، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد ، وشرح الدخائل ال مازجت عقائد الأمة ، والأخلاق الرديئة ال أفسدت الكث من عوائدها ، والتعاليم ا ادعة ال لبست الغي بالرشاد ، والتأويلات الباطلة ال شبهت ا ق بالباطل))[3] .

يكن رشيد رضا يهدف من خلال إنشاء ا نار اكتساب شهرة، أو قيـق ربـح مـادي، أو وسيلة للتعرف على ا كام، بل كان مل فكرة ويدافع عن مـشروع طمـوح ارتـبط بأستاذيه الأفغا وعبده. و هذا الإطار يقول : ((أن أنشئ ا نار ابتغاء ثروة أتأملها ، ولا رتبة من أم أو سلطان أ مل بها ، ولا جاه عند العامة وا اصة أباهي الأقران وأباري به أعليـاء الشأن ، بل لأنه فـرض من الفروض يرجـى النفــع من إقامته . فلم أكن أبا بشـئ إلا قول ا ق والدعـوة إ ا))[4] **.ولذلك يقول أنه ح أصدر ا نار طبع ألفا و سمائة نـسخة ، أرسل أكثرها فأعيد أكثر ما أرسله فلم يتحسر ويندب حضه ، ولكنه أجاب :** ((مـا كـان عملي منتقصا شيئـا من أملي ، ولا زهد الأمة ا نار باعثا على جعله طعاما للنار ، ولا لفائف لبعض التجار كما هي سنة أصحاب الضعف هذه الديار بل كنت احرص عليه حاسبا أن الناس سيعودون إليه))[5].

---

[1] - عبده، **مرجع سابق** ، ص: 123.

[2] - هناك تناقض في تاريخ صدور العد الأول من المنار . فالسيد يوسف يذكر في كتابه (رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف صفحة 27) تاريخ 17 مارس 1898 ، بينما يـذكر سـمير أبـو حمـدان ، فـي كتابـه تاريخ 22 مارس 1898 والراجح من خلال المراجع التي عدت إليها صحة التاريخ الأول .

[3] - محمـد رشيـد، رضـا، "**فاتحــة السنــة الأولى للمنـار**"، مجلـة المـنـار، م1، ج1، (القاهرة، شوال 1315هـ - ف اير 1898)، ص: 11.

[4] - محمد رشيد، رضا، "**مقدمة الطبعـة الثانيـة للمجلـد الأول مـن المنـار**"، مجلـة المنـار، م1، ج1، (القاهرة، شوال 1315 هـ - ف اير 1898م)، ص:2.

[5] - رضا، " مقدمة. . ." **مرجع سابق**، ص:3.

يتضح من خلال أهداف المنار إ ان صاحبها بالتربية والتعليم، كدعامـة أساسـية للنهـضة والرقي، وقاعدة لإحداث أي تطور اقتصادي وعلمي. وهنا يظهر مدى تأثره بالشيخ مـد عبده الذي اه عن الاشتغال بالسياسة . ولعل ما يز أهداف المنار هو الاهتمـام بالقـضايا الاقتصادية خاصة وان تأسيس المنار تزامن مع بداية طرح قضايا جديدة للمناقشة مثل مسألة البنوك والتعامل الما ، وفوائد القروض المالية.

ورغم تركيز المجلة على الجانب التربوي، فإن العمل السياسي ظل ضمن اهتمامات رشـيد رضا ، حيث انخرط بعد وفاة محمد عبده العمل السياسي، وا ـذ مواقـف ـددة مـن الأحداث ال كانت تعصف بالمنطقة آنذاك ، وهذا ما يؤكده رشيد رضا عنـدما يقـول أن الغاية من إنشاء المنار هو مواصلة السير على ج العروة الوثقى .

وقد واجهت المنار عدة صعوبات وعراقيل سنوا الأو ،كضعف التوزيع والاعتماد على الاشتراكات ، وتوقف الكثير من المشتركين عن الدفع، و اربتها من قبل الدولة العثمانية ومنع دخو ا، وتراكم الديون ال كادت أن تتسبب توقفها وهو مادفعه إ أن يطلق قبل وفاته صيحة يصف فيها العسرة المالية قائلا : ((حـ إذا اشتدت العسرة وا صر عمل المطبعة ما نطبعه لأنفسنا وعجزت المكتبة على نفقتها ، وكثر الدين علينا اضطررت إ البحث عن مشتركي المنار ، وقد استنجد م فلم أجد منجدا ، بل استغثتهم فلم أجد غوثا ، حـ رأت مضطرا إ وقف إصدار المنار ، وقد رجحت هذا الرأي حـ إذا قاربت سنة 1353 هـ الانتهاء عظم علي الأمر ، وقد ربا الدين على الثبات واتقاء إبطال عمل اشـرع فيه ، فرأيـت أخ ا أن أكاشف القراء قيقة الأمر ، فإن أكثرهم لا يعرفه))[1]. **ورغم ذلك واصل عمله الإصلاحي بإرادة وتصميم كبـ ين .إلا أ ا استطاعت فيما بعد أن تشق طريقها و لك شهرة واسعة، حيث كثر قراؤها، وازداد عدد المشتركين فيها. ويعود الفضل ذلك بالدرجة الأو إ الدور الكبير الذي لعبتـه نشر أفكار الإصلاح الديني ،و اربة البـدع والخرافات، ومنـاقشة الأفكار والقضايا الكـ ى ال كانت تشغل المسلمين ،ومسا تها الفعالة تنمية الوعي،وإيقاظ الأمم،والتحذير من الأخطار والتحديات ال كانت دد كيان العرب والمسلمين .يضاف إ ذلك دور الكتاب الذين سا وا قالا م الإصلاحية كشكيب ارسلان**

---

[1] -محمـد رشـيد، رضـا، "**تجديـد جهـاد المنـار بينـه وبـين قرائـه**"، مجلـةالمنار، م34، ج 10 (القاهرة،30 محرم 1354هـ -3 ماي1935م)، ص ص: 797،798.

و مد عبده ، ورفيق العظم ، وعبد ا ميد الزهراوي ، وعبد الر ن الكواك رواجها. ولذلك اعت ا راكشي ظهور لة ا نار حدثا صحفيا وفكريا وعقائديا هاما للغاية تاريخ الصحافة العربية عموما[1]، وعدها وجيـه كوثرا : ((مرآة لانعكاس أحداث تلك ا رحلة التار ية ا همة وعي فقيه مسلم ثل شكلا من أشكال الإيديولوجيـة مهمات الإصلاح، وتكون الدولة الإسلامية مرحلة انتصار الإم يالية))[2]**. وقد اعت ها أنور ا ندي واحدة من ا وسوعات الدورية الأربع ال عرفتها الصحافة العربية اية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين،وهي (ا قتطف) ليعقوب صروف،و(ا لال) ورجي زيدان،و(ا شرق) للأب لويس شيخو[3] .**

وقد بلغ (ا نار) قدراً كب اً من الشهرة والذيوع، وامتدت آفاقه إ ا شرق وا غرب، ووصل إ كل مكان العا الإسلامي. وينقل لنا شكيب أرسلان شهادة مستشرق هولندي يؤكـد فيه على أن (ا نار) يشرق على القاهرة والعرب وحدهم، بل امتد ا مـسلمي أرخبيـل ا لايو واندونيسيا ، وأصبح الذين اقتبسوا من نور ا نـار مـصر منـارات صـغرى واندونيسيا بعد أن عادوا إليها[4]. ورغم أن رشيد رضا يزر بلدان ا غـرب العـر إلا أن علائقه كانت قوية مع رجال الإصلاح ، وذلك من خلال لته ال لافت رواجا كب ا خاصة بعد زيارة مد عبده ا ا زائر وتونس سنة 1903[5]. ففي تونس تأثرت النخبة ا ثقفـة و طليعتها مشائخ الزيتونة بالدعوة ا السلفية ا ديدة وأصبحوا يقبلون على قراءة ا نار حـ أن العدد الواحد منها كان يدار على عشرات[6] .كمـا يظهر تأثيـر ا نـار تونـس من خـلال ظهـ ـور ـ ـلات ذات طابـ ـع دينـ ـي كـ ـ: (ا لـة الزيتونيـة)،

---

[1] - محمد صالح، المراكشي ،**تفكير محمد رشـيد رضـا مـن خـلال مجلـة المنـار1898-1935**،(د.ط) الدار التونسية للنشر- المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس-الجزائر،1985 ، ص: 57.

[2] - كوثراني ، مختارات ، مرجع سابق، ص: 16.

[3] - الجندي، **مرجع سابق**، ص: 91.

[4] - أرسلان ،**مرجع سابق**،ص : 143.

[5] - المنصف، الشنوفي ، "**علائق رشيد رضا ، صاحب مجلة المنـار مـع التونـسيين ، 1898 – 1935** "، حوليات الجامعة التونسية ، ع 4 ،(تونس، 1967)، ص: 121.

[6] - محمد صالح ،المراكشي، **قراءات في العربي الحديث والمعاصر** ،(د.ط)، الدار التونسية للنـشر، تـونس، 1992 ، ص:98 .

و ظهور علماء وشيوخ ثلوا الدعوة السلفية ال كان رشيد رضا يدعو إليها[1].

وكان من أبرزهم مد الطاهر بن عاشور[2] . أما ا زائر فقد نشأت الـصلة بـ ا نـار وا ركة الإصلاحية الدينية ا زائر رغم الطوق ا ديدي الـذي فرضـته فرنـسا علـى ا زائر[3]، و ذرت بعد زيارة مد عبده ا ا زائر ، ومن إطلاع الطلبة ا زائـري الـذين كانوا يدرسون جامع الزيتونة على ا نار كعبد ا ميد بن باديس[4] الذي سـيتزعم الا ـاه الإصلاحـي ا زائر مـن خـلال تأسـيس عيـة العلمـاء ا ـسلم ا زائـري والذي درس على يد مد الطاهـر بن عاشـور تلميذ عبده، ومن خلال اللقاء الذي ع مـد البش الإبراهيمي[5] مع رشيـد رضا سنة 1911[6]. وأصبحت جريـدة الـشهاب ال أنشأ ا ا معية تع بشكل واضـح عـن ا ـط الإصـلاحي الـذي ر ـه عبـده ورشيد رضا ا نار . ويؤكد ا ؤرخ ا زائري أبو القاسم سعد ا ذلك عنـدما يعتـ أن الشكل ا ديث للحركات الإصلاحية ا زائر قد ارتبط جموعة من العوامل كـان مـن أبرزها تأث الشيخ مد عبده و لة ا نار[7].كما أن بروز ا ركة الإصلاحية ا زائر كـان رة طبيعية لة ا نار[8] .و ل صفحات ا نار من الاهتمام بقضايا ا غرب العر من خـلال الإشارة للمخاطر ال أصبحت دد ليبيا وا غرب الأقصى وا ؤامرات ال اك ضـد ا .

---

1 - المراكشي ، قراءات ، **مرجع سابق** ، ص : 102.

2 - محمد الطاهر بن عاشور(1879-1973) ولد بتونس، ارتقى وهو لا يزال شابا مدرسا ثم أستاذا.شـغل بعد ذلك مناصب مرموقة في جامع الزيتونة والمعهد الصادقي. ثم أصبح قاضيا مالكيا، وبذل كل ما في وسعه لإصلاح التعليم الزيتوني. انظر: الصادق، الزمر لي، **أعلام تونسيون**، تعريب وتقـديم حمـادي الـساحلي، ط1،بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص ص :367،361 .

3 - حنفي، بن عيسى ،**" تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكـر الجزائـري المعاصـر"** ، مجلـة الثقافـة ، س7 ، ع 38 ،(الجزائر، افريل –ماي)،1977، ص: 114 .

4 - عبد الحميد بن باديس (1889-1940) مفكر، ومصلح، ورجل دين جزائري ارتبط اسمه بالنضال مـن اجل تثبيت هوية الجزائر العربية الإسلامية في وجه الاستعمار، وسياسة الفرنـسة. أسـس جمعيـة العلمـاء المسلمين الجزائريين عام 1931. راجع: عبد الوهاب، الكيالي وآخرون ،**موسوعة الـسياسة** ،ط3،بيـروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985،ج3، ص:810.

5 - المراكشي ، قراءات ، **مرجع سابق** ، ص: 109.

6 - أبو القاسم، سعد ا ، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003 ، ص : 118.

7 - أبو القاسم، سعد ا ، **الحركة الوطنية الجزائرية ، 1900 - 1930** ، ج2، ط4 ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1992 ، ص: 389.

8 - أبو القاسم سعد ا ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج5 ، ط1 ، دار الغرب الإسـلامي ،بيـروت، 1998 ، ص.ص : 592-595.

فمثلا خصصت ا نار حيزا كب ا للظهـ الـ بري الذي أثار ردود فعل عنيفة سواء ا غرب أو العا الإسلامي[1]، وتابعت تطورات التنافس الاستعماري الأور للسيطرة على ليبيـا، وأوردت أخبار الطريقة السنوسية وزواياها، ودعت ا سلم إ ضـرورة تقـد الـدعم وا ساندة ا .

ويستخلص ا ؤرخ أبو القاسم سعد ا بعد دراسته لتأث لة ا نار والـشيخ رشـيد رضـا ا غرب العر تفاوتا ملحوظا.فقـد نالـت تـونس الاهتمـام الأكـ كـم مكانـة شيوخ الزيتونة وزيارة عبده ا،ووجود عدد معت من أعمدة الإصلاح التونسي ا ـشرق كعبد العزيز الثعال ، وعبد العزيز جاويش ، و مد ا ضر حس .وتأ ا زائر ا رتبـة الثانية كم زيارة مد عبده ا، وعودة الإبراهيمي والعق من ا شرق متـشبع بـالفكر الإصلاحي. أما تأث ا نار ا غرب فيأ الدرجة الثالثة بفعل معارضة الطـرق الـصوفية للإصلاح و افظة علماء القروي [2].

والأكيد أنه كان لة ا نار صدى كب ، وتأث واضح العا الإسلامي عمومـا ، والـبلاد العربية خصوصا، وأ ا أنتجت تياراً داعياً إ الإصلاح الدي والاجتماعي ، ومركزاً علـى التربية والتعليم ، ومناهضا للبدع وا رافات والشعوذة والتصوف السل ، ومؤمنـا بأ يـة الوحدة ب ا سلم كمدخل لاستعادة دورهم ا قيقـي ومـسا تهم رقـي الإنـسانية وسعاد ا ،وأن رشيد رضا كان معتدلا ، و يدع إ الثورة ضد ا ستعمرين والغزاة ، ور ـا هذا ما ي ز اح السلطات الفرنسية بدخول ا نار إ تونس وا زائر ، لأ ـا لا تـدعو إ العنف ،و ثل ج مد عبده ا عتدل ،ور ا يكون ذلك لإ اح مشروعه وصرف تلك القوى على معارضته،أو يكون نوعا من التقية . وظل رشيد رضا اهد ويدافع عن الأمة ، ويـسعى سبيل إصلاحها وإخراجها من مأزق التخلف الذي أصبح عليه ا سلمون ، وهم يواجهـون مدنية الغرب ا تفوقة عليهم اقتصاديا وعسكريا إ إن فاضت روحه حادث سيارة عندما كان عائدا من مدينة السويس ، حيث كان وداع الأم سعود بن عبد العزيز، وذلك مساء ا ميس 22 ادي الأو عام 1354 هـ ا وافق ل 22 أغسطس عام 1935م[3].

---

1 - سعد ا ، بحوث ، مرجع سابق ، ص: 122.

2 - المرجع نفسه ، ص:125،124.

3 - يوسف، رشيـد ، مرجع سابق، ص: 158.

ب- نماذج من تفكيره .

1- ا ال الدي :

شكل الإصلاح الدي أو ا همات ال لها الشيخ رشيد رضا علـى عاتقـه ، وكان يعتقد أ ا ا دخل ا قيقي لإحداث نقلة نوعية حياة ا سلم ع البحث عن تطـوير ذا واجهة أعباء التخلف و ديات الغرب .

والدارس لطبيعة ا تمع العر ، وحركة الصراع الفكري خلال تلك الفترة ، كنه أن يرصد ثلاثة ا اهات :الا اه الأول ثـل نزعة إسلامية تدعو إ ا افظة على التقاليد وتقـديس التراث ، وتنظر بريبة وخوف لكل ما هو آت من الغرب . مع هذه ال عة رجـال الـدين وذوي العقليات ا امدة وا تزمتة على غرار مشايخ الأزهر ودراويش الطرق الصوفية.

أما الا اه الثا فيتجسد ذلك التوجه الغر الذي يدعو إ قطع الصلة با اضـي وفـصل الدين عن الدولة ، والاستفادة من الإ ازات العلمية والتماهي مع ا ضارة الأوربية . وقد مثل هذا الا اه ا ثقفون ثقافة غربية . أما الا اه الثالث فهو وسطي يـرفض أن يكـون صـورة سوخة ومشوهة عن ا ضارة الغربية ، ويصر على ضرورة الاستفادة مـن أصـالة الأمـة وتراثها ، ويدعو بالتـا إ الفهم ا يد والعلمي للدين مع الاستفادة من التطورات العلمية ال توصل إليها الغرب . وكان من رواد هذا الا اه ال الدين الأفغـا ، و مـد عبـده، ورشيد رضا[1] . و سياق ليليه وتشخيصه لواقع ا سلم أكد الشيخ أن لفهم يكمـن ود الفكر والتقاليد. ولذلك دعا إ الإصلاح، وفتح باب الاجتهاد، وإتباع سـنة الـسلف الصا كقاعدة لاحقة التطورات ا ستجدة.كما تناول موضوعا جوهريا يتمثل الاختلافات بـ ا ـذاهب الفقهيـة ، وأكـد أن ا لافـات ا وجـودة بينـها لا تتعـدى أموراثانوية وفرعية،ولا تصل إ جوهر الدين الإسلامي . وأ ا لا دم سوى ا كام الـذين استفادوا منها،وغلفوا ا خلافـا م حـ أصـبح لكـل دولـة مـذهبا خاصـا ـا [2].

---

[1] - ضناوي ، **مرجع سابق** ، ص : 76.

[2] - أخذت الاختلافات المذهبية طابعا سياسيا في الحروب والصراعات الدائرة آنـذاك ، وغـذت بـذلك الاصطفاف الطائفي. فالدولة العثمانية كانت سنية واليمن زيدية ، وعمان اباضية ، وإيران شيعية ، ووصل الاستغلال السياسي للمذاهب إلى أن غال الزيديون في تطرفهم ، واعتبروا من خلال فتـاوي أصـدروها تحريم حضور صلاة الجمعة في بلد يكون فيه الحاكم على غير مذهبهم– انظر،محمـد، رشـيد رضـا، "**بحث في الخلاف**"،مجلة المنار ،م 13ج9،(القاهرة، سلخ رمضان 1328 هـ 3 أكتوبر1910) ص:679.

وقد ساهم الانغلاق المذهبي ، وجمود العلماء، وعدم قدرتهم على استنباط تشريعات جديدة الاستعانة بالتشريعات الغربية، كما حدث في الدولة العثمانية ومصر، مما ساهم في تهيئة المناخ لترسيخ القابلية للاستعمار بمفهوم مالك بن نبي .

والملاحظ أن رشيد رضا لم يبق حبيسا لأفكاره النظرية ونقده للواقع فقط، بـل مـارس دور الطبيب الحاذق، والمتخصص. إذ بعد أن شخص الداء وصف الدواء من خـلال الـدعوة إلى تعميم التعليم الديني ، ومحاربة التقليد والتحرر من الجمود الـفكري ، والسير في طريـق الاجتهاد[1]. كما دعا إلى النظر إلى المذاهب الفقهية نظرة علمية واعتبارها محاولة فردية لفهـم الدين وليس بديلا عنه[2] .

وانطلاقا من تجربته مع الطرق الصوفية وممارستها ، ورغبة منه في إصلاح الفكر الديني هـاجم دراويش الصوفية ، وألف كتابا بعنوان ((المحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعيـة)) أبرز فيه خطرهم على الدين والأخلاق والمجتمع ، من خلال زرعهـم للأوهـام والخرافـات وتعطيل ملكات التفكير ، وجعلهم من مؤسسات دينية يفترض فيها الدفاع عن كيان الأمة إلى آلة بيد المؤسسة السياسية والعسكرية ، ودعا إلى إعادة الأمور إلى نصابها . ولم يكتف بـذلك بل فتح معركة أخرى ضد الأزهر الذي تأثر بعض شيوخه بممارسات الصوفية ، وتوقف عن ممارسة دوره كمرجعية أساسية في شؤون الدين والدنيا ، وأصبح يعتمد على اجترار القـديم ، وابتعد عن مواكبة العلوم العصرية . ويقدم الشيخ وجهة نظره في إصلاح الأزهـر ، القائمـة على أهمية استرجاعه لاستقلاليته الكاملة ، من خلال وضع نظام خاص به يتم بموجبه اختيـار شيخه وهيئة علمائه ، وتحديد المرتبات والأعطيات والرتب العلمية والأوسمة وغيرها بموجـب هذا النظام ، واعتمادا على ما يوقف عليه من أوقاف ، وإصلاح برامج التعلـيم ، وإدخـال العلوم العصرية ، وتدريس اللغات الأجنبية ، وحرية الرأي ، واحترام العقل والعلم واجتناب التقليد وتبني الاجتهاد[3] .وهكذا نجد أن رشيد رضا ، ومن خلال دعوته للإصلاح ظل يجاهد، وينبه، ويحذر ، من مغبة التقاعس عن الاجتهاد وإصلاح الفكر الديني ، ويدعو إلى ضـرورة استنباط أحكام واجتهادات تتناسب مع العصر. كما أنه ومن خلال معرفته الدينية ، وإطلاعه

---

[1] - رضا ، "**بحث . . .** " **مرجع سابق** ، ص: 672 .

[2] - رضا، **تاريخ** ، **مرجع سابق**، ص: 943.

[3] - احمد فهد، الشوابكة ، **محمد رشيد رضا، دوره في الحياة الفكرية والسياسية**،ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن،1989 ،ص ص : 77،78.

على التراث الإسلامي يقف عند الكليات العامة،بل توقف عند ا زئيات شارحاً ومفـسراً ا.و ا صلة فإنه بقدر ما يبتعد ا سلمون عن دينهم يتخلفون،وبقدر مـا يقتربـون منـه يتقدمون[1].

2- ا ال الاجتماعي :

ركز رشيد رضا معا ته للأوضاع الاجتماعية على ا مارسات ال أخذت طابعا دينيا ، مثل بدع ا واسم وا والد ، و ارسات الطرق الصوفية ، وبدع كرامات الأولياء . كما اهتم بقضية الدعوة إ ا ساواة ب الرجل وا رأة . فقد اعت بدع ا واسم وا والد بدعـة لا أصل ا الدين، بالنظر إ ما يترتب عنها من الفات شرعية، ومفاسد اجتماعية. وهو وإن كان لا يطالب بإلغائها، فإنه اقترح إعادة تنظيمها، لتصبح كا عـارض الأدبيـة والتجاريـة، وكالأسواق الأدبية ال يتبارى فيها الأدباء والشعراء ا فيها من منافع علمية[2]. كما انتقد من جهة أخرى ارسات الطرق الصوفية ، بالنظر ا ارسه من أعمال لا ت بصلة إ الإسلام ، و هادنتها السلطات الاستعمارية كما كانت تفعل الطريقة التيجانية ا زائر[3]، على عكـس الدور الا ا ، الذي كانت تلعبه الطريقة السنوسية، وال ملت مسؤولية ا هاد العسكري ونشر الإسلام . وقد اقترح لإصلاح عمل الطرق الصوفية ل زعمائها على تعلـم العلـوم الشرعية ونقلها إ أتباعهم . كمـا هاجم بدعة الكرامات والأولياء ، واعت ها رد سـحر وشعوذة ، وأشار إ ما يترتب عنها من مضار العقل والنفس، والبدن، وا ال، وخطر ذلك على فكرة التوحيد ا الص . كما شدد على أ ية أن يقوم العلماء بدورهم تبيان حقيقة الإسلام كدين ض على العلم والبحث بعيدا عن ما ارس با ه[4] .

ومن جهة أخرى أسهم رشيد رضا ا دل الدائر حول ا رأة وإصلاحها، وقضية ا جاب ودور ا رأة ا ياة الاجتماعية، ومقدار مساوا ا بالرجل. و هذا الإطار عرض ا نار

---

1 - رضوان، زيادة، **إيديولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر**، ط1، دار الطليعة، بيـروت،2004 ، ص:48.

2 - الشوابكة، **مرجع سابق** ، ص ص : 140،141.

3 - محمـــــد رشيـــــد، رضـــا، "**مـــشائـخ الطـــرق**"، مجلـــة المنـــار،م1،ج21، (القاهرة ،21 ربيع الأول1316هـ -أغسطس 1898م)، ص: 401 .

4 - رضا، " المشائخ . . . " **مرجع سابق** ، ص : 145.

الكتاب اللذين ألفهما قاسم أم [1]: (ريـر ا ـرأة) عـام 1899 ،و(ا ـرأة ا ديـدة) عام 1900 . وهو وإن اتفق معه على ضرورة تعليم ا رأة وتثقيفها، فإنه رفض الربط ب لف ا رأة الشرقية عموما وا جاب، بل اعت أن لف ا رأة ناتج عن رؤية ا تمع ـا بالدرجة الأو . هذا ا وقف جعل بعض الباحث الذين درسوا موقفه من هـذه القـضية يستنتجون ، أنه كان أقرب إ صف ا ؤيدين منه إ ا عارض وحجتهم ذا ـك ، أن أبرز ما ورد الكتاب الأول قد يكون من إ اءات الشيخ مد عبده[2].كما نشر ـافظ إبراهيم قصيدته عن الفتاة اليابانية وا رب وهذا يتضمن رضاه عنها ، وفيهـا دعـوة إ رير ا رأة . كما نوه بسبق ا ند صر إشراك النساء ا ؤ رات، وحبذ إرسال البنات إ أوربا من اجل التعليم[3]. كما اعت تعليم ا رأة وتثقيفها، وتربيتها مطلباً ملحاً وعـادلاً بشرط عدم الوقوع أي ضور دي أو اجتماعي[4] .

عموما يكن رشيد رضا ثوريا موضوع ا رأة ، بل بقي افظا على الرغم من اولـة إعطائه للتراث معان جديدة . ع أنه يس كلية وراء ا افظ ، و يوافق كل ما ذهب إليه دعاة التجديد. وهذا عكس ما ذهب إليه ا راكشي عندما أكد أن رشيد رضا ظـل دود التفك ، ولا يريد كم ثقافته الدينية إلا التمسك ا ورد الإسلام بصورة حرفية جامدة ، وأنه يشعر بضرورة لتحقيق التحول النوعي وضعية ا رأة العربية ا سلمة العصـر ا ديث . أي كيفية ول ا رأة من موضوع جنسي، ودور للإ اب ، إ إنسان كامل ا قوق وعليه واجبات، ومسؤوليات اه ا تمع[5]. ذلك أنه عندما دعا إ تعلـيم البنات التربية ومبادئ العلوم ا درسية، والتخصص العلوم العالية كالطب أكد أنه ما من دين وجد أعطى النساء ما أعطاهن الإسلام من حقوق.

---

[1] - قاسم أمين(1865-1908) مصلح ومفكر مصري، من أشهر دعـاة تحريـر المـرأة وتعليمهـا.درس بالإسكندرية وأتم دراسته في الحقوق بفرنسا.من أشهر كتبه: تحرير المرأة، المرأة الجديدة. الكيالي وآخـرون، موسوعة ،ج4،**مرجع سابق،** ص ص:717،718.

[2] - يقول رشيد رضا بصدد الحديث عن كتاب قاسم أمين: ((وكان الأستاذ هو الذي صحح له كتاب تحريـر المـرأة)). انظـر: محمـد رشـيد، رضـا،"**أسـئلة مـن جـاوه**" ، مجلـة المنـار،م31، ج 5، (القاهرة، رجب 1349هـ -ديسمبر1930) ص: 352.

[3] - الشرباصي ، **مرجع سابق** ، ص : 96.

[4] - محمد رشيد، رضا، "**الجمع بين مسألة الذكران والإناث فـي المـدارس ومـسألة التجديـد والتجـدد**"، مجلة المنار، م30، ج2،(القاهرة ،صفر 1348هـ -يوليو1929م)، ص: 126.

[5] - المراكشي ، الايديولوجيا ، **مرجع سابق،** ص: 211.

3- ا ال الثقا :

اختلفت وتباينت وسائل العمل الإصلاحي لدى ا صلح ا سلم . ففي الوقت الذي رأى فيه ال الدين الأفغا أن السياسة هي اقرب وأسرع الوسائل لإحداث التغـيـ ، و قيق الإصلاح، رأى الشيخ مد عبده أن العمل التربوي والنشاط التعليمي، هـو أبـرز الطرق لتحقيق نفس الغاية. وقد ع رشيد رضا بـ أسلو أستاذيه . فهو الوقت الـذي ركز فيه على التربية والتعليم كقاعدة لتحقيق مشروعه الإصـلاحي، يـستبعد النـشاط السياسي لتجسيد طموحاته على أرض الواقع . ورغم ذلك كن القول أن مـسألة التربيـة والتعليم بقيت من ا اور الرئيسة الـ شغلت فكر رشيد رضا طوال حياته، حـ بعد ا راطـه العمل السياسي. ويبدو أن تأثره كان واضحا بالتجربـة اليابانيـة الـ يقـول عنـها:

((من الذي ض بالأمة اليابانية حـ طارت مع الأمم الأوربية كل جو ، وسبحت معهـا كل ر ، وضربت الفنون بكل سهم ؟ أصغ بسمعك للتاريخ ، واستمع ا يتلـوه عليـك ، د أن جوابه عـن هـذا كلـه ـصـ ـورا حكمـتـ و ـا ((علـم وعمـل ، وجهـل وكسل))فبالعلم والعمل يقرن كل تقدم ورقي ، وعن ا هل والكسل ينشأ كل تـأخر وهوى ، فلكل غاية مبدأ ، ولكل رغبة طريق يوصل إليها ، وكل من سار على الدرب وصل))[1].

بشكل عام فقد سدت اهتماماته ثلاث ا اهات:

- انتقاد التعليم القائم سواء الأزهر، أو ا دارس الوطنية وا كومية.
- العمل على إنشاء ا ؤسسات التعليمية سواء للتعليم العصري أو الدي .
- ديده ع التربية والتعليم الضروري ، الواجب اعتماده لتربية الناشئة من ا سلم .

يرى رشيد رضا ما يتعلق بالا اه الأول، أنه ب أن تترك قضية التعليم للجمعيات، وليس للإفراد وا كومات. على أساس أن ا دارس للأفراد دكاكـ لكسب ا ـال ، وللحكومـات معامل لسبك العمال[2]، بالإضافة إ غياب الاهتمام بأمور الدين ، و ميش الإحساس بالوطنية والقومية بسبب إقصاء اللغة العربية من التعليم، والاهتمام بالتاريخ الإ ليزي ، على حـساب

---

[1] - محمـد رشيـد،رضـا،"المـدارس الوطنيـة فـي الديـار المصرية"،مجلة المنـار، م1، ج15، (القاهرة ،9 صفر 1316 هـ- يوليو 1898 م) ص: 257.

[2] - محمـد رشـيد، رضـا،" فاتحـة الـسنة الـسابعة عـشرة"، مجلـة المنـار، م17، ج1، (القاهرة ،المحرم 1332هـ- ديسمبر1913 م)، ص: 7.

التاريخ الوط والعثما [1].وكمحصلة لذلك انتقد نظام التعليم الدي ، الذي كان يشرف عليه الأزهر سواء من حيث منهاجه وأساليب صيله، أو من خلال الأقسام ا خصصة للتـدريس، والوسائل ا توفرة، وطريقة إلقاء الدروس، ومدى استفادة الطلبة من ذلك[2] .كمـا أشـار إ نقطة جوهرية وخط ة تتمثل أن التحصيل العلمي يعد الدافع الأساسي لطلبة الأزهر، إ ا البحث عن ا زايا ا ادية وا عنوية[3].وعن الواقع ا زري وا تخلف للتربية ـل رشـيد رضـا ا سؤولية لطرف أساس ا : مستشار التعلـيم ا يطـا ا كومـة ا ـصرية القـس ا وتستان دانلوب ، ودعاة الثقافة الغربية[4] .وكعادته يبق حبيسا لآرائه وانتقاداته لواقـع التربية والتعليم ، بل قدم اقتراحات عملية للإصلاح تتمثل مضاعفة بناء ا دارس، وتشجيع الانتساب إليها ، وطالب الأها مارسة دورهم مساعدة ا كومة تأسيسها للمـدارس والإنفاق عليها ، وضمان التعليم الابتدائي كحد أد لكافة فئات ا تمع ،وتطوير أسـاليب الدراسة ، وإدخال العلوم العصرية إ العلوم الدينية[5]. وكان يرى أن اح عمليـة التربيـة والتعليم ب أن تعتمد بالدرجة الأو على العلوم التالية:

- **علم أصول الدين والقضايا السياسية ال يتناو ا ووجه ا اجة إليها.**
- **علم ذيب الأخلاق وإصلاح العادات، فهو العون على التربية الصحيحة و تاج كماله إ الفلسفة العقلية وعلم النفس .**
- **علم فقه ا لال وا رام والعبادات .**
- **علم الاجتماع وأحوال البشر بداو م وحضار م، ومللهم و لهم، وعـادا م وسـائر شؤو م.**
- **علم تقو البلدان (ا غرافيا).**
- **علم التاريخ، وينبغي أن يتوسع كل واحد معرفة تاريخ أمته وملته وبـلاده، وأن يأخـذ طرفا التاريخ العام.**
- **علم الاقتصاد الذي ث على إ اء الثروة وحفظها ، وهو من أركان ا دنية.**

---

1 - رضا، "**المدارس**. . . "**مرجع سابق**، ص: 260.

2 - رضا، **تاريخ** ، **مرجع سابق**، ص:496.

3 - رضا، المنار ، **مرجع سابق**، ص: 8.

4 - **المرجع نفسه** ، ص : 207.

5 - الشوابكة ، **مرجع سابق** ،ص ص : 115،114.

- علم تدبـ ا ل، وينبغي أن تتوسع النساء هذا العلم لأنه من وظيفتهن.
- علم ا ساب .
- علم حفظ الصحة.
- علم ا ط .
- علم لغة البلاد، أي أن يدرس التلاميذ يع ما يتعلمونه بلغة عربية فصيحة[1] .

وانطلاقا من يأسه من إمكانية اح التعليم ا كومي ، وعدم قدرته على قيق انطلاقة حقيقية با اه التطور ، أنشأ رشيد رضا مدرسة للدعوة والإرشاد ، حاول من خلا ا أن ينقل كثـ ا ا دعا إليه ال الإصلاح الديـ والتعليمي ، من حيز النظرية إ ال التطبيق العملي .وقـد حدد ذه ا درسة أهدافا بعينها مثل إنارة عقول ا سلمـ ، وتربية نفوسهم ، وحفظ دينهم ، واقتباسهم العلوم العصرية ، كما حدد نظامها الأساسي[2].

4- ا ال الاقتصادي :

على الرغم من التركيز الكبـ الذي أولاه الـشيخ لقـضايا الإصـلاح الـديـ والاجتماعي والتربوي ، فإنه يهمل قضية الإصلاح الاقتصادي ، بالنظر إ حالة التخلـف العام ، والغزو الاستعماري الرأ ا للبلاد الإسلامية .

و هذا السياق ركز على مسألة الربا والبنوك ا رتبطة بفوائد الودائع، والقروض ا الية ، وأ يتها إ از ا شاريع الاقتصادية الوطنية[3].وقد ساهم ا قدمه من اقتراحات من منظوره الديـ التأكيد على أ ية التمسك بالاستقلال الاقتصادي كطريق للحفاظ على الاستقلال السياسي. و هذا الإطار دعا إ الاهتمام بتنمية رأ ال ا ال الوطـ ، والتحرر من الديون الأجنبية ، وأنتقد انسحاب ا صريـ من ميدان النشاط الاقتصادي وتسليمه للأجانب ، أو الاعتماد على الأقليات الدينية كالأقباط .وحاول أن يصحح بعض ا فاهيم حول مزاولة التجارة الـ كان يعتـ ها البعض مهنة وضيعة. كما أشار إ تضاؤل دور الفلاح ا صري ا ياة الاقتصادية،وحذر من انتقال الأراضي إ

---

[1] - محمـ ـــد رشيد،رضـ ـــا،" **مـ ـــا لابـ ـــد منـ ـــه**"، مجلـ ـــة المنـ ـــار، م1، ج30 ، (القاهرة ،24 جمادي الأولى 1316هـ - أكتوبر 1898م)، ص: 573.

[2] - محمـ ـــد رشيـ ـــد، رضـ ـــا، " **النظـ ـام الأساسـ ـي لجماعـ ـة الدعـ ـوة والإرشـ ـاد**"، مجلة المنـ ـــار، م14، ج2 (القاهرة، 30 صفر 1329 هـ ، 1 مارس 1911 م)، ص ص: 116،120.

[3] - المراكشي ، **تفكير ، مرجع سابق** ، ص : 388.

الأجانب،وما قد يترتب عنه من استعمار استيطا [1].

و سياق البحث عن رج الة التخلف الاقتصادي ، والعسر ا ا ، والتدخل الأجن ، ورغبة منه تطوير الاقتصاد الوط ، والتصدي للاحتكارات الأجنبية قدم موعة من الاقتراحات كن إبرازها على النحو التا :

- الاهتمام بالتربية ، ونشر التعليم الدي والوط كعامل مساعد يدفع با اه الإقلاع عن تبذير ثروة الأمة .

- ضرورة إقامة اقتصاد وط مب على أسس علمية حديثة ، و لك القدرة على ا نافسة.

- إنشاء ا معيات التعاونية، والنقابات ا هنية والزراعية .

- إرسال البعثات العلمية للخارج للتخصص علم الاقتصاد وسائر الفنون ا الية[2] .

و ا كانت البنوك عاملا ا الربوية ، هي من أهم الأسباب ال تساهم ربط الاقتصاد ا صري بالاقتصاد الرأ ا العا ي ، فإنه أوحى بإباحة نوع من ربا الضرورة ، ولكنه يقدم فتوى صر ة ا ، إ ا اشترط عرضها على أهل ا ل والعقد .

وا لاحظ أن ت يره للربا، رغم أن الشريعة الإسلامية رمه مرتبط بقناعته طر توغل الرأ الية الغربية. ولذلك أ إ مبدأ الضرورات تبيح ا ظورات[3] . وهذا التردد إصدار الفتاوى الشرعية الصر ة ، هو الذي دفع بالبعض عند تقييمه لاهتمام رشيد رضا با انب الاقتصادي إ القول أنه لا يلجأ إ الاجتهاد إلا عند قه الأكيد من عدم وجود دليل شرعي ، وأن اجتهاده هذا ا ال كان دودا ، وأنه أعرض عن كث من القواعد الشرعية ال عل الإسلام دين يسر وبساطة مثل القاعدة الفقهية ال تقول الضرورات تبيح ا ظورات ، وجلب ا نافع ودرء ا فاسد[4] .

ضوء ما تقدم كن القول أن نظرة رشيد رضا إ الإصلاح اتسمت بالتنوع والثراء، ومست يع ا الات. فقد دعا إ التضامن ب ا سلم من خلال ا امعة الإسلامية وإحياء منصب ا لافة. وظل طيلة حياته يعت التعليم الدي والتربوي، القاعدة الأساسية عملية

---

[1] - الشواكبة ، **مرجع سابق** ، ص ص : 132،133.

[2] - محمـــد رشـــيد، رضـــا ،" **الاتحـــاد والاقتـــصاد** "،مجلـــة المنـــار، م22،ج1، (القاهرة ،ربيع الأول 1339هـ- ديسمبر 1920م)،ص:78.

[3] - حوراني ، **مرجع سابق** ، ص: 285.

[4] - المراكشي ، الايديولوجيا ، **مرجع سابق،** ص ص : 192،193.

الإصلاح الشامل، وا دخل الضروري للا راط مس ة الرقي والتطور. كما أن رؤيته إ بعض القضايا الاقتصادية كانت نابعة من حرصه، وتأكيده أن كافة النشاطات الاقتصادية غ منفصلة عن النظام الإسلامي.كما أن وجهة نظره حول قضية ا ساواة ب الرجل وا رأة بقيت تقليدية و افظة على الرغم من دعوته إ تغي وضعيتها من خلال تعليمها وتثقيفها .

ج- مسا اته الفكرية:

خلف لنـا رشيد رضا منتوجا فكرياً ضخماً مثل آراءه وأفكاره, وسجل من خلاله مواقفه من أهم قضايا عصره ال يزت بالصراع من أجل السيطرة على العا الإسلامي. وقد عكس منتوجه الفكري تنوع إختصاصاته, وغزارة علمه, وتعدد إهتماماته. و كن إبرازه فيما يلي:

1- ا يل بارنابا, مصر, مطبعة ا نار, 1925.
2- تفس سورة يوسف عليه السلام, القاهرة, مطبعة ا نار, 1939.
3- تفس الفا ة و ست صور من ا وا , القاهرة, مطبعة ا نار, 1330 هـ.
4- الوحي ا مدي, مصر, مطبعة ا نار, 1933.
5- الإمام علي بن أ طالب-كرم ا وجهه-,مصر, مطبعة مصطفى البا ا ل , 1939.
6- تاريخ الأستاذ الإمام مد عبده وخلاصة س ته, مصر, مطبعة ا نار, 1350هـ.
7- ذكرى ا ولد النبوي, مصر, مطبعة ا نار, 1935.
8- تصر ا ولد النبوي.
9- خلاصة الس ة ا مدية.
10- اورات ا صلح وا قلد, مطبعة ا نار, 1907.
11- ا لافة أو الإمامة العظمى, القاهرة, مطبعة ا نار, 1341هـ.
12- شبهات النصارى وحجج الإسلام, القاهرة, مطبعة ا نار, 1322هـ.
13- الوهابيون وا جاز, مصر, مطبعة ا نار, 1344هـ.
14- سر الإسلام وأصول التشريع العام.
15- تفس القرآن ا كيم ا شهور بتفس ا نار, مصر, 1324هـ.

16- ا نار والأزهر.

17- نداء ا نس اللطيف, مصر, مطبعة ا نار, 1351هـ.

18- تر ة القرآن وما فيها من مفاسد.

19- حقوق النساء الإسلام, القاهرة, مطبعة ا نار, 1351هـ.

20- عقيدة الصلب والوفاء.

21- ا سلمون والقبط وا ؤ ر ا صري, القاهرة, 1341هـ.

22- مد رسول ا –صلى ا عليه وسلم-, ط2, مطبعة عيسى البا ا ا, 1932.

23- الفاروق عمر بن ا طاب, مصر, مطبعة ا نار, 1936.

24- لة ا نار, القاهرة, 1898(صدر منها 35 لداً)[1].

---

[1] - داغر ، **مرجع سابق**، ص ص:397،399.

الفصل الأول.

خلافة عثمانية على أساس دستوري.

1- موقفه من السلطان عبد ا ميد الثا :

ا- تأييده للسلطان عبد ا ميد:

السلطان عبد ا ميد الثا ، هو السلطان الرابع والثلاثون من سلاط الدولة العثمانية وأطو م حكما. وقد اختلفت الآراء وتباينت ا واقف تقييم شخصه، وفترة حكمه. فهو لدى خصومه السلطان الأ ر ، والديكتاتور ا بان. ولدى ا دافع عنه السلطان الصا ، وا ليفة العادل[1] . وإذا كان الأمر كذلك فماذا كان موقف الشيخ رشيد رضا من السلطان عبد ا ميد الثا ؟ وهل كان رأيه نا ا عن دراسة معمقة وفهم واضح للواقع ا لي والدو ، أم كانت آراؤه مبنية على قناعات دينية،واجتهادات فقهية لا علاقة ا بالعمل السياسي ؟ .

الواقع أن القراءة ا تأنية لصفحات لة ا نار، ومؤلفات الشيخ ت ز أن موقفه من السلطان تراوح ب ا دح والقدح، أو ب الدفاع عنه والانتصار له. وقد حدث ذلك ظل أحداث تلفة, وانقلابات متسارعة ، و ولات مفاجئة أثرت بشكل بارز على تفك ه ومواقفه[2]. ورغم أن الشيخ مد عبده كان قد ى الشيخ رشيد رضا عن الاشتغال بالسياسة ، لأن ا صلحة تقتضي عدم زيادة أعداء الدولة، ورغم أن الأخ أكد مرارا أن دعوته الإصلاحية إ ا ترتكز على ا انب التربوي والتعليمي والاجتماعي ، فإنه ا رط العمل السياسي مبكرا، لكن بشكل سري[3]. ففي افتتاحية العدد الأول من لة ا نار ، و سياق تعرضه للأسباب ال دعته إ اصدرا ها يؤكد على توجهه العثما بالقول : ((... لكنها عثمانية ا شرب ، يدية اللهجة ، امي عن الدولة العلية ق و دم مولانا السلطان الأعظم بصدق))[4] .

---

[1] - عبد العزيز، الشناوي ، **الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليهـا** ، ج2 ، ط2 ، مكتبـة الانجلـو مصرية ، مصر، 1986 ، ص : 1003.

[2] - يقول رشيد رضا: ((ولقد بينت في العدد الأول من المنار الغرض من إنشائه ومذهبه في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي وسكت عن بيان منهاجه في الإصلاح السياسي، مع التصريح بنزعته العثمانية وخدمتـه للدولة العلية، وإنما أسكتني عن ذلك الأستاذ الإمام)). انظر : محمد رشيد، رضا ،" **فاتحة السنة الثانية عشرة**" ،مجلة المنـار ، م 12 ج1 (القاهرة، 30المحرم هـ1327 – 21 فبراير (شباط) 1909 م) ، ص : 2 .

[3] - يقول رشيد رضا عن ممارسته النشاط السياسي: ((إن هذا العاجز ، كاتب هذا المقال ، ربما كان من اعلم الناس بقوادم هذه السياسة وخوافيها وهزلها وجدها ، لأنني جئت مصر منذ اثنتي عشرة سنة، فكنت اشتغل فيها بالدعوة إلى الإصلاح الإسلامي جهرا،من حيث اشتغل بالسياسة العثمانية سرا)).انظر،محمد رشـيد، رضـا ، " **العرب والترك** 1"،مجلة المنار، م12، ج11 (القاهرة ، ذو القعدة 1327هـ - ديسمبر 1909 م)، ص:819.

[4] - رضا، " فاتحة السنة الأولى. . ."،**مرجع سابق**، ص: 13.

وعلى طريقة شعراء البلاط تلف العصور الإسلامية، فقد جادت قر ة الشيخ الـشعرية جموعة من الأبيات دح فيها السلطان:

هل كعبد ا ميد يلق مليك أو تو من عهـد آل أمية
عمـ ـ ـري عدالة علوي سطوه ، والسمات عثمانية
سار ج ملكه وكلاء مثلوا نور عدله للرعيـ ـة[1]

ويذهب أ حـ ـد ا ؤرخ إ أن رشيد رضا حـ ـول ا نار إ وسيلة إشهارية[2] للدفاع عن السلطان عبد ا ميد من خلال موعة من ا ظاهر كن إبرازها فيما يلي:

1 – الثناء على ا شاريع ال أ زها , ومن أبرزها سكة حديد ا جاز , ال بدأ العمل ا عام 1901 , لربط ا جاز بالعاصمة إسطنبول لفائدة ا جاج . وكتب هـذا الإطـار مقالـة بعنوان " ا شروع ا ميدي الأعظم " دافع فيها عن ا شروع , ودعا إ الت ع قصد الإسراع إ ازه. ورد على الذين يعارضون ا شروع خوفا من وله إ وسيلة لتـسهيل احتـلال ا نطقة , ودخول الأجانب أرض ا رم الشريف [3] , واعت ه علامة بارزة على قدرة الدولـة على تنفيذ ا شروعات الك ى، دون الاستعانة با كومات الأجنبية . كما اعت ه دليلا علـى بعد نظر السلطان وكرمه, من خلال دعم ا شروع من ماله ا اص. وربط ب دعم ا شروع من قبل الناس, و بة ا و الرسول (ص)[4].

و يكتف ذا, بل شن هجوما لاذعا على الصحف ال تعارض ا شروع,وخاصة " ا قطم " , وسخف الآراء ال نشر ا حول ا شروع[5] .

لكن السؤال الذي ب طرحه يتمثل : هل كان عبد ا ميد الثا يهدف من خلال إ ـازه للمشروع خدمة مصا ا سلم بالدرجة الأو ؟، أم أنه كان يروم قيق لة من الأهداف

---

[1] - محمـ ـد رشـ ـيد، رضـ ـا , " الـ ـشعـر والـ ـشعراء" , مجلـ ـة المنـ ـار , م1 , ج11 (القاهرة ،11 المحرم 1316هـ - يونيو 1898م), ص: 198.
[2] - المراكشي , تفكير, مرجع سابق ،ص: 110.
[3] - أنظـ ـ ـر: محمـ ـد ر شيـ د، رضـ ا , "المشـروع الحميـ ـدي الأعظـم ",مجلة المنـ ـ ـار , م3 , ج14 , (القاهرة، 21 ربيع الأول 1318 هـ - 18 يوليه (تموز) 1900)، ص:314 .
[4] - المقال نفسه ، ص:317.
[5] - محمـ ـد رشيـ ـد، رضـ ا ، " المشـ ـروع الحميـ ـ ـدي الأعظـ ـم" ,مجلـ ـة المنـ ـ ـ ـ ـار م3, ج15(القاهرة، غرة ربيع الأول 1318 هـ - 28 يوليو 1900) , ص: 358.

الأخرى غابت عن رشيد رضا, أو كان يعرفها وسكت عنها ؟.

الواقع أن استقراء العلاقات الـ كانت تربط سكان الـ زيرة العربية بالدولة العثمانية , والـ كانت تتميز بالتوتر، والصراع ،والـ روب , والانتفاضات الـ ستمرة , تؤكد أن السلطان كان يهدف من خلال الـ شروع إ تعزيز مكانته كخليفة للمسلمـ [1]. وهذا ما تفطن له صـاحبنا متأخرا , عندما أكد أن الذي دفعه إ إ از سكة حديد الـ جاز هو وسواسه , الذي يفه من إقامة خلافة عربية بالـ جاز[2] .

2 – الثناء على السلطان عبد الـ ميد, وإظهار مآثره, وإبراز اهتماماته بالـ ركـة التعليميـة, والتأكيد على حبه للمعارف من خلال إنشاء الـ دارس والـ عاهد, كمعهـد تـدريب الوعـاظ والـ رشدين, الذي أقيم لإعداد الدعاة للجامعة الإسلامية, وإنشاء مدرسة العشائر الأستانة[3].

3 - الـ بالغة إبراز مزاياه, ونبل أخلا قه، و كرمه، وسخائه على رجال الدولة. و تأكيده على ذلك كتب : ((... والذي نعرفه من حال الـ وظف الـذين يعـرفهم مولانـا الـسلطان كالوكلاء ورجال الـ ابـ وأمراء الـ يش , أ م يأخذون رواتبهم وما يقرب منها أو يزيد عليها من الإحسانات الـ ميدية وله وفقه الـ تعا تفنن ضروب الكرم والسخاء ماكان طر مثله بال حا الطائي ولا كعب بن مامة , فكثـ الـ مايهب الـ بات العظيمة بناء على حلم يراه النوم **))[4] .**

وقد كتب هذه الـ قالة رداً على الـ رائد الـ دأبت على عرض حال الـ ـوظف الدولـة , وكو م لا يقبضون رواتبهم إلا بشق الأنفس .

إن هذه الـ واقف الـ ؤيدة بدون فظ , الـ أبداها رشيد رضا اه السلطان عبد الـ ميد عل أي باحث يتساءل عن الأسباب والدوافع , الـ جعلته يقف هذا الـ وقف على الرغم مـن كثـرة الأخطاء الـ ارتكبها , والـ ظا الـ اقترفها , والسياسة الاستبدادية الـ مارسها منذ توليه زمام الـ كم . فهل كان مقتنعا بوجهة نظره , ومدركا ماسة الدفاع عنه ؟ , أم أن تأييده له يعود

---

[1] - كارل،، بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ط12 ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكـي ، دار العلم للملايين ، بيروت، (د.ت) ،ص: 594 .

[2] - محمد رشيد، رضا **،" الانقلاب العثماني الميمون ، وخلع عبد الحميد – رأي جرائد مسلمي الهند فيه"** ، مجلة المنار ، م 12،ج4 (القاهرة، ربيع الآخر 1327هـ - مايو1909 م)، ص : 312.

[3] - محمـد رشـيد، رضـا، **" مـآثر مولانـا الخليفـة والـسلطان الأعظـم"** ،مجلـة المنـار،م3،ج8 (القاهرة،21محرم1318هـ -20مايو1900م) ص:187.

[4] - محمـد رشيـد، رضـا،**"سخاء السلطان على رجال الدولـــة والمابيـــــن"**،مجلـة المنـار، م4، ج16 (16 رجب 1319هـ -29 أكتوبر 1901 م) ،ص : 634 .

إ تأثره بالشيخ مد عبده ورؤيته للسلطان والدولة العثمانية ؟.أم أن التأييد ا طلق للسلطان و الدفاع عنه, والانتصار له يصب خدمة قضاياه الشخصية ومصا ه الذاتية ؟ .

يبدو حسب تقديري، ومن خلال تتبع مواقف الشيخ رشيد رضا و ليلـها، أن العوامـل الثلاثة السالفة الذكر، قد تضافرت مع بعضها البعض وأنتجت لنا هذا ا وقـف. فقـد أيـد السلطان انطلاقا من رؤية فقهية واضحة تعتـ السلطان حامي ى ا سلم ، وا دافع عن بيضة الإسلام. وكان يرى أن الدولة العثمانية هي خط الدفاع الأول عن ا ـسلم ، وأنـه علـى صخر ا تتكسر كل اولات الأوربي للسيطرة عن ا سلم . كما أنه دافع عن عبد ا ميد متأثراً بشيخه مد عبده الذي كان يقول : ((إن من له قلب من أهل الدين الإسلامي يرى أن ا ا فضة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإ ان با ورسوله ، فإ ا وحدها ا افظـة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان سواها))[1] .

فهل كن القول هذه ا الة أن رشيد رضا كان تر ان أفكار عبده، وأنـه كـان بتـابع شيخه؟. وإ أي مدى كن القول أنه كان يردد أفكاره رغم ما عاناه من اضـطهاد الدولـة العثمانية واستبداد ولا ا ،وسوء إدار ا ؟. وهو ما كن إبرازه فيما يلي :

1- تكن هجرة رشيد رضا إ مصر طواعية واختيارية، ولكنها حركة سياسية الأسـاس ارتبطت بالرغبة التحرر من ا كم العثما الاستبدادي، والاستفادة مـن منـاخ ا ريـة ا وجود مصر. وهو يؤكد ذلك عندما يقول : ((ضاقت علي ا ملكة ا رحبت ، وعزمـت على ا جرة إ مصر ا فيها من حرية اللسان والقلم))[2] **.**

2- ا وقف العدائي الذي وقفته السلطات العثمانية من ا نار ، حيث منعت تداوله الأراضي التابعة ا . هذا السياق دفع أبو ا دى ألصيادي متصرف طرابلس لإيذاء والد رشيد رضا وإخوته ، مله على التخلي عن ا نار وإصلاحاته . وكذلك منع رشيد بك وا ب وت توزيع العدد الثا من السنة الأو ، وأرسل ال قيات إ يع أ اء الولاية طالبا منهم ع مـا وزع وإحراقه.كما تعرض مكتب ا نار القاهرة إ ب توياته و ريبه[3] .هذا ا وقـف الـذي جوبه به رشيد رضا من قبل وا طرابلس وب وت ، ومن لدن أبو ا دى الـصيادي يوضـح

---

[1] - محمد،عبده، **الأعمال الكاملة**، ج3، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972 ص.72.

[2] - رضا، المنار ، **مرجع سابق**، ص:191.

[3] - رضا،" فاتحة السنة الثانية عشرة. . . "، **مرجع سابق**، ص: 3.

حقيقة الاستبداد ، وتكميم الأفواه ، و سد الرغبة القضاء على أية حركة إصلاحية مـن شأ ا إحداث تغي ات جذرية ا تمع العثما ، يكون ضحاياها ذوي ا صا والامتيازات . ولذلك فإن سياسة ا لاحقة ، والتضييق على نشاطاته هي ال دفعت به إ ا جرة و مصر ، على الرغم ا كان يسمعه ويراه من تصرفات وسلوكيات لا أخلاقيـة يتعـود عليهـا القلمون . وهو ما يؤكده أيضا عندما يشـ إ الرقابة الشديدة ال كانت ارس على ا ـة ا نار سوريا . و هذا السياق يورد رسالة شكوى من بعض ا شترك من أهـل دمـشق والشام ، يفصحون فيها عن احتجاب ا نار بسبب ا راقبة ا فروضة ، ويدعو وا سـوريا ، ووا ب وت إ رفع التضييق عليها ، ويرفع تظلم وشكوى للسلطان مؤكدا على دور ا نار خدمة الدولة العلية[1]. و يكتف بذلك بل قرر أن العثمانية هي جنسية أمته ا ختلفة الأديان واللغات. ورفض مذهب الأوروبي جعل اللغة مناط ا نسية . ويؤكد ذلك بالقول: ((إن سعادتنا تتوقف على رفض مذهب الأوربي ا نسية واتفاقنا على أن يكون مناط جنسيتنا هو العثمانية ،ولا أظن أحدا من العناصر ا ستظلة بظل الدولة العلية العثمانيـة يـرفض أو يرتـضي اصطلاح أوربا ا نسية)) [2] .

يبدو أن رشيد رضا كان يتابع أستاذه مد عبده، الذي كان يرى أن الرابطة العثمانية ثل قوة للمسلم والإسلام ، رغم أن البعض حاول أن يفسد العلاقة ب السلطان والشيخ ، من خلال تزوير رسائل ادعوا فيها أن مداً عبده أرسلها إ ا جاز واليمن ، وهي تشتمل على الدعوة إ خلافة عربية[3] .

ولعلنا نتساءل بعد هذه الشواهد، والوقائع التار ية، عن سر تأييد رشيد رضا للعثماني رغم سياسة التضييق وا لاحقة ال تعرض ا ؟. وهل كن القول أنه كان انتهازيا يؤمن بأن قيق أهدافه ، ومصا ه ر حتما ع مداهنة ا كام والدفاع عنهم ، حـ لا يقفـوا وجهـه ويعرقلوا مشروعه الإصلاحي عملا بنصيحة شيخه، الذي نصحه بعدم ا ضي نشر رسالة " مالية الدولة العثمانية " ا فيها من نقد واعتراض ، ولأن التـصريح بـسياسة ا كومـة

---

1 - محمـد رشيـد، رضـا، "**مراقبــــو الجرائــد فـي سوريــا**"،<u>مجلـة المنـار</u>، م1،ج 20 (القاهرة، 14 ربيع الأول 1316هـ- أغسطس 1898 م)، ص: 382.

2 - محمد رشيد، رضـا، "**اصطلاحات كتـاب العصـر" التعصـب**"، <u>مجلة المنـار</u>، م1، ج3 (القاهرة 7 ذو القعدة 1315هـ- 1 مارس 1898 م)، ص: 67.

3 - رضا،" فاتحة السنة الثانية عشرة. . ." ،**مرجع سابق** ، ص: 10.

وا كام قد يتسبب تعطيل خدمة الدين والعلم .

يذهب ا راكشـي عند مناقشته الأسباب الـ لت رشيد رضا على تأييد الـسلطان عبـد ا ميد ، والعثماني إ ديد لة من الأسباب كن إبرازها فيما يلي :

- كان يعت السلطان رمزاً للخلافة الإسلامية وا مثل الشرعي ا ، وحامي الدين الإسلامي وشعائره ، بالرغم من كونه أعجميا لا صلة له بالنسب العر القرشي، وكثرة مظا ه .
- الترويج لة ا نار ، وتوف أسباب انتشارها ، والتحرر من القيود والتضييق وا نع الـذي قد تتعرض له ، فيما لو وقفت موقفا عدائيا من الدولة العثمانيـة، أو ها ـت اسـتبداد السلطان ، أو فتحت ا ال للطعن أحقية العثماني با لافة ، وأصبحت منـ ا للمعارضة العثمانية .
- حرصه على قضاء شؤونه ا اصة، ومشاريعه الإصلاحية . منها خصوصا مدرسة الـدعوة والإرشاد ، الـ عمل على إنشائها بعد وفاة شيخه ، إثر حصوله على إعانة ماليـة مـن ا ند ، بعد أن باءت كل هوداته بالفشل لتحقيق هذا ا دف الأستانة[1] .

وحسب رأيي أعتقد أن ة مبالغة كب ة للمراكشي الربط ب تأييد رشيد رضا للعثماني ، وقضاء مصا ه ا اصة . فإذا كان ما ذهب إليه صحيحا بعض صوره ، فإنـه لا ـب أن ننسى أن ذلك التأييد يدخل ضمن خطة، أو إستراتيجية كان قد اتبعها رضا ، وترتكز علـى قاعدت :الأو تتمثل إ اح مشروعه الإصلاحي ، والثانية تتجسد العمل للحفاظ على وحدة الدولة مهما كانت عيوب وسلبيات السلطان .

ويبـدو أن إحساس الشيـخ بزعامته للحركـة الإصلاحية، خاصـة بعد وفاة الأفغا وعبده، ورغبته سيد الأهداف الثلاثة السابقة الذكر قد دفعه إ التغ بأ اد العثماني ، وإبراز دورهم التار ي وا ضاري. فبمناسبة الاحتفال بذكرى تأسيس الدولة العثمانية ،الذي دعي إليه كوكبة من الأتراك ا قيم مصر، ألقى رشيد رضا خطبة أشاد فيها ؤسسها الأول عثمان ،وأث فيها على مد الفاتح وأكد أن العثماني ، قد ساروا تأسيس دولتهم ا تقتضيه الفضيلة الإسلامية من العدل وا ساواة ،

---

[1] - المراكشي، تفكير ، **مرجع سابق**، ص: 112.

وأ ا رغم كل مظاهر الضعف ما تزال قوة عسكرية[1] .

ب- انقلابه على السلطان:

يأخذ دعم وتأييد رشيد رضا للسلطان عبد ا ميد الثا طابع الد ومة والاستمرارية . فقد شكلت ثورة 1908، وما أعقبها من أحداث البداية ا قيقية لتحول موقفـه بـشكل جذري. والواقع أن هذا التحول يأت من فراغ ، و دث بشكل تلقائي، فقد مهد لـذلك جموعة من ا واقف السرية ، منها مثلا أن معارضته لاستبداد الـسلطان، ونظـام حكمـه ا ركزي قد دفع به إ تأسيس " عية الشورى العثمانية " كأسـلوب للمعارضـة ، وأداة لترسيخ الد قراطية ا تمع العثما ، الأمر الذي يؤكد أن معارضته للسلطان ت منحـى سياسياً . والدارس لفترة حكم السلطان عبد ا ميد الثا ورؤية رشيد رضا له ، يدرك أن ة أسبابا متعددة سا ت إبراز ذلك التحول ، لعل من أ ها : نظام ا كم التسلطي، الـذي طبع نظام حكم السلطان ، واعتماده على نظام متكامل من ا اسوسية، والنفي، والتـهجـ ، وارتكاب ا ظا حق معارضيه ، والـ تسلم منها حـ عائلته .يضاف إ ذلك ا ركزيـة الشديدة ا كم ومعاناة العرب منها ، واشتداد نقمة أ ا دى الصيادي عليه ، والتنكيـل بأهله القلمون ، وا اه مد عبده ضد العثمانيـ بعد عودته من زيارته للأستانة . كل هذه الأسباب جعلته يعادي السلطان دون الدولة العثمانية ، ويركز مطالبه على الشورى ، وهذا يعجب بعض ا كام العثمانيـ مطلقا . فقد أحيل إ ا كمة طرابلس، وصـدرت قـه مذكرة إلقاء قبض على أن يؤتى به حيا أو ميتا[2]. وقد ارتبط كل ذلك برغبته رؤية أهدافـه تتحقق على يد حكام الدولة ا دد.

وعندما حصل الإنقلاب الدستوري عام 1908، ازدادت دعوة رشيد رضا اربة استبداد السلطان على قاعدة حكم الشورى الإسلام. وأعتـ تأييد النظام ا ديد خطـوة للحفـاظ على الدولة، وتقويتها، والتمسك بالرابطة العثمانية. وتناول رشيد رضا الانقلاب بأسـلوب اعتـ ه البعض أقرب إ الإثارة الصحفية منه إ ا عا ة العلمية، والتهييج العـاطفي منـه إ

---

[1] - محمـد رشيد، رضـا،"**الاحتفال لتذ كـار تأسيس الدولة العثمانيـة**" ،مجلة المنـار،م6،ج 22 ، (القاهرة، 16 ذي القعدة 1321 هـ - 03 فيفري 1904 م)، ص: 880 .

[2] - محمـد رشـيد، رضـا، " **بـاب الأخبـار والآراء**"،مجلـة المنـار، م12، ج9 (القاهرة ،رمضان 1327هـ - أكتوبر 1909) ص:716.

العرض ا وضوعي[1]. وتأسيسا على مساندته للثورة، وتأييده ا شن الشيخ هجمة شرسة على السلطان ا نار، وانتقده بشكل لافت للنظر. وكتب هذا السياق مقالـة عـام 1909 بعنوان بارز " إحدى الك وك ى الع " قال فيها : ((لقد صدقنا ا وعده ووعيده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه فهذا عبد ا ميد خان وأعوانه وقرناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلمانه ، قـد بغوا الأرض وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشريعة والقوان واستبدوا ميع العثمـاني ، و عوا القناطر ا قنطرة من الأموال . . فآتاهم ا من حيث تـسبوا ، وقـذف قلـوبم الرعب ، ربون بيو م بأيديهم وأيدي ا ؤمن ، فاعت وا يا أو الأبصار))[2] .

ومن ناحية أخرى ذكر أمثلة كث ة تؤكد على استبداده مثل: منـع الاجتمـاع وا معيـات وإبطال ا اكـم الشرعية ، ومنع تداول بعض ا صطلحات مثل : ثورة ، حريـة ، عيـة ، ا جر ، ا نون ، ا لع. وأمر ذف دعاء القنوت من كتب التعليم[3] ، وأنه كـان يتـصرف كا بار، العنيد، ا ستبد ، القاسي ، ا ريص على حياته ، ا افظ بقوة الدولة، وما ـا علـى شخصه[4]. وأنه لوقرأ قارئ على مسمعه آية من الآيات ال تنذر الظا با لاك والدمار كانت عاقبته السجن أو النفي[5]. و فل لة ا نار بشواهد كث ة ، وأمثلة متنوعة على انقلاب الشيخ على السلطان ونقده بشكل لاذع . ولتوضيح ذلك نقسم أوجه النقد إ الات اعتقد أ ـا كانت من ب أهم الأسباب، ال سا ت تقويض أركان الدولة وإضعافها.

أ- ا ال الاقتصادي :

يؤكد الشيخ أن السلطان أفقر الدولة لإغناء مستشاريه ، وأذ ـا لإعـزازهم ، وأفسد مالية الدولة ح يعد أحد من أوربا، ولا من غ ها يثق ا . و يعد أحد يقرضـها قرضا إلا بضمان يستو به على مورد من مواردها. كما أنه عمر راب مالية الدولة ماليتـه الشخصية. حيث كنـز ا لاي صناديق يلدز ، و مصارف أوربا وأمريكا . كما أنـه

---

[1] - الشوابكة ، **مرجع سابق** ، ص: 191 .

[2] - محمـد رشيـد رضـا **" إحـدى الكبـر وكبـرى العبـر "**،مجلة المنـار ، م 12، ج 4 (القاهرة، 29 ربيع الآخر 1327هـ - 19 ماي 1909م) ،ص: 277 .

[3] - **المرجع نفسه** ، ص:278 .

[4] - **المرجع نفسه**، ص: 286 .

[5] - **المرجع نفسه** ،ص: 287 .

يطور قطاع ا واصلات إلا من خلال إنشاء سكة حديد ا جاز، وأن ما ح به من امتيـازات السكك ا ديدة للأجانب ، فسببه أنه كان من موارد ثروته ، على أساس أنه كان لا يـسمح بامتياز، إلا إذا اخذ لنفسه مبلغا عظيما من ا ال ، وكث ا من أسهم الشركة[1].

ب- ا ال السياسي :

اعتمد على سلاح ا كر وا يلة، وا كيدة، وا راوغة، خاصة السياسة ا ارجية ال كان يستع عليها برشوة نساء السفراء، وإهدائهن ا واهر الثمينة. وأنه أضاع بسوء سياسته ثلث الدولة، ولو بقي سنة أخرى لأضاع أجزاء واسعة منها. واستشهد رشيد رضا قولة ا د تار باشا الغازي أك مستشاري الدولة ، الذي قال أنه لو اجتمعت أوربا، واتفقت على أن تضر بالدولة والإسلام كما أضر ا عبد ا ميد لعجزت، وأنه كان يـس بالدولـة للـدمار وا لاك ونتيجة ذلك ل رشيد رضا السلطان مسؤولية سقوط الدولة[2] .

و سياق إبراز وف عبد ا ميد الثا من العرب ، وتشبثه بالـسلطة كحـاكم وخليفـة للمسلم أكد الشيخ على ذلك بالقول : " كان السلطان عبد ا ميد الثا اف عاقبة ضة العرب الدينية د ، إذ كان يعتقد هو وبعض أركان دولته أن العرب لا مع م حكمـة ولا تقوم م دولة إلا بدعوة دينية كما قرره حكيمهم ابن خلدون مقدمته . . وكان ا نافقون من ا عمم يتقربون إ حكومته بالطعن الوهابية ويزعمون أ م دمون بذلك الدين "[3] .

ومن السلبيات وا ساوئ السياسية، ال أشار ليها نذكر كراهية عبد ا ميد الثا للدسـتور، و وئه إ قتل الأحرار، وأتباعه لسياسة قاسية قوامها النفي والتهج ، ح لقبـه الإفـرنج بالسفاح والسلطان الأ ر. و معرض ا قارنة ب السلطان عبد ا ميد، والـسلطان مـد ا امس، أعت الأول أشر من يزيد بن معاوية، وشبه الثا بعمر بن عبد العزيز ب أمية[4] .

---

[1] - رضـا ،" الانقلاب العثماني الميمون. . . " ،**مرجع سابـق**، ص ص: 310 ، 311 .

[2] - **المرجع نفسه** ، ص ص: 314،308.

[3] - محمـ ـ ـ ـ ـد رشيد، رضـ ـا ، "**رسائـل الطعـن في الوهابيـ ـ ـ ـة**" ،مجلة المنـ ـار ، م 24 ج4 (القاهرة، 29 شعبان 1341 هـ - 16 افريل 1923م) ، ص: 318.

[4] - محمد رشيد رضا ، " **الانقلاب العثماني الميمون ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيـه وفـي عبـد الحميد خان**"،مجلة المنار ، م12، ج6 (القاهرة، سلخ جمادي الآخـرة – 1327هـ ـ - 17 يوليـو (تمـوز) 1909م) ،ص : 468.

ج- ا ال العسكري :

ولت الدولة عهده إ دولة متخلفة عسكريا رغم طابعها ا ر ، وأصـبحت عالة على أوربا بسبب مقاومته للتعليم العسكري الدوا ـة، واعتمـاده الكلـي علـى ا ستشارين العسكري الأجانب، خاصة الأ ان. كما أن الترقية الرتب العسكرية أصبحت تتم بواسطة ا اباة[1] .

د- ا ال الثقا :

حارب العلم والعلماء أمته ودولته أشد ا اربة، ح جعـل أكثـر مدارسـها ملاعب أطفال، وانتشرت السنوات الأخ ة من فترة حكمه ظاهرة تفتيش ا كومة لبيوت الناس، واخذ الكتب منها، ومعاقبة أصحا ا.ولذلك اضطر الناس إ إحراق كتبهم ودفنها الأرض .والنتيجة أن أحرق سوريا عشرات الألوف من الأسفار القد ة، وا دينة سـنة واحدة[2] .كما أنه كان عدواً للعلم والتربية، ونص اً للجهل والضلالة، ومنع أكثـر الكتـب النافعة الدين، والأدب، والتاريخ، والتربية[3].

هـ - ا ال الأخلاقي :

أنفق ا لاي على الشهوات، رغم علمه عاناة ا نود، الذين كانوا وتون جوعـا وعريا بسبب تناو م د مثلا لبذرة ا نظل ح تقطعت أمعاؤهم. وكان يـشرب أجـود ا مور، و ع مئات من الغوا ا سان للتمتع، والغناء، والعزف، والرقص، والتمثيل[4].

---

[1] - رضا ، "الانقلاب العثماني الميمون. . . "، **مرجع سابق** ، ص: 311.

[2] - **المرجع نفسه** ، ص : 312.

[3] - محمـد رشيـ ـد، رضـا، **"الانقـ ـلاب العثمانـ ـ ـ ـي الميمـ ـون"** ، مجلة المنـ ـار، 12، ج 9 (القاهرة، 30 رمضان 1327 هـ - 14 أكتوبر 1909 م) ص: 707.

[4] - رضا ، " الانقلاب العثماني الميمـ ـون ورأي. . ."، **مرجع سابـق** ، ص : 314.

و- ا ال الدي :

يسلم دين الإسلام عهده من العبث بكتب ا ديث، والعقائد، والفقه من منع بعضها ، و ريف البعض الآخر، وأنه لو كان غ عصر ا طبوعات ، وكان يع ا ـسلم ت سلطته ا بعد عليه أن يطمع ريف القرآن، وتغي آيات الشورى .وبعد ذكره لكل هذه ا ساوئ والسلبيات ختم رأيه السلطان عبد ا ميد بالقول : ((أما ن فإننا رأينا ظلم عبد ا ميد أنفسنا وبلادنا وأمتنا ودولتنا : رأينا ا الية منهوبة ، والأرض موظوبة ، والأمـلاك مغصوبة ، وا عارف مغضوبة ، والكتب نوعة ، والقضاء آلـة سياسيـ ـة ، والإدارة مـ ـدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى إليها الوهن والفساد ، والأجانب ينقصون الأرض من أطرافها ، ويسري نفوذهم فيها . وجاهدنا على قدر عجزنا وضعفنا، وجاهد غ نا من الأحرار كل علـى قدره، حـ إذا أذن ا بسقوط تلك ا كومة ا فسدة دناه وأظهرنا سرورنا بنصره، وشـكرنا العامل على الانقلاب مع شكره))[1] .

واللافت للإنتباه أن رشيد رضا يكن الوحيد ن كن تصنيفهم ضمن تيار الداعي للرابطة العثمانية ، الذي انقلب على السلطان عبد ا ميد وأنتقده . فزميله رفيق العظم الذي ظل قبل الثورة عثما النـزعة، ومدافعا عن السلطان غير هو الأخر موقفه منه. وشن عليـه لـة صحفية وصفه من خلا ا بأنه كان مناهضا للدستور، ومستغلا للإسـلام دمـة أغراضـه الشخصية[2] ، وأنه سلب أموال الدولة، ووزعها على جواسيسه وا قربيـ ـن منـه[3]. و لـه مسؤولية الازمة ا الية ، والاضطراب الإداري ، والضعف العسكري ، وعدم القدرة على رد أي اعتداء خارجي يستهدف الدولة ، وتد وا طاط مستوى التعليم ، وارتفاع نسبة الأمية . هذا الاضطراب والتناقض مواقف الشيخ رشيد رضا اه السلطان، وال تراوحـت بـ التأييد وا عارضة عله لا يبتعد عن مواقف أستاذه مد عبده. فعندما زار هذا الأخ الأستانة عـام 1901 ورغبـت السلطات العثمانية اعتقاله، رفع عريضـة إ الـسلطان قـال

---

[1] - رضا، " الانقلاب العثمـاني الميمـون. . ."، **مرجـع سـابق،** ص ص: 714 ، 715. أنظـر أيـضا: عبد ا احمد، حـسين، " **الـسلطان عبـد الحميـد. طاغيـة ولـيس خليفـة**"، مجلـة العربـي، ع 178، (الكويت ، سبتمبر 1973) ، ص: 54.

[2] - رفيق، العظم ، " **الانقلاب الميمون واثر السلطان عبـد الحميـد فـي الدولـة ومقاومتـه للدسـتور** "، مجلة المنار، م12 ج 5 (القاهرة، 30جمادي 1327 – 18 يونيو (حزيران) 1909 م) ، ص : 342 .

[3] - العظم ، " الانقلاب . . . "، **مرجع سابق** ، ص : 344 .

فيهـا: ((إ جئت الأستانة العلية لأشهد عظمة الإسلام وأقوي ما ضعف م برؤيـة مظـاهر قوته مركز خلافته قائمة بروح الصدق من عناية خليفته))[1].

وإذا كان يفهم من ذلك تأييده ودعمه للسلطان، فإن مد عبده سرعان ما أبرز موقفا مناقضا وقفه السابق اتسم عاداة السلطان ونقده. ويقول هذا ا ال: ((إن أخوف ما أخافه مـن استبداد عبد ا ميد وظلمه هو إفساده لأخلاق العثماني لا لإدار م، فان إصلاح الإدارة من بعد سهل إذا كانت الأخلاق صا ة))[2].

وحسب رأيي فإن هذه الازدواجية ا واقف تؤكد صحة ما ذهب إليه ا فكر مد عمـارة عندما أكد أن مواقف الشيخ عبده تكون مؤيدة للسلطان الأراضي التابعة ذا الأخـ ، وساخطة عليه عندما يكون أماكن لا تقع ضمن سيادة الدولة[3].

وإذا كان موقف الشيخ رشيد رضا يتطابق إ حد ما مع موقف الشيخ مد عبده، فهل كن القول أ ما كانا ارسان نوعا من التقية السياسية ؟ وبالتا هل كن القـول أن الكـواك والأفغا كانا أكثر جرأة وثورية مواقفهما ، وأن ا ط البيا للحركة الإصلاحية أخذ طابع الا دار والتراجع مع عبده ورضا ؟.

وعلى سبيل ا قارنة فإن موقف الشيخ رشيد رضا من السلطان والعثماني ، تلف عـن رأي عبد الر ن الكواك ، الذي سيصبح لاحقا صديقا للشيخ ، والذي هاجر هو الآخر إ مصر عام 1899 .فاراً من طغيان العثماني . ووجد مناخ ا رية مصر متنفـسا لأفكـاره . ولذلك كانت مؤلفاته وآرائه صرخة مدوية ضد الاستبداد والتسلط ، و لة شـعواء علـى العثماني ، ا دفع البعض إ طرح علامات استفهام كب ة حول وفاته عام 1902 ، وهـل كانت طبيعية[4] ؟. لقد اعت الكواك الاستبداد من أهم وأبرز العوامل ال سا ت تردي وضع ا سلم ، وتراجع مكانتهم وا طاطهم وضعفهم ، وكمحصلة لـذلك أدان الدولـة العثمانية ، ووجه نقداً لاذعا للأتراك ، ودعا إ اللامركزية الإداريـة. وأعتـ أن اهتمـام العثماني بالإسلام لا يعدو أن يكون اهتماما شـكليا، وأ ـم أضـروه بـدل أن ينفعـوه.

---

[1] - عبده، الأعمال ، طبعة 1972، ج 1، **مرجع سابق** ، ص: 738.

[2] - **المرجع نفسه،** ص : 736.

[3] - عمارة، الإمام ، **مرجع سابق،** ص: 116.

[4] - حول ظروف وملابسات اغتيال عبد الرحمن الكواكبي ، أنظر : محمد، عمارة ، **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام** ، ط 1 ، دار المستقبل العربي، مصر، 1984 ، ص : 41.

ومن جهة أخرى رأى أن تسلط فئات من غ العرب قد شكل بداية انقسام الأمة، وأن عـدم تعرب العثماني ناتج عن بغضهم للعرب. وتوسع إبراز فضائل العرب وخصائص دورهم الإسلام[1].وقد شكل كل ذلك ا قدمة لدعوته أن تكون ا لافة للعرب بواسطة إقامة خليفـة قرشي مركزه مكة، مع التأكيد على الشورى اختيار ا ليفة[2] . ورغم الاختلاف الذي ظهر بشكل جلي ب موقف رشيد رضا، والكواك من الدولة العثمانية ، فثمة قواسم مـشتركة بينهما . فالشيخ ورغم أن مد عبده كان ول بينه وب السياسة ، إلا أنه ورغبـة منـه ارسة العمل السياسي – ولو بشكل غ مباشر – والتنفيس عما كان تلج بنفسه وعد بأنه سينشر ا نار فصولا للكواك من كتابه " سجل أم القرى " ووصفه بأنه : ((كتـاب يكتب مثله الإصلاح الإسلامي))[3].رغم أنه حذف منه ما يسئ إ الدولة العثمانية ، وهذا ما يؤكد النظرة ا شتركة بينهما ، وال تستند على مبدأ اربة استبداد السلطان واسـتغلال شعار ا امعة الإسلامية لصا ه. وقد عبر رشيد رضا عن ذلك بالقول : ((وقدكنا معه علـى وفاق أكثر مسائل الإصـلاح ، ح أن صاحب الدولة تـار باشـا الغـازي ا منـا بتأليـ ـف " أم القرى " عنـدما اطلع عليه))[4] .

عمومــا فــإن الــشيخ،وإن ظــل طيلــة ســنوات ا نــار الأو يــدعم الدولــة العثمانية،ويقــدم النــصيحة للحكــام ، ويركــز علــى ضــرورة ــاوز أخطاء الإدارة،و قيق العدالة ب الناس بغض النظر عن ا نس والدين، ومـنح ا ريـات، و اربة الرشـوة[5]،فإنـه ابتـداءً مـن وفـاة مـد عبـده أصـبح ينتقـد الـسلطة، ويهاجم ا كم الفردي،ويدعو إ ا شاركة الشعبية، ويطالب بإقرار مبدأ الشورى الدولة[6].

---

[1] - الدوري، **مرجع سابق**، ص ص: 170 ،171.

[2] - عبد الرحمن، الكواكبي ،**أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية الأول** ، ط 1 ، دراسة وتحقيق محمد طحان ، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، سوريا، 2000 ، ص ص: 198،200.

[3] - محمـد رشيـد، رضـــا،" **خاتمة سنـــة المنـــار الرابعـــة**"،مجلة المنار،م 4،ج24، (القاهرة، غرة ذي الحجة 1319 هـ - 11 مارس 1902م) ص: 959.

[4] - محمد رشيد، رضا، " **تتمة سيرة الكواكبي** "، مجلة المنـار،م5،ج7 (القاهرة ،غرة ربيع الثاني 1320هـ -7 يوليو 1902م) ص : 276.

[5] - محمد رشيد، رضا، " **الإصلاح المطلوب**" ،مجلة المنار، م1، ج38 (القاهرة، 26 رجب 1316هـ - ديسمبر 1898م)، ص ص: 751،752.

[6] - محمـــد رشيـد، رضـــا، " **الدولة العليـــة ومكدونية ، ورأي في الإصـــلاح** "،مجلة المنـار، م6،ج 11 (القاهرة، غرة جمادي الآخرة 1321هـ - 24 اغطسطس(آب) 1903 م) ، ص : 432.

كما دعا إ التخفيف من حدة ا ركزية لتخفيف ا سؤولية وتقليل الأعباء[1].

والأكيد أن الشيخ يربط موقفه من السلطان بشكل مطلق ويتماهى مع شخـصه. فعنـدما وقعت الثورة الدستورية تغ موقفه منه، وأصبح يندد باستبداده، وطالب حاكمـة أعـوان الاستبداد من دار السلطان والسلطنة[2]. هذه ا عا ة للانقلاب الأول، وا جوم العنيف علـى السلطان ، وا باركة ا طلقة للا ادي دفعت أحد ا ؤرخ إ وصف الشيخ بأنه كان عاطفيا ومتسرعا،ومتناقضا[3] من خلال تراجعه عن كث من الأحكام ال أصدرها، وتأييده للدسـتور الذي لا تتلاءم بعض نصوصـــه مع الشريعـــة الإسلاميـة،والذي عارضه آخرون مـن منطلق إسلامي[4].

إن موقفه ا عادي للسلطان قد جر عليه موقفا غاضبا من أغلبية ا سلم ،خاصة مسلمي ا ند الذين اعت وا حادثة خلع السلطان بداية النهاية للدولة العثمانية .

و معرض الدفاع عن نفسه، ورفض الا امات ال أث ت حوله ، والشبهات الـ حـاول البعض إلصاقها به كالتزلف للسلطان، ومداهنته ، ومدحه البداية، والانقلاب بعد ذلك أكد أن ذلك حدث قبل أن تظهر سيئاته ، وأنه ومن خلال ا قالات ال كان ينشرها ا نار قد دعا علماء الإسلام مصر، وا ند، وتونس إ مطالبة الـسلطان عبـد ا ميـد بالعـدل والإصلاح ، وأنه انشـأ عية سـرية سياسية اهـدته ، كما أنشأ ا جريدة خاصة يت "بالشورى العثمانية "[5].

ومن الأدلة ال يقدمها الشيخ للدفاع عن نفسه وتثبيت براءته، وبالتا جهاده ضـد عبـد ا ميد ما تعرضت له عائلته على يد أعوان الدولة كالأمر بإلقاء القبض عليه، و اكمته الـ نشر ا جريدة ب وت الر ية وأعاد نشره با نار كما سبقت الإشارة إليه.

---

[1] - رضا،" **الدولة . . .** " **مرجع سابق** ، ص : 433.

[2] - محمـــد رشيـد ،رضـــا ،" **عيد الأمة العثمانيـــة بنعمة الدستور والحريـــة** " ،مجلـة المنـار، م 11 ، ج6 (القاهرة، 29 جمادي الآخرة 1326 هـ - 28 يوليو (تموز) 1908 م) ،ص : 419.

[3] - يقول رشيد رضا مثلا ((إنني أعترف لعبد الحميد بحسنتين : سكة الحديد الحجازيـة ، وعـدم تعـصبه للجنسية ، إذ لم يكن يقال في زمنه عرب وترك ، وأزيد الآن على ماقلته هناك أن لو كانت تلك الإدارة السيئة مقرونة بالتعـصب الجنـسي للتـرك لانفـصلت الـبلاد العربيـة مـن جـسم الدولـة) انظـر ، رضـا " العرب والترك -1- . . ." ، **مرجع سابق**، ص : 824 .

[4] - رضا ، " الانقلاب العثماني الميمون،ورأي. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 298.

[5] - محمـــد رشـــيد، رضـــا، " **رفيـــق العظـــم وفاتـــه وترجمتـــه** " ، مجلـــة المنـــار، م26،ج4 (القاهرة، المحرم 1344هـ - أغسطس 1925م) ص: 290.

2- دعوته إ   إصلاح ا كومة ا ركزية من خلال   عية الشورى العثمانية:

شهدت الدولة العثمانية   اية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عدة اولات لإصلاح جهازها العسكري،والإداري،وا ا ، لتصبح قادرة على مواجهة التحديات الأجنبية.وكان من أبرز تلك ا اولات الإصلاحية ما عرف بـ" التنظيمات". ويلاحظ أن تلك الإصلاحات   س ا ؤسسة الدينية، وبذلك أصبح الأمر طبيعيا أن رج أصوات خارج نطاقها وتأث ها تطالب بالإصلاح[1].وقد كان رشيد رضا أحد هذه الأصوات ال   إرتفعت، ودعت إ   الإصلاح السياسي.

أ/ ظــ ــروف نشأ ا:

تؤكد بعض الدراسات أن الرغبة   إصلاح السلطة السياسية، وتأسيس نظام حكم جديد قد ارتبط بعامل : أو ما طبيعة السلطة الاستبدادية الأوتوقراطية العثمانية، وثانيهما أ وذج السلطة الد قراطية السائدة   الغرب، وال   عدت أحد أهم عوامل تفوقه[2]. وأمام تزايد الأخطار والتحديات توصلت القوى الداعية للإصلاح من خارج ا ؤسسة الر ية السياسية والدينية إ   إ اع مفاده أن الاستبداد، وا كم الفردي، هو الذي يعيق الأمة على ا واجهة والتصدي للأخطار.و ثل رؤى ومواقف   ال الدين الأفغا   ،وأفكار ونصوص الكواك   أ وذجا لذلك. حيث   دا حرجا   الدعوة إ   ثل ربة الغرب الدستورية وإن كانوا قد ألبسوها لباسا إسلاميا، وساووا ب   الشورى كتجربة إسلامية، وا كم النيا   مع ما يتصف به من حرية مدنية، وسياسية، واختيار للحاكم[3]. وقد أعت   الكواك   الاستبداد من أهم العوامل، وأك ا ساوئ ال   تساهم   أضعاف الأمة وتسلط الأجانب عليها. ولذلك دعا إ   الشورى و اربة الاستبداد الذي دفعه إ   كتم أفكاره والتصريح بأن أصل الداء يكمن

---

[1] - وجيه، كوثراني، **مشروع النهوض العربي، أو أزمة الانتقال من الإجماع السلطاني إلى الإجماع الوطني**، ط1 ، دار الطليعة ، لبنـــــــــان، 1995 ، ص:63.

[2] - أحمد نسيم، برقاوي، **قراءة جديدة في عصر النهضة(الإصلاح الـديني-النزعـة القوميـة)**، ط1 ، دار الرواد للنشر والتوزيع، بيروت، 1988 ، ص: 55 .

[3] - برقاوي ، **مرجع سابق** ، ص: 57 .

الاستبداد السياسي ودوائه لن يكون إلا من خلال الشورى الدستورية[1]. وأكـ ـد على ذلك بالقول : ((أما وظائف الشورى العامة فيقتضي ألا ـرج عن حيص أمهات ا سائل الدينية ال ا تعلق سياسة الأمة وتأث قوي أخلاقها ونشاطها ، وذلك مثل: فتح باب النظر والاجتهاد حيصا للشريعة، وتيس ا للدين، وسد أبواب ا روب والغارات والاسترقاق إتباعا قتضيات ا كمة الربانية، وكفتح أبواب حق الطاعة للحكومات العادلة،والاستفادة من إرشادا ا، وان كانت غ مسلمة، وسد أبواب الانقياد ا طلق ولو ثل عمر ابن ا طاب رضي ا عنه))[2].

والغريب الأمر أن ما كان يعلنه الكواك مصر حول دور الشورى وفتح باب الاجتهاد كان رد شبهته الولايات ا اضعة للسلطان العثما يدعو إ ملاحقة أصحابه وسجنهم[3].

وإذا كان الأمر كذلك فماذا كان موقف رشيد رضا من نظام ا كم العثما ؟ وفيما تتمثل أبرز معا تفك ه السياسي هذا ا ال؟.

لقد شكلت سنة 1905 ولا جذريا مواقف الشيخ السياسية[4]. إذ بعد وفاة الشيخ مد عبده بدأ يتكلم ع سلسلة من ا قالات كتبها ا نار عن الشورى. وبدأ يطالب بضرورة إزالة النظام الاستبدادي، رغم ما سببه له ذلك من ملاحقة وتضييق من قبل العثماني . وقد سعى هذا السياق إ ا مع ب الآراء الإصلاحية لأستاذيه ، وذلك بالعمل سبيل الإصلاح الدي والتربوي على ج الإمام عبده، وا هاد سبيل الإصلاح السياسي على ج الأفغا .

ومع اتساع دائرة ا راف السلطة العثمانية ، وتضخم نزعة الاستبداد لديها ، واشتداد استخدام العنف والقوة اه الآراء ا ديدة والأفكار ا رة،وانطلاقا من سياسة الوعد والوعيد، وأسلوب التضييق والتهديد الذي أصبح يتعرض له رشيد رضا، كان عليه أن يرتبط بأحد خيارين: إما أن يتحول إ بوق للسلطان وصدى لصوته، مع ما يتبع ذلك من لق ومداهنة

---

[1] - عبد الرحمن، الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاسـتعباد**، (د.ط) ، إشراف علي الكنز ، تقديم محمد خالد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 2000 ، ص: 2.وعلي، أومليـل، **الإصـلاحية العربيـة والدولة الوطنية**،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1985،ص :153.

[2] - الكواكبي ، أم القرى ، **مرجع سابق**، ص، 209.

[3] - وجيه ، كوثراني، **الفقيه والسلطان**،ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2001،ص:90.

[4] - منـذر، معـاليقي،**معـالم الفكـر العربـي فـي عـصر النهـضة العربيـة**،(د.ط)، دار اقـرأ، بيروت،(د.ت)،ص:48.وطارق، البشري، **الملامح العامة للفكر الإسـلامي فـي التـاريخ المعاصـر**، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2005 ،ص: 19.

وتبييض لصورته وتلميع لسياسته، أو أن يتابع منهجه القائم على اربة البدع وا رافات، والدعوة إ الشورى، والعدالة، وا رية، ويتحمل بالتا ما مله ا صلحون وا فكرون الذين سبقوه الدعوة إ الإصلاح من أذى وملاحقات. ويبدو أنه يكن أمامه سوى العمل ضمن قناعاته ال كانت تنسجم مع حركة ا عارضـــة للسلطنة ال أخذت تنمو وتتسع مطالبـــة بالدستـــور، وتقنيـــن العلاقـــة بـ ا اكـــم والرعيـــة[1]. وقد مثلت عيـة " تركيا الفتاة "أحد أبرز ا اهات ا عارضة العثمانية ا وجهة ضد ا كم الفردي وا طالبة بالدستور. و هذا الإطار يؤسس رشيد رضا " عية الشورى العثمانية " و وض النضال مع الأحرار الأتراك مقارعة الاستبداد وا طالبة بالدستور[2]. ويقـول هذا الصـدد:((كان يصل إلينا قليل من أخبار الاستبداد، ووقائع العتو والإفساد، وبعد وفاة الأستاذ الإمام، صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا السه فيه إ السة إخواننا العثماني ا قيم القاهرة، فازددنا علما بسوء ا ال وخطر ا آل**))[3]. ويضيف الشيخ إ السبب الرئيس الذي دعاه إ إنشاء ا معية مع رفاقه وا تمثل ا طاط الدولة وتدهورهـا، وخطر التوسع الاستعماري سببـا آخر غايـة الأ ية يتمثـل عـدم ثل يـع الشعوب، والقوميـات، والأديان عيـة " تركيا الفتاة "، و عية " الا اد والترقي ". ويذكر أن مندوبا عن الا اد والترقي جاء مصر، وقابله، واقترح عليه دمج عيته معهم، وتوحيد العمل ضد السلطان عبد ا ميد الثا . إلا أنه رفض ذلك وقال للمندوب: ((** إن تعدد ا معيات مع وحدة الغاية وا قصد لا يعد تفرقا ولا دث ضعفـا، وإننا نرى أنه لا اح للعثماني إلا باتفـاق عناصرهم على ا طالبة بالدستور **))[4]. وقد كان السبب رفض رشيد رضا الاندماج مع عية الا اد والترقي هو ما لاحظه من أن ا معية لا تضم إلا الأتراك فقط دون سائر العناصر الأخرى، خاصة العرب رغم البنية الاقوامية للدولة. هذه ا لاحظة تدل على اتساع افقه السياسي، وبعد نظرته ا ستقبلية.**

---

[1] - سمير، أبو حمدان ، **الشيخ رشيد رضا والخطـاب الإسـلامي المعتـدل**،(د.ط)، دار الكتـاب العـالمي، بيروت،1992، ص ص :42،43.

[2] - كوثراني، السلطان ، **مرجع سابق** ،ص: 93.

[3] - رضا، " فاتحة السنة الثانية عشرة. . ."، **مرجع سابق**، ص: 12.

[4] - **المرجع نفسه** ،ص: 13 .

ذلك أن هذه النقطة ستكون فيما بعد نقطة ا لاف الرئيسية بـ العرب والأتراك[1].

وحسب تقديري فإن الاستبداد والعنصرية كانا السبب الرئيسي و ا عارضة، و ظهور ا معيات والأحزاب السياسية، ال وإن تنوعت مشارب قاد ا وزعمائها الثقافية، فإ ا اتفقت على الدعوة إ الشورى صيانة لوحدة الدولة،و ا ة للعدوان ا ارجي والتوسع الاستعماري.

ب- أهدافها ومبادؤها:

كانت أهداف ا معية متماشية مع مواقف رشيد رضا سياسته العثمانية. فقد حورت حول نقد ا كم الفردي، وإبراز مزايا ا كم الشوري، والدعوة لإعلان الدستور[2]. وا طلع على نصوص ا نار كنه الإشارة إ أن أهداف ومبادئ ا معية قد صيغت وثيقة هامة هي نص اللائحة الأساسية للجمعية ال نشرها الشيخ لته. وتتكون من عشر مواد. تؤكد الوثيقة أن القصد من تأسيس هذه ا معية هو جعل ا كومة دستورية شورية، وأ ا ستعمل ما وسعها للوصول إ غرضها بالطرق السلمية، وأ ا تتألف من يع العثماني دون التفات للدين وا نسية ، وأن مركزها القاهرة، وأن ا دف الأساسي للجمعية هو إقامة الشورى على وجهها القطعي الدولة العثمانية ونشر العدل والترقي [3].

كن للباحث أن يستشف من قراءة هذه الوثيقة و ليلها أن ة إحساسا عميقا،وقناعة مطلقة لكت يع ا صلح ومن بينهم رشيد رضا،مفادها أن سبب التخلف الاقتصادي،والتخبط السياسي،والضعف العسكري مرجعه الاستبداد،وأن الرقي وجسر الفجوة بـ العثماني والأوربي لا كن أن يتحقق إلا بالارتكاز على قاعدة الشورى،وإزالة ا كم الاستبدادي الفردي.

أما فيما يتعلق بادئ ا معية فيمكن استخلاصها من القانون الأساسي على الشكل التا :

1- إقامة الشورى كمبدأ ب ارسته نظام ا كم كما حدده الإسلام، ومارسه ا سلمون العهود الزاهرة.

---

[1] - إبراهيم أحمد، العدوي، **رشيد رضا، الإمام المجاهـد،** (د.ط) ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنبـاء والنشر- الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.م.ط)، (د.ت) ،ص، 223 .

[2] - دروزة ، **مرجع سابق** ، ص، 103. الدوري، **مرجع سابق،** ص: 166.

3- محمد رشيـد، رضـــا، " **جمعيــــة الـشـورى العثمانيــة** "، مجلـة المنــــار، م 9، ج12 (القاهرة، غرة ذي الحجة 1324 هـ - 13 فبراير (شباط) 1907 م)، ص: 952.

2- ـاربة الطائفية والعنصرية، وفتح الباب ـميع العثمانيـ للانضمام للجمعية.
3- تبـ الأساليب المشروعة والعلنية لتحقيق أهدافها[1].

ج- نشاطها:

يبدو أن المؤسسـ للجمعية[2] كانوا يدركون أن استمرار الصراع الداخلي، والاستبداد السياسي كفيلان بتفجـ وحدة الدولة. ولذلك اهتموا وعملوا بشكل واضح على استيعاب و ثل ـيع القوميات العثمانية المقيمة ـ مصر. وقد تأسست عدة فروع ـذه الـمعية ـ عدة أقطار[3]، وكانت تطبع منشورا ـا باللغتـ العربية والتركية، وترسلها إ فروعها ـ البلاد الأجنبية، الـ تتو توزيعها ـ الولايات ، بل أن بعض المنشورات كانت ترسل ـ البواخر الروسية مع المسافرين إ البحر الأسود، ومنها ترسل إ بلاد الأناظول. و عام 1907 أصدرت جريدة ناطقة با ـها ـمل اسم الـمعية. ويذكر رشيد رضا أن السلطان عبد الـميد الثا ـا علم بتأسيس هذه الـمعية، و س نشاطها، وشعر بالأخطار الـ قد تنجم عنها أخذ ـ مقاومتها حـ هجر النوم مضجعه ثلاث ليال، وأنه أطلق عليه اسم الـمعية الافسادية[4].

ورب سائل يتساءل عندما يناقش فكر رشيد ضا السياسي أن يطرح سؤالا جوهريا: هل كان يؤمن بنظرية المستبد العادل ودور الفرد- البطل ـ صناعة التاريخ وتوجيه أحداثه ؟ وما مدى توافق ذلك مع ـاربته للاستبداد، والـكم الفردي الذي مثله السلطان عبد الـميد الثا ؟ وهل يفهم من كلامه أن الإصلاح المفروض من المستبد يعتـ طريقا رئيسا من طرق الإصلاح؟.

الواقع أن الشيخ ، وإن كان يؤمن بنظرية المستبد العادل[5] مع ما ثل ذلك من تناقض مع دعوته للشورى ، فإنه و خضم جهاده السياسي لاحظ بعد سنوات من حديثه أن ارتقاء أوربا، وتطورها، وازدهارها ـ ـيع الـالات ـ يتأت إلا بعد إنشاء الـمعيات[6].

---

[1] - الريماوي ،" صفحات. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 143.
[2] - المؤسسون هم: الشيخ رشيد رضا، رفيق العظم، حقي العظم، الضابط صائب بك، عبد الـ جودت بك.
[3] - محب الدين، الخطيب، " **مذكرات محب الدين الخطيب** " ، مجلة الثقافة، س2 ،ع10، (الجزائر، سبتمبر 1972)، ص: 67.
[4] - رضا ، " فاتحة السنة الثانية عشرة. . ."، **مرجع سابق**، ص: 13.
[5] - أومليل،**مرجع سابق**، ص :205.
[6] - أبو حمدان ، **مرجع سابق**، ص:83.

واللافت للانتباه أن أفكار الشيخ عن ا ستبد العادل مستمدة نظري من الشيخ مد عبده الذي سبقه إ ذلك[1]، مع أنه لا عدل مع الاستبداد، وأن حصر السلطة بيد واحدة لن يترتب عنه سوى قيام حكم استبدادي قمعي[2].

و معرض الإشارة إ ما استفاد منه ا سلمون من أوربا يقول : ((فأعظم فائدة استفاد ا أهل الشرق من الأوربي معرفة ما ب أن تكون عليه ا كومة واصطباغ نفوسهم با ، ح اندفعوا إ استبدال ا كم ا قيد بالشورى والشريعة با كم ا طلق ا وكول إ إدارة الأفراد. فمنهم من نال أمله على وجه الكمال كاليابان، ومنهم من بدأ ذلك كإيران، ومنهم من اهد سبيل ذلك بالعلم واللسان كمصر وتركيا. . فإن القوم الذين يرضون أن يستبد بم حاكم يفعل فيهم ما يشاء و كم ا يريد ينبغي أن يعدوا من الدواب الراعية والأنعام السائمة **))[3].**

لكن رشيد رضا دعوته الواضحة للشورى، ومناداته برفض الاستبداد، ونعته للرعية بالدواب يوضح لنا الطرق ال ب أن يسلكها الشعب مقاومته للاستبداد الاستعماري الذي يدع صراحة إ مقاومته، ولا مكافحة استبداد ا اكم، على الرغم من أنه أعت أن الأجانب ا اكم لبلاد ا سلم أكثر ليونة وتساهلا بعض ا شاريع كالتربية، والتعليم من بعض ا كومات الإسلامية ا ستبدة.

ولذلك فإن ما سبقت الإشارة إليه يدفعنا إ القول أن الشيخ يكون قد سكت عن استبداد السلطان بسبب تأثره وقف الإمام مد عبده، الذي وقف وجه ا طالب با كم الد قراطي وا ياة النيابية والدستورية مصر، حيث كتب مقالة بعنوان " خطأ العقلاء " ادعى فيها أن ا صري اخطأوا عندما طالبوا با كومة الشورية الد قراطية[4]. لكن هل يع هذا أن الشيخ رشيد رضا أصبح متأثرا فيما بعد بالأفغا عندما طالب بالشورى؟ وإذا كان مد عبده قد اعت ا طالبة بالدستور نوعا من التقليد الأعمى للغ فهل كن القول أن رشيد رضا اوز أفكار شيخه، واقترب كث ا من الأفغا عندما طالب بالدستور ؟.

---

[1] - عبده،ا لأعمال ، طبعة 1993،ج1،**مرجع سابق**، ص ص: 845،846.

[2] - أبو حمدان ، **الإمام محمد عبده ، جدلية العقل والنهضة**(د.ط) ، دار الكتاب العـالمي ، لبنـان، 1992 ، ص ص: 67،68 .

[3] - محمد رشيد، رضـا،" **منافع الأوروبيـــن ومظارهم في الشـــرق- 3-**" ،مجلة المنـار ، م10 ،ج 4 (القاهرة، ربيع الآخر 1325هـ - 11 يونيـو (حزيران)1907م)ص ص: 282،283 .

[4] - عبده ،الأعمال ، طبعة 1972 ، ج 1،**مرجع سابق**،ص: 307.

الواقع أن رشيد رضا كان متأثرا بأفكار ا معا. ولكنه كان يتخذ ا واقف ا ستقلة عندما يراها مناسبة، مع الأخذ بعـ الاعتبار أن الظروف الـ مر ا وعايشها، والتحولات السريعة الـ عرفتها الدولة، تلف عما كان عليه الوضع أيام الأفغا وعبده. وعلى الرغم من مقاومة السلطان العثما معية الشورى العثمانية، والتضييق على أعضائها وملاحقتهم، فإ ا استمرت نضا ا ضد التسلط ا ميدي حـ حدوث انقلاب 1908 ، الذي شاركت فيه ا معية بشكل غـ مباشر. و ـدر الإشارة إ أن أعضاء عية الا اد والترقي حاولوا التقرب من عية أعضاء الشورى العثمانية بعد إعلان الدستور كمرحلة أو لاحتوائهم وتدجينهم، غـ أ م فشلوا بداية الأمر، ا دفع م إ تبـ أسلوب التفتيت حيث أثروا على بعض أعضاء ا معية كرفيق العظم، وحقي العظم عند زيار ما للأستانة. وبذلك حقق القابضون أو ا سيطرون على زمام ا كم الدولة ما كانوا يسعون إليه، حيث تفرق ـل أعضاء عية الشورى، و اية ا طاف حلها من قبل الا ادي [1].

3- موقفه من سياسة الا ادي :

رغم مشاركة رشيد رضا العثماني فرحتهم بالانقلاب الذي قادته عية الا اد والترقي، إلا أنه دعا إ التريث والترقب حـ تتضح الصورة، ولا يصدم الناس آما م وطموحا م. وإذا كان قد طرب لإعلان الدستور، وأعتـ تاريخ إعلانه عيداً وطنيا للأمة، فإنه شعر بأن حكام الأستانة ا ـدد يطبقون سياسة استبدادية لا تلف عن السياسة السابقة. وقد ـس ذلك عندما زار طرابلس، وتعرض للضرب من قبل أفراد إحدى العصابات، الـ كان الشيخ يعلم أن السلطان عبد ا ميد الثا سبق له وأن استخدمها لإرهابه مع أفراد عائلته. وقد ندد ـذا ا ادث، وطالب بضرورة تنظيم الشرطة وحفظ الأمن العام[2]، خاصة وأنه تعرض ادثة اثلة عقب تقد ه لدرس ا سجد الأموي بدمشق، عندما اعترض الناس على كلامه حول الأولياء، والذي أثار شعور العامة، و ـول إ أعمال شغب لولا تدخل السلطات ـل الأزمة ا فتعلة.

---

[1] - الريـ ـ ـمـ ـ ـ ـاوي ،" صفحات . . . " ، **مرجع سابق**، ص: 145.

[2] - محمد رشيـ ـد، رضـ ـا،" **الإصـلاح الأهـ ـم المـ ـقدم في المملكة العثمانية** "،مجلة المنـ ـار،م12،ج1 (القاهرة ،30 المحرم 1327 هـ - 21 فيفري 1907م)، ص:27.

وقد ص لنا الشيخ رشيد رضا النتائج ال خرج ا من زيارته للشام فيما يلي:

1- أنه شى من اعة الا اد والترقي الاندفاع و الطريق الذي سار فيه ا ستبدون من رجال السلطان عبد ا ميد. فقد زار ا دن السورية، وعاين عجز الا ادي عن السـ الطريق القو .

2- أصبح شى من استمرار تدخل الضباط السياسة وحجم الأخطار ال قد تترتب عن ذلك.

3- إن السلطة ا ديدة سن انتقاء العمال وا كام، ولذلك بدأ الفساد يستشري مفاصل الدولة.

4- إنتشار الا امات ا وجهة من قبل العرب للا ادي بالتعصب با نسية التركية وإ ال مصا هم ، والاستهانة قوقهم [1].

وللوقوف على حقيقة الأمر ، والتأكد من درجة صدقية تلك الا امات قرر أن يسافر إ الأستانة. وقد كان ذه الزيارة نتائج واضحة على التفك السياسي لرشيد رضا، حيث كشفت له نقاط ضعف كث ة ، وبوادر خلل متعددة لدى أعضاء عية الا اد والترقي كن إبرازها فيما يلي :

1- قلة ا ة وتنافسهم على ا ناصب وسعيهم دمة ا صلحة ا اصة، وإ ا م ا صلحة العامة. كما أقر بوجود سوء تفاهم بـ العناصر ا كونة للدولة خاصة العرب والأتراك. وعزاه للسياسة العنصرية ال أصبح ارسها الا اديون على أرض الواقع.وقد عرفت هذه السياسة با ركة الطورانية، وقوامها ميل العثمانيـ إ ربط تار هم بالعناصر التركية، والقضاء على أي حركة، أو ضة بـ الشعوب والقوميات التابعة ا.[2] وقد أخذت ا وة تتسع بـ الطرفـ عندما أخذ الكتاب الأتراك ا قيمون مصر يكتبون جريدة الأهرام مقالات يفاخرون العرب فيها بقومهم وجنسهم. وادعوا أن الترك هم الذين أزالوا ا كومة الاستبدادية وأعلنوا الدستور، وبالتا لا ق للعرب وغ هم من الأجناس الطمع مساوا م

---

[1] - العدوي ، **مرجع سابق** ، ص: 227 .

[2] - هدى، درويش ، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية**،ج1،ط1، دار القلم،دمشق،2002، ص ص: 295،294 .

مناصب الدولة وأعما ا، لأن ولايا م عبارة عن مستعمرات للترك[1]. وكنتيجة لذلك ب أن يكون حظ العرب من الدستور الراحة من الظلم ، وتذوق طعم العدل ، وأن يكونوا من الترك كأهل ا زائر من فرنسا، أو أهل ا ند من ا لترا. و ا زاد الأمر سوءا ما نشرته جريدة '' إقدام '' ودعت من خلاله إ تنقية اللغة التركية من الألفاظ العربية. ويتساءل الشيخ: اذا طلب هذا ا صلح تطه لغته من العربية دون الفارسية أو الفرنسيـة؟وأعتـ ذلك طعنـا كتاب ا ، وأحـاديث الرسول (ص)،وأن هذه الدعوة ليست سوى مقدمة للإرتداد عن الإسلام[2].

2- عدم اعتراف الأتراك بدور العرب اربة الاستبداد ونضا م من أجل الدستور، وضعف الترحيب م عند زيار م الأستانة.

3- إسراف ا كومة عزل أبناء العرب من وظائفهم ، وتصفيتهم من ا راكز ا همة العاصمة والولايات. فقد أخرج ثلاثة عشر متصرفا عربيا وع مكا م أتراك ، و يبق وزارة ا ارجية إلا عر واحد بعد أن كان عددهم اثـ عشر موظفا من أصل ستمائة موظف يشتغلون بالوزارة ، وع موظف عر واحد وزارة ا الية مقابل إحدى عشر تركيا،وثلاثة عشر يهوديا،وعشرة من الأرمن، وأربعة من الروم. كما أرسلت عام 1909 بعثات علمية إ أوربا لإ ام الدراسات العليا ، بلغ عدد الطلبة فيها أربعمائة طالب يكن بينهم سوى عربيـ .[3]

4- تعمد إضعاف اللغة العربية ونعتها باللغة ا يتة ، وعدم مساير ا للتطورات العلمية من خلال :

- جعل ا رافعات اكم الولايات العربية باللغة التركية رغم جهل أغلب الناس ا.
- جعل الكشوف الـ يقدمها التجار من أبناء العرب بلادهم إ ا مارك باللغة التركية أو الفرنسية إذا تعذر ذلك.
- رفض عرائض الشكوى باللغة العربية حـ لس الأعيان .

---

[1] - توفيق، برو ،**العرب والترك في العهد الدستوري1908-1914** ،(د.ط)، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة،1960، ص: 96 .

[2] - محمـــد رشيـد، رضـا،" **العـرب والتـــرك -4 –** "، مجلـة المنـــار، م 12، ج12 (القاهرة ، سلخ ذي الحجة 1327 هـ - 11 يناير (كانون الآخر) 1910 م)، ص:916.

[3] - دروزة ، **مرجع سابق** ، ص:301.

- إلغاء الدروس باللغة العربية من ا كتب ا لكي، وجعل العربية ا دارس الإعدادية اختيارية كاللغة الأرمينية واللغة الرومية، رغم أن اللغة العربية لغة الدين الإسلامي، الدين الر ي للدولة.
- إرسال النظارة سة وسبع طالبا من مكاتبها إ أوربا لتحصيل العلوم العالية، ليس فيهم سوى اثن من العرب.
- إرسال معلم من الترك إ مدارس البلاد العربية لأجل تعليم العربية وهم هلو ا.
- تعصب بعض ا علم ا كاتب العالية ضد أبناء العرب، وإ اعهم ما رح عواطفهم أثناء الدروس.[1] والأغرب من ذلك هو وأنه بعد انقضاء شهر واحد من افتتاح ال ان ألقى وزير الأوقاف وهو عر بيانا باللغة التركية ختمه بدعاء باللغة العربية، ا دفع النواب الأتراك إ الاحتجاج مطالب باستعمال التركية.[2] ا يع أن رغبة الترك أصبحت جا ة صهر العرب وبقية الأجناس والعناصر الأخرى البوتقة التركية.[3]

5- ا ام الأتراك العرب بأ م يسعون إ إقامة خلافة عربية، وضعف ولائهم للدولة العثمانية. ولذلك كان العرب يفسرون نقل الضباط إ الأستانة، وتفريقهم البلاد التركية تفس ا سلبيا.

6- عدم مراعاة ا ساواة التمثيل النيا لس الأعيان وا بعوث . حيث حصل الأتراك على نصيب الأسد بسبب تزوير الانتخابات. فعلى سبيل ا ثال كان عدد أعضاء لس ا بعوث مئت و سة وأربع عضوا منتخبا من بينهم مئة و س عضوا من الترك وستون من العرب فقط، رغم أن العرب أكثر من الترك[4]،إلا أن نسبة ثيلهم بسيطة ، وهذا ما ساهم توسيع رقعة ا لاف، وإذكاء نار الصراع ب العرب والأتراك لاحقا. ورغم ذلك ظل رشيد رضا يدعو إ الا اد ب العناصر ا كونة للدولة، وينادي بضرورة التمسك با امعة العثمانية، وأن ا اد

---

[1] - رضا، " العرب والترك- 4 –. . . " ، **مرجع سابق**، ص ص: 917،918.

[2] - برو ، **مرجع سابق** ، ص: 99 .

[3] - محمـ ـ ـد رشيـ ـ ـد،رضـ ـا، "**الجنسـيات فـي المملكـ ـ ـة العثمانية** "،مجلة المنـ ـار،م17،ج7 (القاهرة، سلخ رجب 1332 هـ - 23 يونيو 1913 م) ص 534 .

[4] - بلغ عدد سكان الدولة العثمانية عام 1908 باستثناء مصر 22 مليون نسمة ، بينهم سبعة ملايين ونصف من الأتراك ، وعشرة ملايين ونصف من العرب ، والأربعة ملايين المتبقية من اليونانيين، والارناؤوط (الألبانيين)،والأرمن، والأكراد، وعناصر أخرى أقل شأنـ ـا وعددا. أنظر:انطنيوس، **مرجع سابق**، ص:179 .

الترك بالعرب تتوقف عليه حياة الدولة العثمانية ، وأن التنافر صور بـ ا تزا على أعمال الدولة ومناصبها.[1] وقد بلغ به الدفاع عن وحدة العنصرين أنه كان ينفر السوري من عية الإخاء العر - العثما من تسميتها بالعربية لئلا يفهم الترك معـ العصبية ا نسية.[2] ورغم ذلك ظل يرى أن عظمة الدولة العثمانية، أو عز ا وسائر ما يرجى مستقبلها الدستوري يتوقف على العنصر العر ما لا يتوقف على عنصر آخر يطلب ا ادها حـ التركي منها. كما أن البلاد العربية أوسع مساحة، وأغزر ثروة، وأحسن موقعا، وأشرف بقعة، وأهلها أقدر على الزراعة والصناعة والتجارة، وأكثر استعدادا للعلم، وإصرارا على القتال.[3]

7- امل التـرك على العـرب شخص أ ا دى الصيـادي، و يب ملحمة، وأ د عزة العابد. حيث أصبحوا مادة للصحافة ا زلية من خلال رسم صورهم بشكل كاريكاتوري مهـ تشتم منه رائحة الشماتة. وكانت تضاف كلمة عرب إ أ ائهم، حيث كان الترك إذا خطبوا ضدهم أضافوا الكلمـة أيضا وخاصة قو م" عرب عزت " أو "عرب يب " للتشهـ م، وا ط من كرامتهم وتشويه صور م. وا دهش أ م يضيفوا هذه النسبة إ رجال الترك من موظفي العهد ا ميدي.ولذلك كان العرب تجون على هذه ا عاملة قاطعة ا طباء الترك. كما تقتصر هذه ا ملات على أشخاص العرب ا ميدي ، بل امتدت إ كل عر ،حيث ربط اسم العرب بلفظ " بيس عرب " ،وكلمة "بيس" بالتركية معناها قذر.[4]

8- أحداث اليمن ورغبة الأتراك سحقها عسكريا، بدل اللجوء إ التفاهم وا وار. و ا زاد الأمر سوءا، أن ذلك تزامن مع التهديد الايطا باحتلال طرابلس الغرب . وقد تساءل الكثـ من أحرار العرب: هل نقل حامية طرابلس إ اليمن كان رد صدفة ؟ وهل نقل العراقي للقتال القوقاز ضد روسيا لتسهيل احتلال جنوب

---

1 - رضا، " العرب والترك – 4 -. . . ."، **مرجع سابق**، ص: 919.

2 - محمـد رشيـ ـد، رضـا، " **الدستـ ـ ـور وجمعيـ ـة الاتحـ ـ ـاد والترقـي وسـائر الجمعيـات**"، مجلة المنار،م12،ج3 (القاهرة، 30 ربيع الأول 1327 هـ - 21 افريل 1909 م)، ص: 239 .

3 - رضا، " العرب والترك – 4 -. . . ."، **مرجع سابق**، ص: 923.

4 - عمارة ، عبد الرحمن الكواكبي ، **مرجع سابق**، ص ص: 61،60 .

العراق من قبل بريطانيا كان ـرد صدفة أيضا، أم كان خطة مدبرة وإستراتيجية متفق عليها ؟[1].

9- أ م أضاعوا ثلثي ا ملكة بإضاعة طرابلس الغرب وبرقا ، و يع الولايات الأوروبية ومعظم ا زر البحرية.[2]

وعلى ضوء ذلك ددت سياسته وقامت على السعي لإقرار التفاهم ب اقوي عناصر الدولة،و ا العرب والترك ،لأ ما الركنان الأساسيان لبناء ا لافة الإسلامية ، وأ ما امتزجا كامتزاج الأوكسج والادروج تكون ا اء.[3]

وبعد ليل تاريخ العلاقات العربية– التركية،وما شا ها من صراع حصر سوء التفاهم أمرين:

1- تعا الترك عن العرب بالنعرة ا نسية ، واحتكارهم ناصب الدولة .

2- التقص نشر اللغة العربية .

وإذا كان الشيخ قد برر الاستعلاء التركي بالرغبة ا فاظ على امتيازا م الشخصية ومصا هم الذاتية، فإنه د م را للأتراك بالنسبة للأمر الثا ، على أساس أن اللغة العربية لا تقل أ ية عن اللغة التركية وهي اللغة الر ية. وحدد سة أمور تتفوق فيها العربية وتتميز فيها عن التركية:

- إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكر ، والسنة النبوية الشريفة، وهي أصل الدين الإسلامي، الدين الر ي للدولة الذي ب على خليفة ا سلم نشره و ايته.
- إن السواد الأعظم من أهل ا ملكة مسلمون تاجون إ العربية فهم دينهم، وطاعة ر م، وتدبر معا القرآن الكر .
- إن الشريعة الإسلامية هي الينبوع الذي نستمد منه الأحكام، ال كم ا الأحوال الشخصية وا دنية، ومعظم الكتب ال يعتمد عليها مكتوبة باللغة العربية.
- إن العنصر العثما العر ، هو أك العناصر، وأبعدها عن معرفة اللغة الر ية للدولة.

---

[1] - ساطع، الحصري ، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية** ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية لبنـان، 1985 ، ص: 153 .

[2] - محمـ ـ ـد رشـيـ ـد، رضـا ،" **المـسألة العربيـ ـ ـة عنـد الاتحاديـ ـ ـن** "،مجلـة المنـار ، م16، ج 4 (القاهرة، 29 ربيع الآخر 1331 هـ - 7 افريل 1913م)، ص: 315 .

[3] - رضا، " العرب والترك – 1 -. . ."، **مرجع سابق**، ص: 818.

- إن اللغة العربية أصل من أصول اللغة التركية الر ية يث يقرب أن تكون ثلث مفردا ا، أو نصفها مستمدا منها، ولا سيما ا فردات علوم الطب، والتشريح والنبات، وا يوان . لذلك فإن تعليم العربية الدولة يقوي من تعليم اللغة الر ية.[1]

وحسب تقديري فإن إستمرار الشيخ ترديده لدعوة التفاهم ب العرب والترك كانت نا ة من موقع عر ، عثما ، إسلامي[2]، ومبنية على أن السياسة الاستعلائية ا تطرفة ، وأساليب التتريك لا تع عن رأي الأتراك يعا،ولكنها رأي الأقلية فقط. وهنا نسجل نزوعه الدائم و الت ير. فوحدة العنصرين نظره مي الدولة من الأخطار ا ارجية، وتقيها من التفكك الداخلي.ورغم ذلك كان لك قدرة فائقة على ا مع ب التنظ وا مارسة العملية. فهو بعد أن شخص العلاقة ب العرب، والأتراك قدم لة من الاقتراحات لإزالة سوء التفاهم:

- ضرورة إبتعاد الصحافة عن ا وض مسألة ا نسية النسبية واللغوية، وإبراز ا نسية السياسية ا ع عنها بالعثمانية، والتخلي عن ذكر لفظ عرب وترك.
- عدم ميل ذنب الأفراد للشعب كله .
- دعوة ا رائد لفتح أبوا ا للمقالات،والأفكار الداعية إ ا اد العناصر العثمانية مع بيان فوائدها للجميع.
- دعوة ا رائد التركية للاطلاع على ا رائد العربية ، وتر ة ما يكتب فيها من مقالات تدعو للوحدة.
- دعوة ا كومة إ ا ساواة ب العرب، والأتراك الوظائف ، وزيادة عدد العرب لس الأعيان ، وقطع دابر العصبية ا نسية من مكاتب ا كومة.
- العناية بتعليم اللغة العربية مكاتبها ، و ا دارس الدينية العاصمة لإرضاء العرب.
- العناية بنشر العلوم وا عارف، وأسباب العمران الولايات العربية كغ ها من الولايات الأخرى.
- الإخلاص التام تنفيذ القانون الأساسي، وإعطاء يع العناصر حقوقها.[3]

وإذا كان الشيخ قد ختم مقالته الداعية إ إزالة سوء التفاهم ب العرب والترك، وعدم ميل

---

1 - رضا، " العرب والترك - 4 –. . ." **مرجع سابق**، ص ص: 926 ،927.

2 - وجيه، كوثراني ، " **العثمانية من السلطنة إلى الدولة القومية** " ، مجلة الفكر العربي المعاصـر ، ع 3 ، (لبنان ،تموز 1980)، ص: 100 .

3 - رضا،" العرب والترك -4- . . . " **مرجع سابق** ، ص ص:930، 932.

أي طرف مسؤولية ذلك، فإن ا دقق الاقتراحات ال قدمها، يلاحظ أنه مل الطرف التركي ذلك بدليل أنه ربط اح هدفه الأساسي دى قدرة الأتراك على الالتزام بتنفيذ تلك الاقتراحات.وإذا كانت مطالب الشيخ السنوات الثلاثة الأو كم الا ادي بسيطة ، و تأخذ طابعا سياسيا، من خلال ا طالبة بإشراك العرب إدارة، وحكم الدولة، فإن أخطاء الا ادي استمرت، وأصبحت دد كيان الدولة خاصة بعد إحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب وتساهل الصدر الأعظم حقي باشا مع الايطالي ، وغياب ا دية الدفاع عن الولاية. ورغم ذلك كله دعا الشيخ كافة العرب والعثماني إ الاستمرار تأييد الدولة ، والتطوع با ال، والرجال للدفاع عنها، وصيانة وحد ا، بل واستخدام سلاح الدين التحريض على ذلك ، وتصوير الاحتلال الايطا وكأنه صراع ب ا لال والصليب، وأنه حلقة سلسلة ا روب الصليبية[1]. كما أهاب بطلاب الإصلاح العرب، والترك التوقف عن مطالبهم، بل وطالب زعماء العرب، وقاد م خاصة ا زيرة العربية بتقد الدعم للدولة العثمانية. كما ترجى الشيعة العراق، وإيران بضرورة اوز أحقاد ا اضي، ونسيان الاختلافات ا ذهبية ودعم الدولة.إلا أنه مع بداية1912 بدأت الأمور تتغ ، وتتخذ منحى خط ا علاقات العرب بالأتراك، حيث ثبتت ايطاليا أقدامها طرابلس الغرب، وخيبت آمال الكث من العرب وا سلم . و اية السنة ا ذكورة اندلعت ا رب البلقانية، وانتهت إ نكبة كب ة وكارثة عظمى، سا ت ا يار ما تبقى من ثقة لدى رعايا الدولة رؤيتهم للا ادي . كما أن ا اد أعضاء عية الا اد والترقي،و اربتهم للدين، وعبثهم با امعة الإسلامية، ورغبتهم و الإسلام،وتأسيس دولة تركية ضة، وجعل الولايات العربية مستعمرات ذه الدولة، وتتريك سائر العناصر العثمانية ومن تقدر على تتركيهم من العرب أيضا[2]، قد كرس أيضا تلك النظرة. ولذلك ل الشيخ الا ادي ا سؤولية واعت ما حدث نتيجة طبيعية لسلسلة من الإجراءات ا اطئة ال طبقوها. ومن جهة أخرى أخذت النـزعة الطورانية تتضخم ح صارت ظاهرة قائمة بذا ا، وا ذت من الشباب ا تحمس ا دارس العسكرية وسيلة لسحق العناصر غ التركية طرقة تركية.و هذا ا ال أصدر كاتب إ ه''عبيد ا ''

---

[1] - محمـد رشيـد، رضـا،" **المسألـة الشرقيـــة(2)**"،مجلة المنـار، م14، ج11 (القاهرة ،30 ذي القعدة 1329 هـ - 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 1911م)، ص:836.

[2] - محمد رشيد، رضا، " **عبر الحرب البلقانية وخطـر المسألة الشرقيـة(3)**"،مجلة المنـار، م16،ج2 (القاهرة، 29 صفر 1331هـ - 6 فيفري 1913م)، ص: 136.

كتابا عنوانه " قوم جديد"[1] دعا فيه شباب الترك إ التعلق بتاريخ الأتراك، وتبجيل قاد م وزعمائهم القدماء مثل جنكيزخان، وهولاكو ، وتيمورلانك، واوغوز، وا دد مثل أنور، وطلعت، و ال، وطالب بضرورة تعليق أ ائهم ا ساجد عوضا عن أ اء الصحابة الكرام، مثل: أبو بكر ،وعمر، وعلي، وطلحة، وخالد وغ هم. و يتوقف الأمر عند هذا ا د. فحينما يذكر إسم من ملوك التتار والترك ا شهورين، يردف الاسم بعبارة " صلى ا عليه وسلم" أو " رضي ا عنه " أو " عليه السلام ". كما تفس القرآن الكر ، والأحاديث النبوية الشريفة بشكل يشوه معناها ا قيقي، و رف مغزاها الربا . كما حضر تسمية ا نظمات وا معيات، والأندية بأ اء قومية على العرب، بينما تشجيع الأتراك على تسمية عيا م على أساس قومي ي ز طابع العنصرية، مثل عية (ترك اوجاغي)، أي الكيـان التركي، و عية (ترك يوردي)، أي ا ملكة أو البلاد التركية[2]. وقد ترتب عن هذه السياسة العنصرية ا تطرفة جيد الأتراك للقومية، والتاريخ، وتأليف الكتب، والأناشيد القومية[3] غرس روح الاستعلاء[4] لدى الشبـاب ح وصـل الأمر ـم إ ا ســاواة ب الرسول (ص) وجنكيزخان حيث كانوا ينشدون بيتا شعريا يقول :

جد مز خنكزخان عقلد بزم جد مز ا سـ معاد لرربزم[5]

---

[1] - محمد رشيد، رضا ، " **حقـائق فـي عـداوة ملاحـدة التـرك للإسـلام**" ،<u>مجلـة المنـار</u>،م29،ج6 ، (القاهرة، 30 ربيع الآخر 1347 هـ - 14 أكتوبر 1928م) ،ص: 460.

[2] - دروزة ، **مرجع سابق** ، ص، 302.وزين ، **مرجع سابق**، ص: 89.

[3] - من الأناشيد التي كانت تعد بمثابة دعاء يلقى في المساجد عقب الصلاة:((أيها الإله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن إليهم بذئب أبيض وأشملهم برعاية مولانا السلطان الأعظم. وأنت يا مملكة توران الجميلة المحبوبة أرشدينا إلى الطريق المؤدية إليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا. أيها الإلـه القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناظر وأهدنا الصراط المستقيم)) انظـر: محمد رشيد، رضا ، " **الجمعيـات الاتحاديـة وتكـوين العـصبية التركيـة** "، <u>مجلـة المنـار</u>، م 19، ج9، (القاهرة، 30 ربيع الآخر 1335هـ - 22 فيفري 1917م)، ص: 559.

[4] - كان الأتراك يرددون: ((نحن ترك وأنت (يا آسيا) أمانة بيد الترك فلا تخشي شرا لأننا نفديك بأرواحنا. انهض أيها الفتى التركي، فقد نمت طويلا، وأسرع في الحال إلى إمداد أجدادك فلا يحق لنا أن ندعى أتراكا ما لم ننتقم من أعدائنا. فلنسكت اليوم عن نعيقه وليكفنا ما سمعناه من الضجيج والنحيب. لقد سار أجـدادنا إلـى المجـد تحـت العلـم الأحمـر الـذي هـو مـصدر عظمـة تـوران الجديـد)) . **المرجـع نفـسه**، ص ص: 959،560.

[5] - جدنا جنكيزخان عاقل معادل لجد الحسين.

ويعتـ مد دروزة الذي عاش تلك الفترة واكتوى بنارها أن هذه الـواقف،والتصرفات قد ساهمت تقوية الروح القومية العربية ، والدعوة إليها والتذكـ بالأ اد العربية ، وأن الكثـ ن انتسبوا معية الا اد والترقي أخذوا ينسحبون. وكان كل واحد منهم ، ومن منطلق الـ فاظ على وحدة الدولة، وتقوية روابط الا اد بـ عناصرها يذكر الأتراك بأ م شركاء م الدولة، ويطالبون باحترام العربية، وبنصيبهم الـشاريع ، تطور الأمر لاحقا إ الـطالبة بالاستقلال الداخلي، الانفصال، والثورة اية الـطاف[1].

و در الإشارة إ أن معا سياسة التتريك ، وا مارسة القومية الاستعلائية الـتطرفة الـ مارسها الا اديون على تلف الأجناس البشرية الـشكلة للدولة، قد ساهمت مـضاعفة شـكوك العرب حول مدى إخلاص عية الا اد والترقي لاعتبارات عديدة، لعل من أبرزها أن قـادة الـ معية وزعماءها كانوا يعا من البنائ الأحرار[2]، وأن يهود صالونيك كانوا جزءا لا يتجزأ منها. كما أن اليهود كانت م أطماع وأحلام توسعية ليس فقط فلسط وإ ا أيضا بقية أ اء الدولة العثمانية. كما أن الـ معية كانت تتعامل مع الأجانب بشكل يثـ الريبة ويطـرح علامات استفهام كبـ ة، خاصة أن بة من الأتراك الا ادي كانوا من الأعضاء الأوائـل الـ افل الـ اسونية[3]، الـ كانت منتشرة الدولة العثمانية[4]. حيث قدر عدد الـ اسون الأتراك عام 1882 و عشرة آلاف شخص من بينهم الوزراء والنواب وقادة الـ يش وكبار الـ سؤول[5].

ويؤكد الـ ؤرخون أن الـ اسونية هي من إفرازات الـ ركة الصهيونية ، ويوردون موعة من

---

[1] - دروزة ، **مرجع سابق** ، ص: 304.

[2] - رضا، " عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية(3). . . " ، **مرجع سابق**، ص، 137. أنظر أيضا: شكيب، ارسلان، **تاريخ الدولة العثمانية**، حققه وعلـق عليه حسن السماحي سويـدان ، ط1 ، دار ابن كثيـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع ، بيـروت، 2001 ، ص: 327 . ومحمـد رشـيد، رضـا ، " **الماسـون فـي جمعيـة الاتحـاد ومجلـة ديـن ومعيـشت** "،مجلـة المنـار، م 14، ج4 (القاهرة ،3 ربيع الآخر 1329 هـ - 29 أبريل 1911م) ،ص: 318.

[3] - تطرح الماسونية نفسها على أنها مؤسسة إحسانية، وجمعية فكرية تسعى إلى تحـسين الـشروط الماديـة والمعنوية للبشرية ، والارتقاء بها إلى مستوى ثقافي وحضاري رفيع. نـشاطها محـاط بالـسرية والكتمـان الشديدين الأمر الذي يثير علامات استفهام كبيرة حول نشاطها وارتباطها بالصهيونية والحركة الاسـتعمارية. تعيد الماسونية نفسها إلى أربعة آلاف عام قبل المسيح . عرفت انتشارا كبيرا في البلاد العربية والإسلامية في القرن التاسع عشر. الكيالي وآخرون، موسوعة ، ج 5 ، **مرجع سابق** ، ص ص: 657 ، 661 .

[4] - حسن،حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركـة الـصهيونية 1897-1909**،ط3، الـدار الجامعيـة، بيروت،1986 ، ص 330.

[5] - درويش، **مرجع سابق**، ص:300.

الأدلة، منها أن عية الا اد والترقي ولدت ا فل ا اسو ا سمى " ماكدونيا ريرتورا"، وأن أعضاء ا معية كانوا يعقدون اجتماعا م السرية ا افل ا اسونية[1]، وأن انتخابات " لس ا بعوث " أسفرت عن احـ سة ثلا عن الصهيونية واليهود.

وتش معلومات أخرى إ انتفاء الطابع التركي والإسلامي عن مؤسسي عية الا اد والترقي، حيث ومنذ نشأ ا يظهر من قاد ا وزعمائها عضوا واحدا من أصل تركي خالص. فأنور باشا من أصل بولندي، وجاويد من الطائفة اليهودية ا عروفة بالدو ة، وقارصوه من اليهود الألبان القاطنـ صالونيك ، وطلعت باشا بلغاري من أصل غجري, و أ د رضا كان نصفه شركسيا والنصف الآخر ـ ـري[2]، كمـ ـا أن اليهودي " نسيم روسو " و" نسيم مزلياح" كانا من العناصر ا ؤسسة والفعالة حركة تركيا الفتاة، ا يؤكد نفوذ اليهود وكثر م الغالبة ا ركة[3]. ومن ا قائق التار ية الأخرى الـ كن الاستشهاد ا ، أن الثورة التركية كانت تقريبا نتاج مؤامرة يهودية ماسونية كما يذهب إ ذلك آرنست رامزور[4]. كما أن الفئات الشعبية الـ خرجت بعد وقوع الثورة ا ضادة كانت تطالب طالب عديدة من بينها عزل القوى ا اسونية ويهود الدو ة[5].ولعب اليهود دورا كب ا خلع السلطان عبد ا ميد الثا ، عندما مارس الا اديون ضغطا كب ا على مف الإسلام مد ضياء الدين، وأجـ وه على إصدار فتوى خلعه.وقد تبليغ السلطان بذلك من قبل هيئة مكونة من سة أشخاص،كان من بينهم اليهودي ا اسو ا انويل قارصوه[6]. كما أن حرص الا ادي على سجن السلطان صالونيك يكن عملا عفويا، إ ا لأن هذه ا دينة كانت مركزا لليهود وا اسون.

ومن خلال ليل، ودراسة، واقع الدولة العثمانية آنذاك كن القول أن سبب انفتاح

---

[1] - سـ ـعيد، الأفغانـ ـ ـي، " **سبـ ـ ـب خلـ ـ ـع الـ ـسلطان عبـ ـد الحميـ ـد**" ،مجلـ ـة العربـ ـي، ع 16، (الكويت، ديسمبر 1972) ، ص، 152.

[2] - حلاق، **مرجع سابق** ، ص: 305.

[3] - انطونيوس، **مرجع سابق**، ص :176.

[4] - آرنست- أ-، رامـ زو، **تركيـا الفتـاة وثـورة 1908**،ترجمـة احمـد صالح علي، قدم له وراجعـ ـه نيقولا زيادة،(د.ط)، مكتبة الحياة، لبنان، 1960 ،ص: 124.

[5] - حلاق، **مرجع سابق**، ص: 316.

[6] - محمد عيـسى، صـالحية، " **الأيـام الأخيـرة للـسلطان عبـد الحميـد** "، مجلـة العربـي ، ع 329، (الكويت، افريل 1986)، ص :58.

الا ادي على العناصر ا اسونية، واليهودية أرتبط بالأزمة الاقتصادية ال كانت تعا منها الدولة عهدهم ، وإفلاس ا زينة بسبب كثرة ا روب ال تورطوا فيها ، وسياسة البذخ والترف، بالإضافة إ خدمات الديون ال أخذت ترتفع بسبب سياسة الاقتراض ال دأب السلاط على إتباعها منذ النصف الثا من القرن التاسع عشر.وقد استغل اليهود هذه الظروف الصعبة وا عقدة ، وعمدوا إ تيس القروض ا الية م من الأسر اليهودية الغنية أو البنوك مقابل تسهيلات ا شاريع الاقتصادية الدولة، وفتح باب ا جرة اليهودية إ فلسط . كما ساهم عدد كب من اليهود العثماني والأوربي بوضع كتب تؤصل للقومية الطورانية مثل ليون كوه ، وناظم بك التركي، وخالدة أديب ها ، وموئيز كوه وال تعد ثابة دستور للحركة الطورانية[1].ورغم نصيحة عدد كب من العثماني من بينهم رشيد رضا بضرورة التزام الدولة ا ياد كفرصة لإعادة تطوير نفسها، وحل مشاكلها، إلا أن قرار دخول ا رب كان كارثة تسببت ا زام الدولة العثمانية وفقدا ا متلكا ا.

عموما فإن دعوة الشيخ رشيد رضا إ الوحدة ب العنصرين ا كون للدولة العثمانية يدخل ضمن اولاته الدائمة لتقوية الدولة، وإكسا ا مناعة ضد التدهور، والا طاط، وا طر ا ارجي. كما أن سعي الا ادي لطمس اللغة العربية و اربتها، ومنع تعليمها، و اولة تتريك العرب وتذويبهم، و ويل بلادهم إ مستعمرات[2]، قد ولد ردود فعل العرب ومقاومتهم ، كون العربية حافظة تراثهم الدي ، والأد ، والعلمي.وقد كان رشيد رضا من أوائل ا فكرين العرب الذين جعلوا من قضية اللغة العربية قضية رئيسية وأساسية كافة ميادين النضال ال خاضها. وكان يؤكد دائما أن تعلم اللغة العربية فرض على يع ا سلم [3]. ومن جهة أخرى يكتف الشيخ بالدعوة إ تعزيز اللغة العربية، والكف عن اربتها، بل كان يطالب العرب بدعم لغتهم وتطويرها، والاستفادة من العلوم العصرية[4].

و خضم الصراع الطويل من أجل الإصلاح فتح رشيد رضا لة ا نار لكافة الأ اث حول

---

[1] - محمد، حرب ،" **موئيز كوهين يهـودي عثمـاني مـن قـادة الطورانيـة "،**مجلـة العربـي، ع282 ، (الكويت ماي 1982) ،ص: 87.

[2] - كوثراني ، "العثمانية . . ." ، **مقال سابق،** ص: 100.

[3] - محمد رشيد، رضا ، **"الخطبة الرئيسية في ندوة العلمـاء بلكنهــوء الهنــد لـصاحب المنــار"** ، مجلة المنـار، م15، ج8 (القاهرة، 30 شعبان 1330هـ - 13 أغسطس 1912 م) ص: 565 .

[4] - محمـد رشيـد، رضا، " **خطبــة على أعضاء المجلس العمومي ببيروت** "، مجلة المنــار، م12، ج2 (القاهرة، 29 صفر 1327 هـ - 22 مارس 1909 م)، ص: 111.

اللغة العربية وا شاكل ال تعترضها، وهاجم الدعوات ال انتشرت الأوساط ا صرية وال كانت تدعو إ تغي ا روف العربية با روف اللاتينية.

نستخلص ا تقدم أن موقف رشيد رضا من السلطان عبد ا ميد الثا ، والسلطنة العثمانية قد يز بالاضطراب والاختلاف، الذي وصل بعض الأحيان إ حد التناقض.فدفاعه عن السلطان يعود إ اعتقاده أنه ثل رمزا للخلافة الإسلامية، وا مثل الشرعي ا، وا دافع عن دار الإسلام وجه الأخطار ال كانت دق بالأمة الإسلامية وتستهدف وجودها التار ي. غ أن كثرة مظا السلطان، واتساع دائرة استبداده، و اربته للدستور والشورى جعلته ينقلب عليه، ويتحول بالتا إ معارض لسياسته، ومنتقد ا.ولذلك إ رط عية الشورى العثمانية واجهة الاستبداد الفردي، والدعوة إ الإصلاح السياسي، وإعادة الدستور ومعارضة نظام ا كم ا ركزي، وإبراز مساوئه وخطره على وحدة الدولة وسلامة أراضيها.كل ذلك دفع به إ موالاة الا ادي الذين تولوا مقاليد السلطة بعد انقلاب 1908 الدستوري، حيث تفاءل خ ا م، ووصفهم بأ م " أحرار العثماني ".ودعا ع ا قالات ال كتبها، وا طب ال ألقاها إ تقوية الرابطة العثمانية، ودعم أواصر الا اد ب العرب والترك، ونبذ التفرقة بينهم. غ أنه سرعان ما انقلب عليهم، وأصبح معارضا لسياستهم و ذرا من نتائجها على مستقبل الدولة العثمانية. ويعود ذلك إ استبدادهم، وتسلطهم وقهرهم للقوميات ال كانت تتشكل منها الدولة، بالإضافة إ سياستهم العنصرية القائمة على مبدأ التتريك والاستعلاء العرقي، وتأجيجهم ختلف النعرات، وإثار م لنا ان الأحقاد داخل الدولة، عوض العمل على تقوية أسس الوحدة الوطنية، وإعطاء ا قوق ختلف القوميات، وتطبيق اللامركزية الإدارية خاصة وأن تطبيق تلك السياسة الشوفينية قد تزامن مع ردود الأفعال العنيفة، وعلامات الاستفهام الكب ة ال أث ت حول مستقبل الدولة بعد الاحتلال الايطا لطرابلس الغرب وا ز ة حرب البلقان.

الفصـــــــــــــل الثـــــــــــــاني.

دعوته إلى الجامعة الإسلامية وإصلاح بنية الدولة العثمانية.

شكل الاحتلال العسكري، والتحدي ا ضاري الذي مارسه الغـرب علـى العـا الإسلامي النصف الثا من القرن التاسع عشر، رد فعل عـدد كـب مـن ا ـصلح وا فكرين ، الذين اقتنعوا باستحالة ا واجهة ا لية للغرب الاستعماري ، نظراً إ الاخـتلاف الكب درجة القوة العسكرية ، والرقي العلمي ،والإمكانات ا ادية والبـشرية ، وبالتـا التعويل على ا واجهة ا ماعية ، واستثمار يع الإمكانات ا تاحـة والـدعوة إ ا امعـة الإسلامية.

والدارس لطبيعة وا اهات الصراع خلال تلك الفترة كنه أن يرصد أربع حقـائق أفـرزت مفهوم ا امعة الإسلامية:

1- ضعف الدولة العثمانية ودخو ا مرحلة متقدمة من التفتت والا لال، واستمرار نظام حكم السلطان عبد ا ميد الثا القائم على سياسة قاسية، تعتمـد مبـدأ العنـف والتجسس والإرهاب، وا ستند على دعوة دينية تقليدية تقودها الطرق الصوفية.

2- التطور الاقتصادي والعسكري الذي أ زه الأوروبيون بفضل الثورة الصناعية ، ال فتحت ا ال م واسعا مارسة الاحتكار ، والتوسع الاستعماري على حساب الدولة العثمانية كم موقعها الاستراتيجي ، وغناها بالثروات الطبيعية ، واتساع أسواقها .

3- اكتشاف العرب ا تأخر للغرب ، و نجزاته الاقتصادية والعلمية ، وتعاملهم معه مـن موقع ا نبهر وا نهزم .

4- وء الغرب والدولة العثمانية إ تغليف وتلوين الصراع بينهما بألوان دينية . حيث نصب الغرب نفسه حاميا للأقليات الدينية الدولة العثمانية، بينما أظهر العثمانيون الصراع وكأنه صراع دي ب الإسلام وا سيحية[1] .

هذا الصراع ب الشرق الإسلامي ثلا بالعثماني والغرب ا سيحي- بالإضافة إ ما ماكانت تعا منه الدولة العثمانية من مشاكل وأزمات داخلية – كان عاملا أساسيا ظهـور تيـار ا امعة الإسلامية . وهذا ما يذهب إليه مد عمارة عندما يعرفها بالقول أ ا :" ذلك التيـار الفكري والسياسي الذي أبصر قادته وأنصاره ، أن هناك عددا من التحديات ال تواجه الفكـر الإسلامي والشعوب والأمم الإسلامية ، سواء كانت تلك التحديات آتية من داخـل الأوطـان الإسلامية ، كالتخلف الفكري والروحي والا دار ا ضاري والسياسي والـصراعات الإقليميـة

---

[1] - ضناوي ،**مرجع سابق**، ص ص:29،30.

والقبلية أو آتية من ا ارج شكل ا د الاستعماري الام يا ، الذي زحف من أوربـا علـى الشرق خاصة القرن التاسع عشر . . . آمنوا بان تشخيصها تلف هذه البلاد له طريـق واحد يؤدي إ تلك الغاية ا نشودة ، وهي التغلب على هذه التحديات والعـودة بـذه الأمـم والشعوب الإسلامية إ دائرة التأث الإنسا والعطاء ا ضاري ، كما كانت قبل أن تقهرها هذه التحديات "[1] .

وإذا كان القاسم ا شترك ب ا اهات ا امعة الإسلامية هو حشد إمكانات ا سلم ، وتعزيز قدرا م واجهة الغرب الذي يهدد مص هم ، فإنه كن أن يز ب ا اه بارزين : الا ـاه الأول عقائدي إصلاحي افظ .والا اه الثا سياسي ارتبط بغايات ددة .

الا اه العقائدي الإصلاحي مثله ال الدين الأفغا و مد عبده، وكان يدعو إ الإصـلاح الدي والاستفادة من منجزات ا ضارة الغربية، وتغليب النظرة العقلانيـة فهـم الـدين والعودة إ أحكامه. كما كان يدعو إ ا فاظ على الدولة العثمانية.

أما الا اه ا افظ فقد مثله أبو ا دى الصيادي، وكان يـدعو إ تقويـة الدولـة العثمانيـة بالالتفاف حول شخص السلطان وا ضوع له .

وفيما يتعلق بالا اه السياسي فقد تزعمه السلطان عبد ا ميد الثا ، الذي كان يدعو إ ع كلمة ا سلم العا لتأييد دولته و اية عرشه ، ولذلك وظف أفكار الأفغـا ، وفكـرة ا امعـة الإسلامية صلحته كخليفة وسلطان على الدولة العثمانية[2] ، باعتبـار أن ا امعـة الإسلامية أداة تضمن التفاف العا العر حول ا لافة العثمانية ، وبالتا تـدعم الـسيطرة العثمانية على الولايات العربيـ ـة، ويتم إغراق و يبع القـضايا القوميـة خاصـة العربيـة والتركية.وقد حدث ذلك الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تفقد أملاكها البلقان. كما كان يهدف من وراء تأييده لفكرة ا امعة الإسلامية تأبيد استبداده ، اعتقادا منه أن فكرة ا امعة الإسلامية تع ا كم الاستبدادي للخليفـة،فتطارد بذلك ا ركـ ـة الدستوريـة . كما كان يهدف إ ا اذهـا أداة للضغـط على الـدول الأوروبيـ ـة،بإثارة ا ـسلمـ ا اضعـ لفرنسا ـال إفريقيا، ومسلمي ا نـد ا اضع ل يطانيا،والتتر ا اضـع

---

[1] - محمد،عمارة، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية، نموذج مصطفى كامل**، ط1، دار الشروق، القـاهرة، 1994، ص: 50.

[2] - مصطفى، في أصول ، **مرجع سابق**، ص ص: 247،248.

لروسيا القيصرية [1].

كما مثل مصطفى كامل هذا الا اه، وقامت دعوته على أساس ا سألة ا صرية، وانطلقت من مبدأ الدعوة إ تضامن ا سلم للحفاظ على الدولة العثمانية، و اية مصر مـن الاحـتلال الأجن [2].

إذا كانت هذه هي ا اهات دعاة ا امعة الإسلامية كفكرة دفاعية ضد الاحـتلال الأجـن والغزو الاستعماري، فماذا كان موقف الشيخ رشيد رضا منها ؟ وما مـدى تـأثره بأفكـار أستاذيه الأفغا وعبده هذا ا ال ؟ .

تؤكد الدراسات والأ اث التار ية ال تناولت ا امعة الإسلامية أن رشيد رضا يكن مـن الدعاة الأوائل ا . كما أنه يلتق بأول ا تحمس ا وهو الأفغا . فقد وصلت إليـه عـن طريق لة " العروة الوثقى " ، وبعض ا صلح الـذين تلقـوا الفكـرة مـن الأفغـا كعبد الر ن الكواك . فالأفغا الذي يصفه البعض بأنه كان أبا ا امعة الإسلامية ومن أشهر دعا ا [3] ، والذي بذل قصار جهوده للدعوة ا ، والتبش ا العا الإسلامي فقد دعـا بداية مشروعه السياسي إ قيام دولة إسلامية بلد إسـلامي يلتـزم بـالقرآن، والـسنة، والشورى وا بادئ الدستورية . وكان يهدف من خلال دعوته إ ا امعة الإسلامية إ قيق ثلاث أهداف رئيسية:

1- ردم ا وة ال تفصل ب ا سلم السنة وإخوا م الشيعة.وأكد هذا الإطار أن الاختلاف بينهم اختلافا هامشيا، ولا دم سوى مصا ا كام ا ستبدين الـذين يستغلونه لتعزيز وإرساء قواعد حكمهم، ودعا إ رفض التقليد الأعمـى لائمـة ا ذاهب.

2- جسر الفجوة ب ا ماعات القومية ا سلمة ا ختلفة .ولذلك أدان الايـديولوجيا القومية الـصاعدة آنـذاك ، واعتـ أن الإسـلام هـو ا نـسية الوحيـدة للمسلم .وهاجم السياسة العثمانية ال كانت دف إ تتريك الشعوب ا اضعة

---

[1] - سيار، الجميل ،**العثمانيون وتكوين العرب الحديث** ، ط1 ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيـروت،1989 ، ص: 156.وياغي، **مرجع سابق** ،ص:197-198.

[2] - ضناوي ، **مرجع سابق**، ص ص: 35،32.

[3] - سمير ،أبو حمدان ، **جمال الدين الأفغاني وفلسفة الجامعة الإسلامية** ، (د.ط) ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، 1992 ، ص:89.

ا وصهرها بوتقة واحدة .

3- ردم ا وة السياسية بـ الدول الإسلامية ا ستقلة . وإذا كـان يـدرك صـعوبة واستحالة فيق هذا ا دف ، فقد اقترح إقامة نوع مـن الا ـاد الفيـدرا أو الكومنولث ، تتمع الدول ا نظمة إليه بالاستقلال إدارة شؤو ا الداخلية ، وأن تلتزم يع الدول الإسلامية القيم والشريعة ا ستمدة من القرآن والسنة[1].

وإذا كان ال الدين الأفغا يرج من دعوته للجامعة الإسلامية دعـم سياسـة الـسلطان عبد ا ميد كما توهم عدد كبـ من الدارسـ [2] ، فإنه يكن يعتقد أيضا أن تـشكيل ا ـاد حقيقي بـ الدول الإسلامية على رأسه خليفة واحد ، أو سلطان واحد نظرا لاستحالة قيامه تلك الظروف[3].ويؤكد الأفغا هذه ا قيقة عندما يقول : " لا التمس بقو هذا أن يكـون مالك الأمر ا ميع شخصا واحدا ، فإن هذا ر ا كان عسـ ا ، ولكـ أرجو أن يكون سلطان يعهم القرآن ووجهة وحد م الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بهده فظ الآخر مـا استطاع فإن حياته ياته وبقائه ببقائه "[4]. أي أن الوحدة الإسلامية الـ يرى الأفغا فيهـا شرطا لوجود الأمة الإسلامية هي وحدة الدين، أو رابطة الشريعة، أو علاقة ا عتقـد، ومـا يترتب عنها من تعاون وتناصر، وليست وحدة الدولة، أو وحدة السلطة السياسية[5]. والـذلك كن القول أن ا امعة الإسلامية عند الأفغا عبارة عن رباط عقائدي، وتضامن روحي، دون أن تتعداه لوحدة سياسية[6]. أما موقف مد عبده من فكرة ا امعة الإسلامية فلا يعرف أنـه كان من الدعاة ا تحمسـ ا وا دافعـ عنها. فقد كان يعتقد أنه يعد للمسلمـ إمام سوى

---

[1] - أحمد علي، سالم، "**الإصلاح السياسي عند الشيخ رشيد رضا**"، مجلة الكلمـة، الـسنة الـسادسة، ع24، (لبنان ، صيف 1999)، ص ص: 70، 71.

[2] - فهمي، جدعان ، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث** ، ط2 ، المؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر ، لبنان، 1981 ، ص: 260 .

[3] - **المرجـــع نفـــسه** ، ص: 261 . انظـــر أيـــضا: غـــسان، مكحـــل، " **الشيخ محمد رشيد رضا لسان حركة النهضة وحامـل لوائهـا**" ، مجلـة المنـاير، الـسنة الثانيـة، ع5، (لبنان، أيار(مايو) 1987)، ص: 86.

[4] - رضا، تاريخ ، **مرجع سابق**، ص: 306.

[5] - ناصيف، نصار، **تصورات الأمة المعاصرة . دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكـر العربـي الحـديث والمعاصر**، ط2، دار أمواج، بيروت، 1994 ، ص: 17.

[6] - المراكشي ، الايدولوجيا ،**مرجع سابق**، ص: 109 .

القرآن[1]، وازداد ابتعاده عنها بعد وفاة الأفغا وتوقف العروة الوثقى ، وابتعاده عن العمـل السياسي ، وتركيزه على النشاط التربوي والتعليمي .

1- رؤيته للجامعة الإسلامية:

أ- مفهومها لدى رشيد رضا:

ذهب رشيد رضا إ أن الأفغا قد سعى إ ا امعة الإسلامية من الطريق الأقـرب، طريق تنبيه ا كومات ا سلمة ا ستقلة إ الا اد، لكن دعوته تلق النجاح. فقـد كرههـا بعض ا اكم لأن الا اد مضيعة كمهم ، وآباها البعض الآخر جهلا، أو كرهـا، مـع علمه بفائد ا[2]. وقد لاحظ رشيد رضا أن الدعوة إ ا امعة الإسلامية قد خـف صـو ا ، وضعفت الدعوة إليها منذ توقف" العروة الوثقى " عن الصدور ، ح أنشا عبد ا الند[3] لة " الأستاذ " ونبه من خلا ا للأخطار ا دقة بالشرق[4].

ويبـدو تأثر رشيد رضا بفكرة ا امعة الإسلاميـة واضحا كما دعا إليها الأفغـا من خلال قوله :" أن ا نار وافق العروة الوثقى تعاليمها الاجتماعية وقواعدها ال وضـعتها للوحـدة الإسلامية وخالفتها وجهتها السياسية ا صرية "[5]**.**

يرى رشيد رضا مقالة نشرها جريدة ا نار عام 1898 أن الغاية من الا اد أو ا امعة الإسلامية تتمثل :"أن تكون هذه الدول كالدول ا تحالفـة بالنـسبة للأمـور ا ارجيـة، وكالولايـات ا تحـدة الإصلاحات الداخليـة ،كالتربية والتعلـيم ووحـدة الأحكـام والآداب واللغة "[6]**.**

---

[1] - عبده، الأعمال، طبعة 1993، ج1، **مرجع سابق**، ص: 865.

[2] - محمـد رشيـد، رضا، " **الجامعـة الإسلاميـة وآراء الكتـاب فيها**" ، مجلة المنـار، م2، ج22 (القاهرة، ربيع الثاني 1317هـ -12 أغسطس (آب) 1899 م)، ص: 337.

[3] - عبد ا النديم 1845 -1896 : وطني مصري وكاتب صحفي، شاعر، وخطيب الثورة العرابية.مـارس النشاط السياسي منذ صغره ، أسهم في إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية . أصدر صحيفة " التنكيت والتبكيت" عام 1881 لتستنهض المصريين ضد الأجانـب بأسـلوب سـاخر. كمـا اصـدر صـحيفة " اللطـائف " وصحيفة الأستاذ " . الكيالي وآخرون ،موسوعة، ج 3، **مرجع سابق** ، ص ص: 852 ،853.

[4] - رضا، " الجامعة الإسلامية وآراء. . .»، **مرجع سابق**، ص:339.

[5] - **المقال نفسه**، ص: 341.

[6] - محمد رشيد، رضا، " **الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية** "،مجلة المنـار، م 1، ج40، (القاهرة ،10 شعبان 1316هـ-يناير 1899م)، ص ص: 792، 793.

إن هذا التحديد الدقيق الذي أورده الشيخ لا تلف عما ذهب إليه الأفغا . أي استحالة قيام وحدة سياسية ب ا سلم ت إمرة وسلطة حاكم واحد. ولذلك ظل يعتقد أن قيقها ـ ر ع طريق آخر هو طريق الإصلاح الدي والتربوي ، الذي عرفه بأنه ما يؤدي إ ا افظـة على الدين والعمل به، و ع ا سلم ، وأنه لا يتم بعمارة ا ساجد والتكايا ، إ ا بتأليف عية إسلامية ت اية ا ليفة يكون ا شعب كل قطر إسلامي ، وتكون عظمى شعبها مكة ا كرمة ال يؤمها ا سلمون من يع الأقطار ، ويتآخون مواقفهـا ومعاهـدها ا قدسـة، ويكون أهم اجتماعات هذه الشعب موسم ا ج.

و هذا ا ال يلاحظ أن ة تطابقاً ب أفكار رشيد رضا والأفغا ، ا ي ز ظاهرة تأثر الأول بالثا . ففي العدد الأول من " العروة الوثقى " نقرأ : " و ا أن مكة ا كرمة مبعث الدين ، ومناط اليق ، وفيها موسم ا جيج العام كل عام تمع إليه الشرقي والغر ، ويتـآخى مواقعها الطاهرة ا ليل وا ة والغ والفق ، كانت أفضل مدينة تتوارد إليها افكارهم تبث إ سائر ا هات وا يهدي من يشاء إ سواء السبيل **"[1].**

و العدد ا امـس من العـروة الوثقى نقرأ أيضـا عن ا معية الإسلامية ا زمـع إنشاؤها ((. . .و علون م أقطار تلفة يرجعون إليها شؤون وحد م ، ويأخذون بأيدي العامـة إ حيث يرشدهم التنـزيل وصحيح الأثر ، و معون أطراف الوشائج إ مقعد واحد يكـون مركزه الأقطار ا قدسة وأشرفها معهد بيت ا ا رام ح يتمكنوا بذلك شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان **))[2].**

إن هذه ا قولة تؤكد أن الأفغا كان يركز على جامعة الدين، ويدعو إ الاعتـصام بـ ال الرابطة الدينية ال تربط يـع الأجنـاس بعـضهم بـبعض دون تفريـق أو اخـتلاف[3].

كما أن رشيد رضا لا تلف عن مفهوم مد عبده النظر إ ا امعة الإسلامية.فقد أكد أنه ليس الإسلام سلطة دينية سوى سلطة ا وعظة ا سنة والدعوة إ ا [4]، وأن ا اكم مد

---

1 - جمال الدين، الأفغاني ، محمد، عبده ، **العروة الوثقى** ، ط3 ، دار الكتاب العربـي ، بيـروت، 1983 ، ص: 46.

2 - **المرجع نفسه،** ص: 75.

3 - محمد، عمارة، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسـلام،** ط2، دار الـشروق، القـاهرة، 1988، ص ص: 136، 137.

4 - عمارة، الإمام ، **مرجع سابق،**ص: 93.

ا تمع الاسلامي ، وأن انتخابه ضع لرأي البشر لا ق ا ي[1]. كما دعـا إ ضـرورة وقوف ا لافة العثمانية عند حدود السلطة الروحية ال تلعب دورها التضامن الاسلامي[2]. كما اعت أن الداعي إ توحيد كلمة ا سلم وهم كما هم، أجدر به أن يرسل إ مستشفى ا ا[3].

و إطار التأكيد على أ ية ا معية ال دعا إ إنشائها ودورها قيق التضامن، والتقارب ب ا سلم ، أشار إ أن ة أعمالاً تناط ا وتتمثل تلا البدع والتعاليم الفاسدة الـ دث قبل انتشارها، وإصلاح ا طابة، والدعوة إ الدين[4]. ويعتقد أن اح هـذه ا معيـة وفروعها أعما ا يترتب عنها ارتباط ا كومات الإسلامية وا ادها[5].

عموما كن القول أن مفهوم ا امعة الإسلامية لدى رشيد رضا ينتمي إ الفقه أكثـر مـن انتمائه إ ال السياسة ، وأنه تابع وبأسلوب آخر وبعيدا عن أي خطاب سياسي صارخ مـا كان قد بدأه ال الدين الأفغا و مد عبده العروة الوثقى[6].

ب- أطرافهـا :

من واقع التجربة وا تابعة الدقيقة للأحداث السياسية ال كانت ـر ـا الدولـة العثمانية، وانطلاقا من الصراع ا تدم ب الدول الأوروبية لاقتسام تركة الرجـل ا ـريض ، وبالنظر إ تكوين الدولة غ ا تجانس اثنيا ودينيا، حدد الشيخ طرف اعتقد أ ما يرتبطـان با امعة الإسلامية :

1- ا عتقدون بالدين الاسلامي الذين تربطهم الإخوة الإ انية ، ويقصد هنا العثمـاني كم قياد م للعا الاسلامي آنذاك من الناحية السياسية والشرعية.لكنه رغم ذلك أشار إ أن دعوته للجامعة الإسلامية قد تصطدم بعقبات يـضعها العثمـانيون طريقه لإفشال مشاريعه . خاصة وأن الدعوة صادرة من عر ، ومتزامنة مع بداية

---

1 - عمارة، الإمام ، **مرجع سابق** ،ص: 95.
2 - **المرجع نفسه**، ص: 110.
3 - عبده، الأعمال، طبعة 1993، ج 3،.**مرجع سابق**، ص: 249.
4 - رضا، " الإصلاح الديني. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 766.
5 - **المرجع نفسه**، ص: 792.
6 - أبو حمدان ،" الشيخ رشيد رضا . . . " **مرجع سابق** ،ص ص :120-121.

توتر حقيقي العلاقات ب العرب والأتراك.

2- غ ا سلم وما كن أن تث ه الدعوة إ ا امعة الإسلامية من ردود أفعال وأحقاد ظل السياسة الأوربية القائمة على فرض ا ماية على الأقليات الدينية خاصة ا سيحي ، كما جسدته ا عاهدات ال وقع عليها العثمانيون من خلال ما عرف بالامتيازات الأجنبية . ولذلك طمأن رشيد رضا ا خالف له الدين وأكد م على أ م مواطنون كاملو ا قوق. وي ز رشيد رضا أطراف ا امعة الإسلامية ا قالة ال نشرها عام 1899 وقال فيها : ((أن للجامعة الإسلامية طرف : الأول يظم ا عتقدين بالدين الاسلامي ، ويربطهم برابطة الإخوة الإ انية ح يكونوا جسما واحدا ، والثا هو الذي يربط ا سلم وغ ه من أرباب ا لل برابطة الشريعة العادلة ، ال كمون با يعا با ساواة **))[1].**

وحسب اعتقادي فإن الشيخ قد أ ل طرفا ثالثا فاعلا ومؤثرا هم الأورب الذين كانوا سيجهضون أي اولة للوحدة ب ا سلم ، تتعارض مع مصا هم القائمة على سياسة فرق تسد ، للسيطرة على البلاد العربية والإسلامية ، و زئتها وإضعافها و ويلها إ رد خزان للمواد الأولية ، وسوقا خارجية لتصريف فائض إنتاجها . ورغم ذلك فإن التحديد الدقيق لطر ا امعة الإسلامية ي ز مدى وعيه للمخططات الاستعمارية ، ال كانت ترمي إ نسف الوحدة الوطنية من خلال إثارة النعرات العرقية ، والاختلافات الطائفية وا ذهبية ، وال أخذت نتائجها السلبية تظهر بفعل نظام الامتيازات الأجنبية ، ودور الإرساليات التبش ية كما سبق الإشارة إليه[2]. والواقع أن أستاذيه قد سبقاه إ التنبيه طر هذه القضية. فالأفغا زم بعدم وجود اختلافات ب الأديان دعو ا إ الوحدة،وأن الصراع سببه ا تاجرون بالدين.أما مد عبده فقد حذر من التفرقة ب أبناء الوطن الواحد بسبب تعدد الأديان. ولذلك أسس عية سرية للتقريب ب الأديان،شارك فيها عدد من رجال الدين

---

1 - محمد رشيد، رضا،" **الجنسية والدين الإسلامي**" ،مجلة المنار، م 2، ج21 (القاهرة، 28 ربيع الأول 1317 هـ - 5 أغسطس (آب) 1899 م) ص ص: 326، 327.

2 - كتب رشيد رضا في العدد الأول من المنار في الحث على التعاون بين أصحاب الأديان : ((ويحاول إقناع أرباب النحل المتباينة والمذاهب المختلفة ، أن ا تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والإحسان ، وان المعارضة والمناهضة والمناصبة والمواثبة تفضي إلى خراب الأوطان)). أنظر: محمد رشيد، رضا ، " **محاورة في دعوى ضرر الدين والجامعة الإسلامية** "،مجلة المنار، م 1، ج 16 ، (القاهرة 16 صفر1316هـ -يوليو 1898م)، ص: 285.

ا ستن ين ن كانوا ينتمون إ الأديان السماوية،وأكد أن الطائفية والشقاق الدي مصدر ا السياسة، وا لموك،ورؤساء الأديان[1] .

ج- العقبات ال تقف طريقها:

سبق وأن أكدنا أن الاستعمار الغر ، و كم طبيعته التوسعية الاستغلالية ال تتعارض مع ا امعة الإسلامية كان من أك وأبرز ا عارض ا. إلا أن الشيخ حدد ثـلاث عقبـات ومشاكل داخلية هي:

1- الاختلاف ا ذه ب السنة والشيعة[2] رغم الطابع الوحدوي للإسلام . ويعود ذلك إ السياسة ال لبست لبوس الدين، وإ دور الفرس و عيا م السرية ال كانت دف إ و الدين، وإزالة سلطان العرب على أساس أن سر تفوق العرب يكمن الإسلام.

2- عصبية ا نس واللغة. و هذا الإطار ركز على الاختلاف ب التـرك والعـرب، وأبرز دور الأوربي ا ط التفرقة بينهما من خلال دعو م إ إقامة ضة مبنية على ا امعة اللغوية لا الدينية[3] .

3- ال عة الوطنية ال تتنا مع جوهر الأخوة الإسلامية. وأشار هذا السياق إ ما كان ا زب الوط مصر يدعو إليه[4].

واعت مقالة أخرى كتبها عام 1912 ، أن السلطان عبد ا ميد الثا كان أكـ عـدو للجامعة الإسلامية حيث أقر أنه كان : ((اشد خصومها واك أعدائها ، وإ ا يصطنع بعـض أصحاب الصحف البلاد الإسلامية ليمدحوه ، ويدافعوا عنه بلقب ا لافة كما اصطنع أمثا م أوربة للدفاع عنه ومدحه ، وهو تل على جذب السيد ال الدين إ الأستانة إلا ليحبسه فيها ويبطل عمله ، ومن كلام السيد فيه " إنه سل رئة الدولة " **))[5].**

---

[1] - عمارة ، الإمام ، **مرجع سابق** ، ص: 35.

[2] - محمـد رشيـد ،رضـا، " **الجامعتـان الإسلاميـة والعثمانيـة**"، مجلة المنـار، م 15، ج 10 (القاهرة، 30 شوال 1330 هـ -11 أكتوبر 1912 م)، ص: 735.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص: 739.

[4] - رضا، " الجامعتان . . . " ، **مرجع سابق** ،ص: 741.

[5] - محمد رشيد ، رضا، " **الجامعـة الإسلامية** "، مجلة المنار، م 15، ج 2 (القاهرة، سلخ المحرم 1330 هـ - 2 يناير 1912 م)، ص: 136.

هذه العقبات تطرح على المتطلع إ الوحدة الإسلامية مهمة مثلثة ا ـستويات : مواجهـة التعدد ا ذه الذي يصيب رابطة العقيدة الواحدة بالضعف ، ومواجهة التعـدد القـومي ، ومواجهة ا ضارة ا ديثة ال تظهر أشكال تلفة و نع بتفوقها اح أي مشروع يهدف إ إعادة توحيد ا سلم [1].

و سياق التأكيد على الـدور ا وري للعثماني شبه دورهم بدور بروسيا قيام الوحـدة الأ انية ، وهذا ما يؤكد استمرار اقتناعه بأ ية الدور الواجب على العثماني القيام به ، وعلى ا سؤولية التار ية ا لقاة على عاتقهم لتوحيد الأمة وإ اح مـشروع ا امعـة الإسـلامية .

ومن خلال تتبع مواقف رشيد رضا الإصلاحية كن القول أنه يطـرح مفهومـه للجامعـة الإسلامية كما عرضها اللورد كرومر ، أي إ اع ا سلم العا على دي الدول ا سيحية ومقاومتها[2]. ولكن مفهومه ا يقترب من مفهوم رفيق العظم، الذي كان يعتقـد أن ا امعـة الإسلامية لا تتعدى رابطة العواطف والتعاون والإخاء[3].

ورغم ما ينطوي عليه تصور رشيد رضا من أفكار سياسية ، إلا أنه ظـل متمـسكا بآرائـه ومنطلقاته القائمة على أن الا اد الإسلامي ر حتما ع تعميم التربيـة والتعلـيم الـدي والدنيوي الصحيح ، وحدد موعة من الشروط لتحقيق ذلك : طبيعة ا كم من خلال جعل ا كومة شورية تقيم العـدل ب الرعية ، و تار لإدارة شـؤون الرعيـة مـوظف أكفـاء و لص [4] ، ومدى استعداد الأمة للإصلاح ، وطريقة ا صلح أنفسهم إذ يكفي بل ينبغي أن يوجد نظره الزعيم الداعي إليه[5].

وتأسيسا على ماسبق ذكره ، فإن مفهوم الشيخ رضا للجامعة الإسلامية لا تلف عن مفهـوم ال الدين الأفغا ، الذي كان يرى فيها وسيلة فعالة قاومة حركـة الاسـتعمار الأور ، ووقف زحفه على أقطار ا سلم . كما تكن دعوة إ توحيد ا سلم ت رايـة حـاكم

---

[1] - نصار، **مرجع سابق**، ص: 17.

[2] - محمـ ـ ـد رشيد،رضـ ـ ـا، " **الجامعـ ـ ـة الاسـ ـ ـلامية** "،مجلـ ـ ـة المنـ ـ ـ ـ ـار ،م 10،ج 3 (القاهرة، ربيع الأول 1325 هـ - 12 ماي 1907م) ،ص ص: 214 ،218.

[3] - رفيـ ـ ـ ـق، العظـ ـ ـ ـم، " **الجامعـ ـ ـ ـة الإسـ ـ ـلامية** "،مجلـ ـ ـ ـة المنـ ـ ـ ـار، م 10، ج8 (القاهرة ، شعبان 1325 هـ - 18 أكتوبر 1907م)، ص:592.

[4] - رضا ، " الجنسية. . ."، **مرجع سابق**، ص: 327.

[5] - محمـد رشيـد، رضـا، " **الإصـلاح والإسعـاد على قدر الاستعـداد** "،مجلة المنـار، م 4، ج 18 (القاهرة، 16 شعبان 1319 هـ 28 نوفمبر 1901 م)، ص: 682.

واحد، بل هي دعـوة للتضامن. ولا يبتعد مفهوم الشيخ مد عبده للجامعة الإسلامية عـن ذلك ، حيث يؤكد بأ ا تع التضامن الإسلامي مع الاستفادة من قيام الدولة العثمانية كوافع دفع عجلة الإصلاح إ الأمام . أما التوحيد السياسي للمسلم ، وا مع ب الـسلطت الزمنية والروحية شخص واحد فيعتقد بأ ا رد أوهام.

و در الإشارة إ أن اهتمام رشيد رضا با امعة الإسلامية كان دود بالدولة العثمانية علـى خلاف الأفغا للأسباب التالية:

1- **نزعته العثمانية، حيث كان يرى أن الدولة العثمانية هي دولة ا لافـة الإسـلامية رغم انتقاده ا لعدم التزامها با بادئ الإسلامية ا كم.**
2- **أصله وانتماؤه العر كان تم عليه الدفاع عن الدولة العثمانية مايـة الـبلاد العربية من الأخطار ال باتت ددها.**
3- **تأثره وقف أستاذه مد عبده من الاستعمار، حيث كـان متـرددا مها ـة الاستعمار، أو التدخل شؤون البلدان الإسلامية ا ستعمرة تلك الفترة ا فيها مصر.**
4- **اقتناعه باستحالة قيام جامعة إسلامية تضم يع الدول الإسلامية ا ستقلة على غرار ما كان يفكر فيه الأفغا ، ولذلك سعى للحفاظ على الدولة العثمانية[1].**

عموما إذا كان رشيد رضا واعيا للخطر من الدعوة لقيام جامعة إسلامية ذات طابع سياسـي معادي صراحة لأوربا ، ومث ا لأحقاد غ ا سلميـن الذين يعيـشون الأقطـار العربيـة والإسلامية[2] ، فإنه كان مقتنعا بأن الدعوة إ الإصلاح الدي والاجتماعي سيترتب عنه شكل من أشكال الا اد ب ا كومات الإسلامية.كما أن ا تحمس القـدامى لفكـرة ا امعـة الإسلامية ا هوا فيما بعد ا اها قوميا ، دون التخلي عن الدور ا وهري للإسلام .

وقد توصل رشيد رضا إ هذه القناعة بعد أن عاين سياسة التتريك ، وعـا مـن سياسـة الا ادي العنصرية ، وتأ من إعدامات ال باشا . ومن جهة أخرى انتهى جل الداع إ ا امعة الإسلامية إ نتيجة واحدة تتمثل أن ضة الإسلام مرهونة بنهضة العرب.كمـا أن رشيد رضا وأغلب دعاة تيار ا امعة الإسلامية يدعوا إ وحدة الدولة ب كل ا سلم ، بل

---

[1] - سالم،" الإصلاح. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 72.
[2] - رضا، " محاورة. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 284.

كانوا يطالبون بوحدة السياسة والتضامن[1] . بعبارة أخرى كانت غاية الشيخ السياسية الكـ ى إ اد دولة إسلامية كـ ى مرهوبة ا انب ، تكون مركزا للأمم الإسلامية العا بصفة دينية إن تكن بصفة سياسية . و ذه الغاية ناصر الدستور العثما '' و عية الا ـاد والترقـي'' و ا تبينت له منهم النعرة ا لية الضيقة ناوأهم، وعمل على إ اد لكة عربية إسلامية مـ ستقلة عن الدولة العثمانية[2].

2- دعوته إ اللامركزية من خلال حزب اللامركزية الإدارية العثمانية:

أ- ظـ روف نشأتـ ه:

يزت فترة مطلع القرن التاسع عشر بظهور حركات وتيارات كان القاسم ا ـشترك بينها التمرد على الوضع القائم الإم اطورية. ومهما كانت طبيعة تلك ا ركات إصلاحية، أو ثورية فإن جوهرها كان يدور حول مشكلة الاستبداد, وحقوق القوميات السياسية ا رتبطة فهوم اللامركزية ال تعرف بأ ا: ((أسلوب من أسـ اليب الإدارة, مـ ن مقتـ ضاه توزيـ ع اختصاصات الوظيفة الإدارية الدولة بـ ا كومة ا ركزية ا وجودة العاصمة, وبـ هيئـ ات إدارية أخرى لية أو مصلحية تباشر سلطتها النطاق ا رسوم ا قتضى القانون و ت رقابـ ة الدولة وإشرافها, دون أن تكون خاضعة ا خضوعا رئاسياً: واللامركزية الإدارية على نـ وعـ : لامركزية إدارية إقليمية, عـ أن كل إقليم من أقاليم الدولة تص بـ إدارة مـ صا ه ا ليـ ة, و لامركزية إدارية مصلحية أو مرفقية أو نظام ا ؤسسات العامة, عـ أن نح الدولة مرفقاً عامـ اً شخصية معنوية مستقلة لكي يدير شؤونه بنفسه مستقلاً عن السلطة ا ركزية **))[3].**

ويعرفها رشيد رضا بأ ا: ((عبارة عن جعل الإدارة الداخلية لكل ولاية أو قطـ ر مـ ن ا ملكـ ة الواحدة, أيدي أهل تلك الولاية, وتكون رابطتهم ركز ا كومة العام الأمور العامة كلـ ها كالسياسة ا ارجية وا ربية ومصلحـ ال يد وال ق**))[4].**

---

[1] - جدعان ، **مرجع سابق** ، ص: 280.

[2] - عبد الحميـ ـد ، ابن باديس ، **آثار ابن بـ اديس** ج 2 ، ط 2، إعـ داد وتـ صنيف عمـ ـار الطـ البي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ، ص: 208.

[3] - الكيالي وآخرون,موسوعة، ج5 ,**مرجع سابق**, ص:395.

[4] -محمد رشيد، رضا, "**محاورة بين عالم سياسي وتاجر ذكي في المركزية واللامركزية**", مجلـ ة المنـ ار, م 16، ج 5، (القاهرة، 29جمادى الأولى 1331هـ -7مايو1913م), ص: 344.

وأمام تزايد واتساع دائرة ا طالب بالإصلاح خاصة الولايات العربية, أ العثمـانيون إ تشديد قبضة الدولة على أطراف الإم اطورية لتسهيل السيطرة عليها. و هذا السياق ـأ السلطان عبد العزيز مثلاً إ اختصار الإيالات ود ها أربعة بعد أن كان عـددها انيـة عشر[1], وذلك ليتمكن من تطبيق سياسة مركزية قوية البلاد. كما أصـدر عـام 1864 قانون الولايات الذي حددت فيه صلاحيات كلا من الولاة وا تصرف . وعلى الـرغم مـن انتصار دعاة الإصلاح داخل الدولة العثمانية من خلال إقرار دستور 1876, إلاَ أن السلطان عبدا ميد الثا طبق سياسة ا كم ا ركزي يع أ اء الإم اطورية.

وقد دفعت هذه السياسة ا تسلطة رواد النهضة إ ا طالبة بضرورة عودة الدستور, وتطبيـق اللامركزية. فعبد الر ن الكواك يقر بأن لف الدولة العثمانية يعود أحـد أسـبابه إ : ((التمسك بأصول الإدارة ا ركزية مع بعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الإدارة ا ركز على أحوال تلك الأطراف ا تباعدة وخصائص سكا ا)).[2] وطالب بأن مل الإم اطـور العثما تاجاً مزدوجاً على غرار الإم اطورية النمساوية-ا رية.

و دد البعض عام 1902 بداية رحلة جديدة تاريخ الإم اطورية العثمانية[3], من خـلال إثارة قضية اللامركزية ال طرحت ا ؤ ر الذي انعقد باريس, ودعا إليه الأم صـباح الدين , وحضره أكثر ا عارض للسلطان عبد ا ميد الثا , وال أصبحت مطلباً اه يـاً بعد إعلان دستور 1908. لكن ادي عية الإ اد والترقـي سياسـة التريـك, دفـع بالعـرب السوري ا قيم مصـر إ تأليف حـزب اللامركزية الإداريـة العثمـا أواخر عام 1913[4].

وقد ارتبطت هذه الفترة بتحديات بارزة كن الإشارة إليها فيما يلي:

1-إحتلال إيطاليا لطرابلس الغرب, وانكشاف ليس مـدى الـضعف العـسكري, وعـدم الاستعداد ا ر فقط,وإ ا كشف عن إ ال للسلطة ا اكمة الدفاع عن بلد عر كـان يشكل جزءاً لا يتجزأ من الدولة العثمانية. كما طرح الاحتلال الإيطا ذا البلد علامـات

---

[1] - حراز, **مرجع سابق**، ص: 45.

[2] - الكواكبي, أم القرى, **مرجع سابق**، ص:158 .

[3] -سـهيلة، الريمـاوي," **تطـور مفهـوم اللامركزيـة عنـد العـرب العثمـانيين 1900- 1918**", مجلة دراسات تاريخية, العددان 13-14,(سوريا، أكتوبر1983), ص:143.

[4] -انطونيوس، **مرجع سابق**, ص ص: 185-186.

استفهام كب ة حول مدى تواطؤ الا ادي مع الإيطالي لتسهيل عملية الاحتلال.

2- خسارة الدولة العثمانية للحرب البلقانية, و متلكا ا الأوربية ضاعف من شكوك العـرب اه الا ادي , ورسخ لديهم القناعة بضرورة الاعتماد على أنفسهم, خاصة بعد أن أصـبح الا اديون ينظرون إ العرب كوسيلة مع ا ال, وفرض الضرائب, والعمل على إضـعافهم من خلال ريدهم من السلاح خاصة اليمن وسوريا.

3- اقتناع الأحرار وا ناضل من أجل إصلاح الدولة العثمانية أن نظام ا كم ا ركزي أصبح ثل عبئاً ثقيلاً على سكان الدولة وخاصة العرب, وأن اية أراضي الدولة ر حتمـا ع تطبيق نظام لامركزي يسمح للجميع مارسة نشاطه و اية بلاده.[1]

و هذا السياق يرسم لنا أم سعيد صورة دقيقة للوضع الأستانة, عندما يؤكد أن خزينة الدولة كانت فارغة وثكنا ا خالية, وأن التناحر ا ز كان على أشـده داخـل الـ ـان والصحف والشوارع, وأن الشكاوي من تصرفات الا ادي كانت تصمّ الآذان. كما أشـار إ أن انتصار البلقاني بعث ا سألة الشرقية من جديد, حيث طاالـب الإ لي ـز بـالعراق, والفرنسيون بسوريا, والروس بالأستانة وولايات الأناضول الشرقية, والإيطـاليون بـأزم وشواطئ الأناضول الغربية[2].

ب- مبادؤه وأهدافـه:

تشكل الوثيقة ا امة ال نـشرها رشـيد رضـا لـة ا نـار ـت عنـوان "برنامج حزب اللامركزية الإدارية العثما " وثيقة تار ية هامة ت ز لنـا أهـداف ا ـزب ومبادئه. وقد صيغت ست عشرة مادة. ت ز ا ادة الأو أهداف ا زب عندما تؤكـد أن القصد من تكوينه هو بيان اسن الإدارة اللامركزية السلطنة للشعب العثما ا ؤلف مـن عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات تلفة, وا طالبة بكل الوسائل ا شروعة كومة تؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية يع ولايات الدولة العثمانية[3].

---

[1] -- HASSAN Saab, **The arab Federalists of the Ottoman Empire**. Djambatan, Amesterdam1958 , P 229 .

[2] - سعيد, الثورة , **مرجع سابق،** ص: 21.

[3] - محمد رشيد ، رضا،" **بيـان حـزب اللامركزيـة الإداريـة العثمـاني** " ،مجلـة المنـار، م 16، ج 3 (القاهرة ،30ربيـع الأول 1331 هـ - 8مـارس1913م), ص ص: 229، 231.

يلاحظ من خلال مبادئ ا ـزب أنه قد حافظ على وحدة الدولة العثمانية, و يسع أبـداً إ اولة إضعافها أو تفكيكها. كما أن مطالبته باللامركزية تدخل ضمن الرغبة تغي وتطوير وضعية الأطراف و الأحسـن كمقدمـة لتطويـر ا ركـز, وأ ا أفضل الوسائـل لاستنهاض السلطنـة[1].

ج- نشاطاته:

رغم أن ا ـزب عثما إلا أنه ينتسب إليه الواقع إلاّ الأعضاء العرب[2], كمـا أن تأكيده على أن أفضل أشكال ا كم الدستوري هو اللامركزية خاصة الدول ال تتميـز بتنوع القوميات قد دفع به إ ضرب الأمثلة بالإدارة القائمة كل من سويسرا، والولايات ا تحدة الأمريكية، ا يشكل دليلا على إطلاعه على ما الـدول مـن أسـاليب الإدارة و ا كم، وبالتا فإن مشاركته الفعالة النشاط السياسي, وما تضمنه مـن بـرامج إداريـة وسياسية يأت من فراغ. ويعت هذا ا زب أول تنظيم عل , وقد تشكلت هيأته الإدارية من موعة من الأحرار ا قيم مصر. وقد كانت ا نـار أول لة نشرت برقيـات التأييـد للامركزية ال أرسلها ا نادون ا من سوريا، وفلسط ، والعراق. ويكمـن جـوهر هـذه ال قيات أن سرّ بقاء الدولة العثمانية يرتبط بالإدارة اللامركزية.

وحسب تقديري ، فإن هذا يؤكد أن فلسفة اللامركزية كانت القاسم ا شترك بـ تلـف الا اهات سواء اللي الية ال نزع ثلوها و الدعوة إ الاستقلال عن الدولة العثمانية ، أو الإصلاحي ا سلم الذين كانوا يعارضون التتريك ، ويطالبون بالإصلاح إطـار الدولـة العثمانية[3].

وقد تعرض ا ـزب بسبب نشاطاته ا تنوعة، وإصراره على مطالبه، وتشبثه بادئـه عارضـة و جم كب ين. فالا اديون اعت وا الدعوة إ اللامركزية دعوة لتفكيك الدولـة و زئتـها

---

[1] - البستاني ، " **رأي العالم الاسلامي الكبير السيد رشيد رضا منشئ مجلة المنار**" ، مجلة المنار, م 17،ج 4 (القاهرة، 30ربيع الأخر1332هـ - 27مارس 1914م), ص: 312.

[2] -دروزة, **مرجع سـابق**, ص، 365. و سـهيلة، الريمـاوي," **حـزب اللامركزيـة الإداريـة العثمـاني**" مجلة دراسات تاريخية،العددان15-16 (سوريا،كانون الثاني- آيار1984) ، ص: 180.

[3] - وجيه ،كوثراني ، **السلطة والمجتمع والعمل السياسي ، من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام** ،ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان، 1988 ، ص:172.

بسبب تعدد أجناسها وقوميا ا[1]. وهو نفس ما ذهب إليه شكيب ارسلان الـذي اعتـ أن اللامركزية مقدمة للفتنة والفوضى والاحتلال الأجن [2]. وزعم البعض الآخر أن الوقت يكن مناسبا لطرح فكرة اللامركزية تلك الظروف بسبب ضعف الدولة ، وعدم قدر ا على رد التحديات ا ارجية ، وخضوعها للقوى الأجنبية، يضاف إ ذلك إنعدام الثقة ب الا ـادي ورعايا الدولة نتيجة الاستعلاء العنصري ، وسياسة التتريك ال كانوا ارسو ا على الشعوب والقوميات ا اضعة كمهم[3].

و معرض رده على هذه الا امات ال وجهت لدعاة اللامركزية أكد أن هذا ا طلب هـو أسهل الطرق، وأقوى الوسائل لتحقيق الترقي. وعدد الأسباب ال عل منه قضية ضـرورية وحصرها فيما يلي :

1- اتساع مساحة الدولة العثمانية وافتقارها إ وسائل ا واصلات ا ديثة، كالسكك ا ديدية ال تربط ا ركز بالأطراف وقت السلم وا رب معا.

2- اختلاف وتعدد اللغات داخل الدولة العثمانية، واستئثار الأتراك ميـع أنـواع السلطة، وا كم، وإدارة يع ا صا .

3- تنوع الأديان، وا ذاهب والعادات الدولة، وعدم استقامة الأمر إلا عل الإدارة والقضاء، والتعليم كل بلد موافقا ا ا.

4- إن ا تخرج من مدارس عاصمة الدولة لا يعرفون تاريخ يع شـعوب الدولـة وأحوا م الروحية الاجتماعية.

5- إن أكثر ا تخرج من هذه ا دارس الر ية متفر ون ويقـل إ ـا م بالإسـلام، وبالتا فهم لا يصلحون لتو الأحكام، ولا هم م إلا جباية الأموال بـا ق، أو بالباطل والتمتع به، وأنه لا يستفيد منه إلا الأستانة[4].

هذه العوامل جعلته ينفي نفيا مطلقا أن تؤدي ا طالبة باللامركزية إ إستلاء الأجانب على كل ولاية تدار باللامركزية، بل واعت ها وسيلة لتقوية أواصر الأخوة ب العـرب والتـرك، وأن

---

1 - دروزه، **مرجع سابق**، ص: 365.

2 - ارسلان ، تاريخ ، **مرجع سابق**، ص :586.

3 - الشوابكة ، **مرجع سابق** ، ص: 237.

4 - رضا، " محاورة بين عالم سياسـي. . ." ، **مرجع سابق** ، ص ص: 345، 346.

غيا ا يؤدي إ اتساع دائرة الشقاق وانتشار الف[1].

ومن جهة أخرى رد على الذين يتهمون دعاة اللامركزية بسوء اختيار الوقت للمطالبـة ـا بالتأكيد على حسن النية من خلال عدم استغلال ذلك الوضع ا تردي وا تأزم للدولة للثـورة أو الضغط عليها، من خلال الدعوة إ التمرد والعصيان ، وأن مطالبهم كانت سلمية بالدرجة الأو . كما أشار إ أن هذا ا طلب نع بيع مرافق البلاد العربية وغ ها للدول الك ى من خلال ما يعرف بالفتح السلمي[2].

وقد كان لدعوة اللامركزية صدى واسع الولايات العربية ، خاصة الشام والعراق حيث أنشئت فروع للحزب ، وأسست وكالات صغ ة عدد من الأماكن الأخرى. وكان ـة اتصال وتنسيق ب فروعها وا معيات السياسية العربية . و ض سوى فترة زمنية قـص ة ح أصبح أفضل من ثل أهداف العرب وأمانيهم[3]. وعندما أصبح ا طالبون باللامركزيـة ثلون تيارا كب ا الولايات العربية ، اضطرت ا كومة ا ركزية إ إصـدار تعليمـات إ ولاة الدولة تطلب منهم دعوة أعيان البلاد ومثقفيها إ تقد لوائح طالبهم .

و هذا الإطار نشأت عدة معيات كان من أبرزها معية ب وت الإصلاحية ، و معية البصرة الإصلاحية ، والنادي العلمي العراق. وقد أشاد الشيخ رشيد رضا با معية الأو ونوه ا بسبب نشاطها ، ولكنه انتقدها وذمها بسبب ما ورد مطالبها ، خاصـة ا طلـب ا تعلـق بوجوب تعي مستشاري أجانب الولايـة لتنظـيم إدارة الـدرك، وا اليـة، والـ يـد، وا مرك[4]،على أساس أن ذلك سيكون مطية ووسيلة لتدخل الأجانب شؤو م الداخليـة، ومقدمة لفرض السيطرة الاستعمارية عليهم، كما سيشكل حجـة عارضـي الإصـلاح و مقدمتهم الا ادي لتعطيل الإصلاح، واعت كل ذلك خطرا على الدولة ينبغي تفاديه[5].

ومن جهة أخرى لعب الشيخ رشيد رضا دورا كب ا نشأة ا معيات والنوادي العـراق

---

1 - - رضا، " محاورة بين عالم سياسـي. . ." ، **مرجع سابق** ، ص: 350.

2 - **المرجع نفسه** ، ص ص:351، 352.

3 - انطونيوس، **مرجع سابق**، ص 185 و231 P **SAAB OP CITE**

4- محمد رشيد، رضـا،" **ما يمـدح وينتقد على المصلحيـن البيروتيين** "،مجلة المنار ، م 16 ، ج4 (القاهرة، 29 ربيع الأول 1331 هـ - 7 افريل 1913 م) ،ص: 280 . وللاطلاع أكثر على جمعية بيروت الإصلاحية انظـر : كوثراني ، السلطة ، **مرجع سابق**، ص ص: 173، 179.

5 -محمـد رشيد، رضـا ، " **انتقـاد لائحـة الإصـلاح البيروتيـة** "،مجلـة المنـار، م 16 ، ج 4 (القاهرة، 29 ربيع الآخر 1331هـ - 7 افريل 1913م) ،ص :312.

خاصة عية البصرة الإصلاحية والنادي العلمي. وكان ثابة ا رك الأساسي ـا للمطالبـة باللامركزية، وإرسال ال قيات إ الأستانة للمطالبة بالإصلاح . كما ساهم كتابة مـسودة منشورا ا ا ستنكرة لسياسة الا ادي ، وا شيدة بالأمة العربيـة ، ويبـدو أن ا معيـات الإصلاحية العراق كانت أكثر تعب ا عن الا اه العر الإسلامي،وأقرب إ طبيعة حـزب اللامركزية مصر . ويعود ذلك إ تأث رشيد رضا الواضح عليها، وأ ا تعـ بذلك عـن الوجهة القومية ا ركة الإصلاحية من لائحة ب وت[1].

3- موقفه من ا ؤ ر العر الأول 1913 :

أمام إصرار الا ادي على ا ركزية والتتريك ، وتزايد ضعف الدولة، واتساع دائـرة الأطماع الاستعمارية ، ورفض الا ادي كل مطلب يتعلق باللامركزية انطلقت الفكرة مع الأطراف ا ناهضة للا ادي بغض النظر عن تكوينـهم الثقـا ،وانتمـاءا م الـسياسية، واختلافهم الدي .

و هذا السياق شكلت نة ض ية بادرة من أعضاء العربيـة الفتـاة وبالتنـسيق مـع عية بيـروت الإصلاحية، وحزب اللامركزية الإدارية مصـــر ، ثـلا شخـص عبد ا ميـد الزهـراوي الذي ترأس ا ؤ ر الذي انعقد بباريـس خـلال الفتـرة ا متـدة ب 17 -23 حزيران 1913 . وقد دافع الشيخ رشيد رضا عن ا ؤ ر واعتـ ه نتيجة طبيعة ماطلة الا ادي تنفيذ الإصلاحات الولايات العربية ، وسعيهم الـدائم إ إجهاض فكرة اللامركزية ، أو اوزها من خلال ما يعرف بتوسيع ا أذونية ال يـر فيهـا سوى توسيعا لدائرة الاستبداد ، ال ارسها الولاة على رعايا الدولـة ، وإظهـار دعـاة الإصلاح وكأ م فئة مرتبطة بالأجن ولا ثل إلا نفسها ، بل وتسعى لتدم وحدة الدولـة وزرع الشقاق ب القوميات[2]. كما اعتـ أن العرب أرادوا من خـلال ا ـؤ ر أن ي هنـوا للحكومة العثمانية أ م يريدون الإصلاح فقط ولو أتى تدر يا[3]، وأن ا ؤ ر لا يهـدف إ

---

1 - الدوري، **مرجع سابق**، ص:251.

2- محمد رشيد، رضـا،" **المؤتمـر العربي بباريس وحـزب اللامركزيـة بمصر**"،مجلة المنار، م 16، ج 5 (القاهرة، 29 جمادى الأولى 1331-7 مايو 1913 م)، ص: 394.

3 - محمد رشيد، رضـا،"**بيــــان للأمة العربية من حـزب اللامركزيـة**" ،مجلـة المنـــار،م16،ج 11، (القاهرة، 30 ذي القعدة 1331 هـ -30 أكتوبر 1913 م)، ص: 852.

استقلال العرب عن الدولة العثمانية وانفصا م عنها ، بل غايته تتمثل مقاومـة الاحـتلال الأجن للوطن العر ، وضمان حقوق العرب ا ملكة العثمانية ، ووجوب تغـي شـكل الإدارة بتطبيق نظام اللامركزية الإدارية. و هذا الإطار أكد أن انعقاد ا ؤ ر أبـرز وحـدة ا طالب العربية، وجعل دعاة الإصلاح يظهرون كأصحاب حق، ولـيس طـلاب مناصـب وأصحاب ومنافع[1].

وقد برر الشيخ أسباب اختيار باريس مكانا لانعقاد ا ؤ ر بالرغبة إ اع أوربا صوتا عربيـا موحدا، متمسكا قوقه، ورافضا للمركزية الشديدة، بالإضافة إ تعذر انعقـاد ا ـؤ ر الأستانة أو أي ولاية عربية ا فيها مصر بسبب خضوعها للاحتلال الأجن . كما أن بـاريس كانت مركزا لتجمع ا هاجرين العرب وخاصة السوري [2].

ورغم أن مطالب ا ؤ ر تتعد التأكيد على الإخـاء العـر -التركـي إطـار الرابطـة العثمانية,ومطالبة العرب عمالتهم كشركاء الدولة , وتطبيق اللامركزية ,واعتبـار اللغـة العربية ر ية البلاد العربية,وأن تكون ا دمـة العـسكرية ليـة إلا الظـ ـ ـروف الاستثنائية[3],فإن الا ادي حاولوا بداية الأمر التهوين من شأن ا ؤ ر والقائم عليه,وطبقوا خطة تعتمد مبدأ التجاهل واللامبالاة .وقد سار على نفس ا نوال بعض الشخصيات العربيـة ال استنكرت انعقاد ا ؤ ر وعارضته مثل شكيب ارسلان .غ أن التأييد الشع للمؤ ر سوريا،والعراق، ومصر قد دفع بالا ادي إ إرسال مدحت شكري بيك سـكرت اللجنـة ا ركزية زب الا اد والترقي للتفاوض مع قادة ا ؤ ر . وبعـد سلـسلة مـن اللقـاءات وا فاوضات عاد مدحت شكري، وعبد الكر ا ليل إ استانبول حيث التوقيع على ما الاتفاق عليه[4]. وإذا كانت نة حزب اللامركزية القاهرة قد اشترطت عـدم قبـول أي منصب يعرضه الا اديون إلا بعد تنفيذ ما الاتفاق عليه واستشارة ا زب، فإن الا ـادي حاولوا الالتفاف على الاتفاق من خلال إثارة النقد للمؤ ر ، واستدراج أحد أعضائه البارزين

---

[1] - رضا ،" المؤتمر العربي بباريس . . .''، **مرجع سابق**، ص: 394.

[2]- **المرجع نفسه** ، ص: 395.

[3]- محمـد رشـيد ، رضـا ،" **قـرارات المـؤتمر الـسوري العربـي**"، مجلـة المنـار،م 16، ج 9، (القاهرة، 30 رمضان 1331هـ-1 سبتمبر 1913 م)، ص ص: 717، 719.

[4]- محمد رشيد ، رضا، " **الاصلاح والإتفـاق بـين العـرب والإتحـاديين** " ، مجلـة المنـار، م 16، ج 8 (القاهرة، 29 شعبان 1331هـ- 2 اغسطس 1913 م)، ص ص:639،640.

وهو عبد ا ميد الزهراوي ، وتعيينه عضوا لس الأعيان كوسـيلة لإضـعاف وتفريـق الإصلاحي , اساهم إثارة ا لاف بـ رجـال الإصـلاح حـول طبيعـة العلاقـات العربية – التركية ، وتأكيد الشكوك نوايا الا ادي . وقد يكون ذلك من الأسباب الـ دفعت رشيد رضا و معرض تعليقه على ا ؤ ر العر إ القول: ((. . . وقد كان ب على الأمة العربية أن ب من رقد ا، وتعمل لنفسها ولدولتها ، وتثبت لنفسها وجـودا تـرم بـه حقوقها ، وتعمر بلادها ، إن اقل أن هذا كان ب عليها منذ تغلغلـت الـسلطة ا ميديـة التدم ية ولايا ا. . وعهد الا ادي الذي هو شر منه وآخر عهد الوحدة والعمل **))[1].**

كما أن الشيخ الذي كان متحمسا للا ادي ومدافعا عنهم بدأ عارضتهم ، بسبب سياسـة ا ركزية والتتريك ، وكتب ا ؤ ر كلمة أكد فيها أن انعقاد ا ؤ ر ي ز الوجـود القـومي للأمة العربية ،وعلى أن حقوقها السياسية والاقتصادية مهضومة ، ورغم ذلك يتـسببوا إ اق الضرر بالدولة[2] .

و در الإشارة إ أن قبول الزهراوي منصب عضو لس الأعيان قد أثار موجـة مـن ردود الأفعال الرافضة وا ستنكرة ، سواء الولايات العربية، أو ا هجر واعت وا أنـه فـضل مصا ة الشخصية وأهدافه الذاتية دون مصلحة الأمة العربية[3].وقد كان مقدمـة أولئـك الشيخ رشيد رضا الذي بعث لزميله رسالة لامه فيها عدم الرجوع إ نة ا زب عندما ا ذ قراره ، بالنظر إ ما قد يترتب عن ذلك من أضرار بالقضية العربية.ويبدو أن الـشيخ كـان مدركا غزى ا طوة الـ أقـدم عليـها الا اديـون، واعت ها ثابـة فـ ـخ لاسـتدراج بقية الأعضاء والقضاء عليهم. وهو رأي تلبث الأحـداث أن أكـدت صحتـ ـه خـلال ا رب[4]. و مكان آخر يشد رضا إ أن الزهراوي : ((قبل منصب الأعيـان بتلـك النيـة الصا ة من غ مشاورة للحزب ولا لأحد أصدقائه ، وانه اخ نا ا كان وبنيته فيه ، فلمناه على تعجلـه ، ولكن ا زب أجاز عمله ، واتفق الرأي على أن ضي هذه التجربة ، وان لا ينظم

---

[1]- رضا، " المؤتمر العربي بباريس. . . "، **مرجع سابق**، ص: 392.

[2]- كوثراني ، السلطة ، **مرجع سابق**، ص ص: 186، 187.

[3]- محمد رشيد، رضـا ، "**السيـد عبـد الحميـد الزهـراوي**"،مجلـة المنـار ،م19،ج3 (القاهرة، سلخ شوال 1334-29 اغسطس 1916م) ،ص :172،173.

[4]- ربما يكون مثال الأفغاني وما حدث له في عاصمة الدولة مازال ماثلا أمامه، ولذلك فإن رفضه دعوة أبـو الهدى الصيادي للمجيء إلى الأستانة تدخل في هذا السياق.

إليه احد من ا قيم خارج ا ملكة))[1]. **هذا ا وقف الت يري الذي وقفه رشيد رضـا وبعـض أصدقائه أثار حفيظة ورد فعل بعض ا معيات ا هجر ، الـ ا مـت أعـضاء حـزب اللامركزية بالاستهتار وبتمييع قرارات ا ؤ ر، بل وبالتواطؤ مع الأتراك[2].**

عموما فإن تلكؤ الا ادي تنفيذ مطالب العرب الـ الاتفاق عليها، و وءهم إ ا ماطلة وا راوغة، والتسويف دفعت رشيد رضا إ القول حازما: ((أن ا سألة العربية قد دخلـت طور عملي عام سيعقبه انقلاب لا يعلم كيف يكون إلا ا))[3]**، وأنه إذا أصرت ا كومة على :** ((ا طل والتشويف شى أن تنتقل ا سألة العربية سب سنة ا تعا نظام الاجتماع البشري إ طور آخر يضطر ا كومة إ الإصلاح اضطرارا، ويلجئ الأجانب إ التوسط بينـها وبـ العرب))[4] **.ومن جهة أخرى فقد ساهم اختلاف الأعضاء تقييم قبول الزهراوي عـضوية لس الأعيان دفع ا زب لعقد جلسة بتاريخ 24 افريل 1914 ، دخل ا زب على إثرها أزمة خط ة بسبب اختلاف الآراء وتناقضها . غ أن الشيخ تدارك ذلك بالدعوة إ عقد مؤ ر للحزب وفروعه، وهو ما أقره عليه ا اضرون.غ أن ا ؤ ر يعقد بـسبب اسـتمرار الأزمة داخل ا زب واندلاع ا رب العا ية الأو بعد حل الأزمة ا زبية دة وجيزة.**

يتضح ا سبق ذكره أن مفهوم رشيد رضا لفكرة ا امعة الإسلامية كان مفهوما روحيا عقائديا و يكن مفهوما سياسيا. و يكن يهدف بأي شكل من الأشكال إ توحيد ا سلم دولة واحدة، و ت قيادة حاكم واحد. بعبارة أخرى كان نضاله من اجل سيد فكـرة ا امعـة الإسلامية على أرض الواقع يهدف إ قيق التعاون، والتضامن ب ا سلم ، والتحـرر أو ا ة الزحف الاستعماري القادم من الغرب . وإذا كان الشيخ واقعيا تفك ه ، ومـدركا لاستحالة قيق الوحدة السياسية ب ا سلم بسبب النعرات ا ذهبية، وعدم رغبة أوربـا رؤية ا سلم موحدين ، فإنه ودفاعا عن تلك الوحدة ا عنوية هاجم دعاة الوطنيـة الـضيقة والتعصب ا نسي واعت ها خروجا عن رسالة الإسلام ووحدة ا سلم . كما أن إحـساسه

1- رضا ، " السيد عبد الحميد الزهراوي. . . "**مرجع سابق** ، ص :174.

2 - الريماوي ، " حزب اللامركزية الإدارية . . . "، **مرجع سابق** ، ص:191.

3 - محمد رشيد، رضـا ، " **الإصلاح اللامركزي في الـبلاد العربيـة واتفـاق التـرك مـع العـرب** "، مجلة المنـار، م16، ج 10 (القاهرة، 30 رمضان 1331 هـ -1سبتمبر 1913م)، ص: 800.

4 - محمد رشيد،رضا،"**بيان حزب اللامركزية والإصلاح في الولايات العربية**"،مجلة المنـار،م16،ج11 (القاهرة، 29 شوال 1331 هـ -30 سبتمبر 1913م)، ص: 880.

با خاطر والتحديات الـ أصبحت تتهدد الدولة العثمانية قد دفعـه إ ا طالبـة بـضرورة الإصلاح السياسي ، و فيف حدة ا ركزية كأسلوب يسمح لتلك القوميات خاصة العـرب بتسي شؤو م ، وا فاظ على هويتهم، والدفاع عن وجودهم . أي قيق نوع من الاستقلال الذا يتيح م التقليص من حدة التبعية ا طلقة للمركز.

ورغم أن البعض وبدافع ا فاظ على وحدة الدولة و اسكها ، أو رغبة منه تشويه صـورة العرب و ميلهم مسؤولية إضعاف الدولة العثمانية قد اعتـ ا ؤ ر العر خيانـة، أو عمالـة للأجن ، فإن الشيـخ رشيد رضا يعتـ ه دعوة لاستقلال البلاد العربيـة عـن الـسلطنة العثمانية ، إ ا دعوة ماية حقوق العرب الدولة ، وتأكيدا على ضرورة الإصـلاح علـى قاعدة اللامركزية الإدارية بعد استشراء لات التتريك والدعوة الطورانية ، واشتداد التنافس الأور الذي كان يروم ويل ا نطقة العربية إ منطقة نفوذ استعماري فرنسي – بريطـا ، بعد أن أصبح العثمانيون غ قادرين على رد أي اعتداء خارجي أو توسع اجن .

والسؤال ا طروح هنا: هل دفعت سياسة الا اديـ ا تطرفة الشيخ رشيد رضا إ اليأس مـن إمكانية توثيق عرى الوحدة بـ العرب والأتراك ؟ وهل دفعتـه تلـك الـسياسة و ـديات الاستعمار الأجن إ الدعوة لقيام دولة عربية وانفصال العرب عن الدولة العثمانية ؟.

الفصـــــل الثـــــالث

رشيد رضا داعية الوحدة العربية.

1- مفهوم العروبة لدى رشيد رضا:

رغم التركيز الكبـ الذي أولاه الشيخ لفكرة ا امعة الإسلامية والرابطة العثمانية منذ بداية حركته الإصلاحية، إلا أن هناك الكثـ من الأدلة والشواهد تؤكد أن العروبة كانت تل موقعا هاما اهتماماته بالنظر إ أن العرب يتميزون عن يع الأمم الـ اعتنقت الإسلام.

فالإسلام لدى العرب ليس رد رسالة اوية اعتناقها فحسب، ولكنـه كـان القاعـدة الأساسية الـ اعتمدوا عليها عملية التحول من رد كم مهمل إ رقم فاعل معادلـة القوى خلال تلك الفترة. كما أن الرسول (ص) كان عربيا ، والإسلام نزل بلغـة العـرب ، ولذلك اعتـ الشيخ أن إصلاح العرب مقدمة للإصلاح الاسلامي الشامل .

وا طلع على نصوص رشيد رضا ا بثوثة مؤلفاته خاصة لة ا نار كن له أن دد لـة من الأفكار تساعد على ضبط مفهومه للعروبة .

مبدئيا كن القول أن مفهومه للعروبة مفهوم حضاري ، غـ عرقي ، متفتح على يع طبقات ا تمع بكل مكوناته الاثنية والدينية ، وبالتا لا أثر فيه فاهيم العنصرية القائمة على أسـاس التعصب للجنس . وتقوم العروبة عنده على أسس ددة هي: الدين، واللغة، والوطن مرتبـة حسب أ يتها. فمن تكلم العربية فهو عر د ولو كان أعجمياً[1]. وهي عنده عروبة الدين واللسان حيث تسع ا خالف الدين كم روابط الوطن وا صا ا ـشتركة[2].ويتـضح أن إخوة ا نس تلعب دوراً كبـ اً تصور رشيد رضا للأمة. فالأخوة ا نسية ليست بالضرورة العصبية ا نسية الـ ى عنها الإسلام.

---

[1] - ينفي الشيخ رشيد رضا تهمة التعصب للجنس العربي بالقول ((.. لا نعني بالعرب من لهم نسب يتـصل بإحدى القبائل العربية فقط، إذ ليس من غرضنا التعصب للجنسيات، بل هذا ما ننفر منه وننتقد كل من يقـول به. المدنية العربية التي نفتخر بها لم يكن كل رجالها من صميم العـرب أصحاب النسب الـصريح ، ولكـن الأعجمي منهم لم تكن علومه ومعارفه بلغته الأعجمية وإنما كان الباعث عليها والراقي بهمته إليها هو النـور الذي أشرق في أفق عقله من سماء البلاد العربية والديانة التي تلقاها باللسان العربي)). أنظر: محمد رشيد، رضا ، " **مدنية العرب**" ،مجلة المنار، م 3 ، ج 13 (القاهرة، 11ربيع الأول 1318هـ - 8 يولية (تموز) 1900 م)، ص ص: 290،291.

[2] - يقول رشيد رضا ((إنني عربي مسلم فانا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين العرب وغير العرب، وأنا أخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين. . . وأنني احمد ا تعالى أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة لمصلحة المسلمين السياسية)) انظر: محمد رشيد، رضا، " **المسألة العربيـة(مقالة للتاريخ)**"،مجلة المنار، م20،ج1(القاهرة، 11 شوال 1335هـ -30 يوليو1917م)، ص: 34.

و ة أفكار كثـ ة ا نار تحدد من خلا ا ا قومات الـ عـل العـرب أمـة واحـدة .

فقد كتب سنة 1917 : ((وأما غ ا سلم العرب، فهم الآن كا سلم ليس م دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خ م من أن يكونوا تابع لدولة أعجمية لا يشاركو ا النـسب ولا اللغة ولا العادات والتقاليد ، ولا الوطن ا غرا ، ولا الدين ، ولا لدولة أعجمية يشاركها بعضهم الدين وا ذهب أو الدين دون ا ـذهب دون سـائر مقومـات الأمـم ومشخصا ا))[1].

يـ ز هذا النص أن الشيخ يؤمن بأن أبناء ا نس الواحد أمة قبل أن تكون م دولة مـستقلة ، وأن الروابط الـ عل منهم أمة هي النسب، واللغة، والعادات، والتقاليد، والوطن ا غـرا وا صا ا شتركة . ومن جهة أخرى فإن وصفه للدولة غ العربية " بالدولة الأعجميـة " مل دلالات فكرية وتار ية.ولذلك فالعقيدة الدينية، والرابطة القومية، وا شاعر الوطنية هي موعة مستويات يتحرك ضمنها الإنسان بدون تناقض أو تعارض، وعليه فلا الإسلام نافيـاً للعروبة، ولا العروبة افية للخصوصيات الوطنية، ولا الانتماء الوط مناقضاً للروابط القبلية والعائلية فهومها الا ادي النابذ للتعصب[2] .

واللافت للانتبـاه هذا الإطار أن ا ذور التار ية لفكرة العروبة كامنة أساسـا حركات التجديد الإسلامي، الـ يشكـل رشيد رضا أ وذجا ا. فالوهابية الـ تنسـب إ مد ابن عبد الوهاب (1700-1792) دعت إ قرشية ا لافة من حيث أ ا تأكيد على عروبة ا كم والقيادة، و تكتف بذلك بل أقامت دولة عربية وحاربت سبيلها العثماني . وموقف السنوسية الـ أسسها مد ابن علي السنوسي (1787-1859) ا ثله من موقف غ ودي إزاء العثماني والزحف الاستعماري ،وا هدية الـ أسسها مد ا د ا هدي ثارت ضد الأتراك مؤكدة على عروبة السـودان ،وكانت بالتا رافداً من روافد حركة اليقظة العربية والإسلامية ا ديثة[3].

و نفس الا اه أكد مصلحون إسلاميون آخرون على رابطة العروبة.فالأفغا سعى سواء من

---

[1] - رضا، " **المسألة . . .** " **مرجع سابق** ، ص ص : 35،36.

[2]- معـن ، بـشور ،" **الإسـلام والفكـر العروبـي المعاصـر**" ،مجلـة المنـابر، س5،ع49 (لبنان ، نيسان1990)،ص،46.

[3] - محمد، عمارة،" **الجامعـة العربيـة. . . . الجامعـة الإسـلامية**"، مجلـة المـستقبل العربـي، ع 24، (لبنان ،فيفري 1981م)، ص ص:74،75.

خلال نضاله وكتاباته، أو من خلال حواره ومناقشته للسلطان عبد ا ميد الثا إ إقناعه بضرورة أ ية تعريب الدولة[1]، والكواك اعت ، أن العرب هم الأقدر على قيادة ا سلم و ديد الإسلام ، و ل رايته عكس الأتراك الذين اعت هم رد بناة لكة سياسية ومتاجرين بالدين[2]. كما يظهر إبراز رشيد رضا لدور العرب أنه وعلى الرغم من أن ا نار كان يدعو إ الوحدة الإسلامية ، فإنه ظل مقتنعا بأن د الإسلام إ ا فظ جد العرب ، وأنه لا بد من السعي فظه بالوحدة العربية على أن لا ل هذا ا سعى بسيادة الدولة العثمانية، ويهيج الدول الأوربية[3].

عموما كن تقسيم اهتمام رشيد رضا بالقضايا العربية إ مرحلت متمايزت ارتبطت كل واحدة منها بالتحولات الداخلية والعوامل ا ارجية.

أ/ مرحلة السلطان عبد ا ميد الثا :

اقتصرت مطالب الشيخ العربية خلال هذه ا رحلة على التنويه بدور العرب خدمة الإسلام ونشره، وإبراز مسا ا م العلمية ودورهم ا ضاري، وقدر م على قيادة البشرية. وا دارس لتفك رشيد رضا السياسي يستنتج أنه وظف قراءته ا يدة للتاريخ خدمة مطالبه وأفكاره السياسية من خلال إبراز خشية الأوربي من الوحدة العربية رغم تنافسهم لتجزئة الدولة العثمانية.والشاهد على ذلك ربة مد علي وابنه إبراهيم باشا. حيث شجعت الدول الأوروبية على تصادم مد علي با ركة الوهابية، لأنه دم مصا ها، بينما أحبطت اولتهما لتوحيد مصر وبلاد الشام والوصول إ الأستانة.وتأكيدا على أ ية العرب يضيف الشيخ:

((والعرب عز الإسلام وبيضته وبلادهم منبع حكمته، ومنبعث أشعته فيها أسس بنيانه، وفيها تقام أركانه. . ومهما سلمت الأمة العربية وبلادها فان النفوس تظل مطمئنة راجية أن يعتز الإسلام بها يوما من الأيام **))**[4].

---

[1] - عمارة، جمال الدين ، **مرجع سابق،** ص: 179.

[2] - عمارة ، عبد الرحمن الكواكبي، **مرجع سابق،** ص :64.

[3] - محمد رشيد، رضا، "**إعادة مجد الإسلام**"،مجلة المنار ، م 3 ، ج4 (القاهرة، غرة ذي الحجة 1317هـ - 1 افريل 1900م)، ص: 78.

[4] - محمد رشيد ،رضا ، " **الوحدة العربية** "،مجلة المنار، م3 ، ج6 (غرة محرم الحرام 1318هـ - 30 افريل 1900م)، ص: 122.

ويضيف أنه على الأمة العربية أن تسعى   تقوية نفسها وحفظ وحد ا، وطاا ـب ا ـسلم بتقد يد ا ساعدة ا لأ ا روح ا امعة الإسلامية[1].

وحسب تقديري فإن ا كانة الكب ة ال   أولاها الشيخ للعرب دون غ هـ م مـ ن الأجنـ اس ا سلمة الأخرى مردها إ   نزول القرآن عليهم ، وأ م الأجدر عرفة الدين وفهم حقيقتـ ه ، وان أزهى العصور وأكثرها إشراقا   التاريخ الإسلامي هي ال   كانت فيها القيادة للعـ رب وأن بداية الضعف الداخلي، وا مود ا ضاري، والتراجع التار ي بدأت عنـ دما أصـ بحت القيادة بيد الأعاجم .كما يظهر اعتزازه بالعرب من خلال اسـ تناده إ   الأحاديـ ث النبويـ ة الشريفة لإبراز مكانة العرب   الإسلام ، وتكر الرسول (ص) ـ م . و   هذا الإطار بعث إليـ ه قارئ للمنـ ار من مصر رسالة يسأل فيهـ ا عن صحة سند ا ديث النبـ وي القائـ ل ((أنا عر   وليس العرب م   )) والذي اعتمد عليه بعض الترك   ذم العرب.فأجاب أن هـ ذا ا ديث تلق عن الن   (ص) .وذكر موعة من الأحاديث ال   يعتز فيهـ ا الرسـ ول (ص) بالعرب مثل قوله ((أحب العرب لثلاث:لأ   عر ، والقرآن عر   وكلام أهل ا نة عـ ر   )). وقوله (ص) ((إن ا   اختار من آدم العرب ، واختار من العرب مضر ومن مضر قريشا، واختـ ار من قريش ب   هاشم ، واختار   من ب   هاشم ، فانا خيار من خيار ، فمن أحب العرب فـ بحب أحبهم، ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم)) وقوله (ص) ((لا يبغض العـ رب إلا منـ افق)) وقوله (ص):((إذا ذلت العرب ذل الإسلام)) . وأكد أن الـ ذين يتعمـ دون إذلال العـ رب وإهانتهم إ ا ينتقمون من الإسلام ، وختم مقالته بالدعاء التا   : ((اللهم اعز الإسـ لام واعـ ز العرب ، اللهم واعز من اعز العرب وأذل من أذ م إ   يوم القيامة))[2].

ورغم إشادته بالعرب وتنويهه بدورهم التار ي ، وعظمة حضار م وقياد م للمسلم   ، فإنه   يتوسع   ذلك مراعاة لعدم إشعار العثماني   بتفوق العرب عليهم من جهة ، وعلى أسـ اس أن الإشـ ادة بالعرب، وا قارنة بينهم وب   العثماني   قد يفهم منه طعـ ن   خلافة العثماني   للمسلم   ،   الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية ر بفترة صعبة .ولكن هل يع   ذلـ ك إ انه واقتناعه بأحقية العثماني   خلافة ا سلم   وقياد م ؟.

---

[1] - رضا ، " **الوحدة . . .** " **مرجع سابق** ، ص: 124.

[2] - محمـ ـ ـد رشـ ـ ـيد، رضـ ـ ـ ـا،" **فتـ ـ ـاوى المنـ ـ ـ ـار**"،مجلـ ـ ـة المنـ ـ ـار، م 16 ،ج12 (القاهرة، 29 ذي الحجة 1331 هـ - 29 نوفمبر 1913 م) ،ص ص: 900،902.

الواقع أنه يسلم بذلك، ولكنه أقام اعترافه على أ ا خلافة تغلب وضرورة، ولـذلك ظـل يدعو إ أن ا نسية العثمانية هي الأنسب مع كافة عناصر الدولة.

ومن جهة أخرى نفى عن نفسه أي مسعى للدعوة إ خلافة عربية، أو إقامة كيـان سياسـي عر منفصـل عن الدولة العثمانيـة[1].كمـا نفى مة الانفصال عن أمراء العرب وا ديوي عباس[2].وأكد أن زعماء العرب سوريا،والعراق كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم ، حـ أ م كانوا يفضلو م على العرب ، ويسترون ما يعرفون من سيئا م ، ويكبرون الـصغ من حسنا م[3]. وقد ربط فكرة استبعاد انفصال العرب عن الدولة و ـسكهم ـا بعـامل رئيسي :

1- دور الإسلام إزالة العصبية ا نسية لدى العرب .

2- خوفهم من السياسة الاستعمارية لأوربا وما قد يترتب عنها من سيطرة واحتلال[4].

عموما ارتكزت مطالب الشيخ عهد السلطان عبد ا ميد الثا علـى زيـادة الاهتمـام بالعنصر العر وتنشيطه، وتوف كافة وسائل القوة ا اديـة والعلميـة، وا ـشاركة إدارة الدولة، و تتعداه إ مطالب س بوحدة الدولة.ويعود ذلك نظري إ أن فترة الـسلطان قد ارتبطت بفكرة ا امعة الإسلامية ، ال اعتمد عليها الدفاع عن الدولة ، والوقـوف وجه التحديات ا ارجية . ولكن هل كان الشيخ هذه ا الة يؤمن بعدم قدرة العرب على إقامة دولة خاصة م ؟ .الواقع أنه كان يؤكد دوما على أن العرب لمكون كـل مقومـات الدولة، ولكن ا انع الوحيد هو أن السعي لإقامتها يترتب عنها بالضرورة زوال الدولة العثمانية واستلاء الأجانب عليها.

[1] - يقول رشيد رضا: ((وقد صرحنا من قبل بأننا لا نعني بالوحدة العربية أن ينفصل العرب علـى سـائر المسلمين أو عن الترك خاصة. . ولكنني لا أنكر إنني أرجوا أن يظهر كلامي فـي قـومي الـذين يقراونـه ويفهمونه ، وهذا ما يحملني على أن اخصهم بالذكر)). رضا، " مدنية. . . "**مرجع سابق**، ص: 293.

[2] - رضا، " المسألة. . . . " **مرجع سابق**، ص: 37.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص: 38.

[4] - **المرجع نفسه** ، ص: 41.

ب/ فترة حكم الا ادي :

تعد فترة الا ادي فترة هامة تفك الشيخ السياسي.فخلال تلك الفترة خفت صوت ا امعة الإسلامية،وتوارت فكرة ا امعة العثمانية،وانكشفت سياسة الا ادي ا تطرفة ورغم ذلك فإن الإطار العام لسياسته استند على مبدأ التآخي ب العنصرين ، و قيق أك قدر كن من التعاون والتفاهم ، مع ا يل إ إبراز العنصر العر أكثر من ذي قبل ، واعتبار العرب الشريك ا قيقي للأتراك الدولة ، وأ م لمكون مقومات ك ة كن للدولة الاعتماد عليها كعدد السكان ، وضخامة الإمكانيات الاقتصادية.

ورغم استمرار السياسة العنصرية للا ادي ، ويأس العرب منهم فإنه ير مصلحة إعلان العرب استقلا م، وظل يدعو إ ضرورة ا افظة على الدولة العثمانية و ايتها من الأخطار ا ارجية[1]، مع التأكيد على أ ية اللامركزية كصيغة تساهم تقوية الروابط ب العرب والأتراك وحل يضمن وحدة الدولة. وهذا عكس ما ذهب إليه وميض نظمي عندما قال أن رشيد رضا كم منطلقه، ودعوته للإصلاحات الدينية، والتجديد، والعروبة كان من الناحية ا وضوعية يزعزع أسس الإم اطورية العثمانية[2].

ومن خلال القراءة التار ية ركات الإصلاح الإسلامي كن القول أن تيار التجديد ا دي أدرك أن العروبة لا تع العداء للجامعة الإسلامية ، بل تع عقد لواء قيادة ا يط الإسلامي الكب للأمة العربية[3]، وأن الإسلام كان : ((سبيلا لاتساع دائرة العروبة ب ا ع الق ومي ذي ا ضمون ا ضاري وتلك قمة الامتزاج ب العروبة والإسلام))[4]. وهذا ما أكده أحد الباحث عندما قال أن الأ ية والاعتبار الأساسي اللذين كان العرب يتمتعون ا بوصفهم لة العقيدة الإسلامية ،ووكلاء حضارة قد ة قد ساعدا على إبراز هوية عربية ذات ملامح إسلامية كما فعل رشيد رضا[5].

---

[1] - رضا ، "المسألة . . . " **مرجع سابق**، ص ص،44، 45.

[2] - وميض ، نظمي، "**ملامح من الفكر العربي في عصر اليقظة وعلاقته بفكرة القومية العربية** "، مجلة المستقبل العربي، س 6، ع52، (لبنان ، حزيران (يونيو)1983)، ص، 84.

[3] - عمارة، " الجامعة. . . " ، **مرجع سابق**، ص:80.

[4] - **المرجع نفسه** ، ص:82 .

[5] -حسن، قايالي،**الحركة القومية العربية بعيون عثمانية1908-1918**،ترجمة فاضل جكتر،ط1، قدمس للنشر والتوزيع، سورية، 2003 ،ص:71،72.

إن دراسة العروبة فكر رشيد رضا ت ز أن إظهار الكيان العر ، والـدعوة إ الوحـدة العربية كانت من اهتمامات أبرز ا صلح كالأفغا ، وعبده، والكواك [1]. وأن فكرة العروبة تكن وليدة تأثر بفكرة القومية أوربا ،إ ا كانت نتيجة سعي أولئك ا فكـرين قيـق إصلاح دي وسياسي الدولة العثمانية ، فاصطدموا بالاستبداد والتعصب، وأ م ر وا ع مقالا م ونضا م ا رى الرئيسي الذي ا ذته ا ركة العربية الدولة العثمانية ، سواء مـن خلال تركيزها على أ ية ا افظة على وحدة الدولة ، أو من خلال ا طالبة قوق العرب فيها باعتبارهم يشكلون العنصر الأك ، وأن العروبة تلك الفترة ولدت رحم تيار إسلامي، و تولد جو انفصا عن ا لافة العثمانية[2]. يضاف إ ذلك أن ا صلح ا سلم ، ومـن خلال إدانتهم للإسلام العثما بعد أن ول إ مذهب مغلق يفتقـر إ العقلانيـة، ويـ ر الاستبداد، ودعو م إ العقل والعلم والشورى قد سا وا بشكل مباشر إضعاف الت يرات الدينية للسلطة العثمانية. كما أ م وبدرجات متفاوتة كانوا جدون الدور العر ا فـاظ على الإسلام، وينتقصون من قدرة الأتراك على الدفاع عنه، و هدون الطريق لـ وز وعـي قومي عر [3]. ومن جهة أخرى ظل رشيد رضا يؤكد طول حياته على عروبة مصر ودورها الوطن العر ، خاصة بعد أن ا ه عدد كب من ا فكرين ا صري ا اهـا إقليميـا عمـاده الوطنية الضيقة وأساسه الانكفاء على الذات.

يتضح من العرض السابق أن سياسة الا ادي ا تزمتة ، وعدم قدرة الدولة عن الدفاع عـن البلدان العربية خاصة بعد احتلال طرابلس من طـرف ايطاليـا ، وانفـصال دول البلقـان واستقلا ا قد أدت إ استحالة التفاهم ب العرب والأتراك . ولذلك كان علـى ا ناضـ والأحرار مواصلة نشاطهم بكل الوسائل . وقد كان الشيخ رشيد رضا واحدا منهم، والـذي أسس هذا الإطار عية ا امعة العربية.

---

[1] - رضوان، السيد ، أحمد، برقاوي ، **المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي** ، ط1 ، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، سورية، لبنان، 1998 ، ص :30.

[2] - بشور ، " الإسلام . . . " **مرجع سابق،** ص:55.

[3] - نظمي، " ملامح . . . " **مرجع سابق،** ص، 86.أنظر أيضا: طارق، البشري، **بين العروبـة والإسـلام،** ط2، دار الشروق، القاهرة،2005، ص: 21.

2- دوره ا معيات السياسية العربية من خلال عية ا امعة العربية.

أ-ظروف نشأ ـا:

ة مصدران رئيسيان كن الاعتماد عليهما دراسة نشأة ا معية ، ومعرفة أهدافها ، وتتبع نشاطا ا : كتابات الشيخ لة ا نار ، وما أشار إليه ب الدين ا طيب مذكراته .

يقول رشيد رضا : ((ذهبت للسعي لدى الدولة فيما يا به و ياه الإسلام وتتحد بالعر أ الا اد ، وبعد معا ة العمل سنة كاملة اقتنعت بأن هذه الدولة غ مستعدة للبقاء ، وأن ا لا ا بأيدي رجا ا من أعضاء عية الا اد والترقي ضربة لازب ، وأن العرب إذا يؤسسوا بأنفسهم لأنفسهم بناء الاستقلال القومي فلا بد من سقوطهم بسقوطها أن يسقطوا قبلها بسعيها **))**[1]**.**

ويقـول مكـان آخـر : ((عرفت الشريف عبـد ا الأستانة سنة 1328 هـ ا وافق سنة 1910**))**[2] **. كما التقى به القاهرة وعرض عليه فكرة الانـضمام للجامعـة العربيـة وتأييده**[3] **.**

هذه ا علومات ال أوردها رشيد رضا ت ز لنا أن فكرة تأسيس عية ا امعة العربية تكون قد اختمرت ذهنه بعد الانقلاب الدستوري ، وعلى الأرجح سنة 1910 ، وأن تاريخ تأسيسها كن ديده ب عامي 1912و1913 ، أي بعد الانكسارات الساحقة ال تعرضـت ـا الدولة العثمانية بعد احتلال ايطاليا لطرابلس الغرب وهز ة البلقان[4]**.**

---

[1] - محمد رشيد، رضـا، " **الملـك فيـصل – العبـرة بحياتـه ومماتـه (2)** "،مجلـة المنـار، م33، ج7 (القاهرة، 12 شعبان 1352هـ - 30 نوفمبر 1933 م)، ص: 556.

[2] - محمد رشيد، رضا، " **الملـك فيـصل – العبـرة بحياتـه ووفاتـه(1)**"، مجلـة المنـار، م 33، ج 6 (القاهرة، 11 رجب 1352هـ - 31 أكتوبر 1933م)، ص: 460.

[3] - . G. ERNEST . DAWN . **FROM OTTOMANISM TO ARABISM** UNIVERSITY OF ILLINOIS. U.S.A 1973 . P 21

[4] - سـ ـهيلة ، الريمـ ـاوي، " **جمعيـ ـة الجامعـ ـة العربيـ ـة** "مجلـ ـة دراسـ ـات تاريخيـ ـة، العددان، 39،40(سوريا،كانون الأول 1991)، ص: 172.

ب- أهدافها ومبادئها:

دد الشيخ الغرض الذي أنشئت لأجلـه ، أو الأهـداف الـ تـسعى إ قيقـها بالقول :((..وأما عية ا امعة العربية ال أسسناها بعد عود من الأستانة فكـان الغرض منها أمرين (احد ا) السعي لا اد حلفي ب أمراء جزيرة العرب ومنع الشقاق .(والثا) التعاون على عمران البلاد والدفاع عنها، وللتعاون ب ا معيات العربيـة سـوريا والعـراق وغ ا))[1]. ويعت قسم ا معية الوثيقة الوحيدة ال أوردها الـشيخ ا لد الثالـث والثلاث من لة ا نار وال ت ز بشكل واضح هدف ا معية..

والتساؤل الذي كن إثارته هنا اذا قبل رشيد رضا فكرة ا امعة العربية بينما رفض فكـرة ا امعة الطورانية التركية ؟. الواقع أن الإجابة تكمن الاختلافات ا وهرية ب ا ـامعت . فبينما سا ت الدعوة إ ا امعة الطورانية وقوع الأقاليم غ التركيـة ـت الـسيطرة الاستعمارية، فإن ا امعة العربية كانت دف إ اية الأقاليم العربية العثمانية مـن خطـر الاحتلال. وبينما كانت ا امعة الطورانية دف إ ع الأتراك العثماني وغ العثماني رابطة واحدة، فإن الشيخ رشيد رضا كان حريصا على أن لا ينظم إ ا امعـة العربيـة إلا عرب عثمانيون. وبينما اعتمدت ا امعة الطورانية مبدأ تتريك الشعوب العثمانية غ التركية وطمس ثقافتها ، وتشويه تار ها، فإن ا امعة العربية كانت دف إ اية العرب والـدفاع عنهم. وبينما تبنت ا امعة الطورانية قومية متطرفة ، فإن ا امعة العربية كانت قومية الأساس إسلامية الوجهة[2].

ويتضح أن طابع السرية العمل والنشاط هو الذي دفعها إ عدم التوسع عضويتها ، ال اقتصرت مرحلتها الأو على الأمراء والزعماء العرب ، لا سيما حكام ا زيرة العربيـة. وقد حددت ا معية لة من الشروط للذي يرغب الانضمام إليها مثل قراءة قسم مطبوع، والتوقيع عليه. وقد فعل ذلك كل من إمام اليمن، وإمام عس ،وأم د بالإضافة إ الأمـ عبدا ابن شريف ا جاز.ومن الشروط الأخرى الالتزام بأسرارها،وعدم معارضة أعمـا ا، و ر كل عمل يتعارض مع أهدافها،والقيام بكل ما يأمر به مركزها العـام،وأن الذي نث

---

[1] - رضا ، " الملك فيصل – العبرة بحياته ومماته (2).... " مرجع سابق، ص، 557.

[2] - سالم، " الاصلاح . . . " مرجع سابق، ص: 74.

بالقسم،أو يلحق أضرارا با امعة وأعضائها يستحق لعنة ا ،وا لملائكة،وانتقام ا امعة العربية[1].

ج- نشاطا ا:

استطاعت عية ا امعة العربية ومنذ فترة مبكرة أن توسع من دائرة نشاطها ، وتنجح بالتا استقطاب شخصيات فكرية، وقيادات سياسية بارزة إ صفوفها كرفيـق العظـم، و الشريف عبد ا بن ا سـ عام 1914 ، الذي أصبح عضوا فيها .ومنذ تأسيس ا معيـة وحـ اية ا رب العا ية الأو ناضلت من أجل قيق أهدافها و سيد مبادئها مركزة علـى أ ية العنصر العر ودوره الدولة، وطالبت بضرورة منح العرب حقوقهم السياسية وتطبيق نظام اللامركزية[2].

ورغم ا زائم العسكرية ا تلاحقة للدولة العثمانية، وانكشاف ضعفها وعدم قدر ا على إ ـاد ا لـول الناجعة لوقف حالة التدهور، فإن أعضاء ا امعة ظلوا متمسك بالرابطة العثمانيـة ووحدة الدولة. لكن مع تزايد الأخطار ا دقة بالأمة خطـت عية ا امعة العربية خطـوات متقدمة مطالبها ، من حيـث دعوة أمراء ا زيرة العربية إ الاستعداد والاعتمـاد علـى النفس ، ا ة أي خطر خارجي، والتنسيق مع دعاة الإصلاح العرب الشام، و ت الوحدة الوطنية بغض النظر عن الاختلافات العرقية أو الدينية .وهي إشارة واضحة إ سعي القـوى الأجنبية استخدام ا سيحي كورقة لضرب مكونات ا تمع العر بعضها ببعض.وتؤكد هذه الإشارة على إدراك رشيد رضا خططات القوى الاستعمارية ، ولعبها على وتر التمايز الدي والاختلاف العرقي ، وتفطنه للنتائج السلبية ال قد تترتب عن ذلك حالة اح سياستها .

ويبدو أن عية ا امعة العربية كانت تتعامل مع الأحداث بشكل جد . فكلمـا اسـتفحلت الأخطار و ست ضعف الا ادي كلما طورت مطالبها با اه عر ض.

و هذا الإطار دعت ا معية إ عقد الف سياسي وعسكري واقتصادي ب أمراء ا زيرة العربية ، بل أن رشيد رضا دعـا إ تأسـيس جنـاح عـسكري معيتـه ـت اسـم " اللجنة العسكرية العربية " مهمتها إعداد، وتنظيم قوة عسكرية عربيـة تكـون مهمتـها الدفاع عن الأراضي العربية[3].

---

[1] - رضا،" الملك فيصل ، العبرة بحياته ومماته (2) . . . " **مرجع سابق**، ص ص :557،558 .

[2] - الشوابكة ، **مرجع سابق** ، ص: 253.

[3] - **المرجع نفسه** , ص: 259.

لقد شكلت ا رب العا ية الأو دافعا أساسيا معية ا امعة العربية، وبقية الأحزاب العربية ضاعفة نشاطها، حيث كان يعتقد قاد ا وزعماؤها أن الوقوف إ جانـب أحـد الطـرف ا تصارع ستكون عواقبه وخيمة. ولذلك قامت بتحركات واسعة ي زها ب الدين ا طيب مذكراته بالقول : ((لقد كان رجال ا ركة العربية مثل أعضاء حزب اللامركزيـة و اعـة ا امعة العربية ، وغ هم يرون أنه من الضروري مواجهة ا وقف وتقرير ما ينبغي على العرب أن يعملوه))[1]. ورغبة الوصول إ موقف موحد حالة دخول الدولة العثمانية ا رب، عقد اجتماع مصر ضمّ ا معيات العربية, ّ فيه الاتفاق على إرسال ثلاثة مـن كبـار قاد ـا للاتصال بأمراء العرب وتوحيدهم, لكنهم فشلوا يعاً قيق أهدافهم. وخلال هذه الفترة برز نشاط ا معية بشكل واضح. فقد كتب الشيخ رسالة إ عاصمة الدوا ـة يـدعو فيهـا الا ادي إ الوقوف على ا ياد. وأرسلت ا معية ب الدين ا طيب للاتصال والتـشاور مع أمراء العرب لكن مهمته انتهت بالفشل[2]. و در الإشارة إ أن أحد الدارس للتطورات السياسية والعسكرية ال شهد ا تلك الفترة يش إ أن الإ ليز هم الذين اتصلوا بالـشيخ عام 1914, وطلبوا منه أن يرسل مندوب إ أمراء ا زيرة العربية[3], وأنه وافقهم على ذلك وزودوه بلغ ألف جنيه بعد أن سألوه عن النفقات ال يستلزمها هذا ا شروع, وأنه انتـدب ذه ا همة ثلاثة شبان من العامل القضية العربية. وهم ب الدين ا طيب الذي أوفده إ د, والشيخ مد القلقيلي إ بلاد الشام, والشيخ عاصم رضا أرسله إ اليمن[4]. واللافـت للنظر أنه وبعد التطورات الكب ة ال شهد ا القضية العربية بعد ا رب العا ية الأو , أن ة تغي اً قد طرأ على هذه ا معية. فإ ها أصبح يعرف بـ: " عية الوحدة العربيـة", وتغـ قسمها وطبيعة عملها, وأصبحت أهدافها تلف عما كانت عليه قبل بداية ا رب. فإذا كان هدفها ا رحلة الأو معارضة الا ادي , ورفض سياستهم العنصرية ا تطرفة, والـدعوة إ قيق اللامركزية, فقد أصبحت بعد ا رب تواجه قوى استعمارية تلة للأراضـي العربيـة.

---

[1] - محب الدين، الخطيب, " **مذكرات محب الدين الخطيب** ",مجلة الثقافة، س3, ع 13, (الجزائر، فيفري/مارس 1973), ص: 91.

[2] - **المرجع نفسه**, ص 92. و سليمان، موسى, **الحركة العربية 1908-1924**, ط 3, دار النهار للنشر, لبنان، 1986, ص:159.

[3] - قايالي،**مرجع سابق**،ص:263.

[4] - أمين، السعيد, **أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين**, (د.ط), دار الكتاب العربي,(د.م.ط)،(د.ت)، ص: 37.

ويتعلق الأمر بفرنسا وبريطانيا حديدا. ولعل هذا ما يفسر تشبثها بمبادئ قائمة على أساس تأكيد وحدة الوطن العربي, ورفض التجزئة والاستعمار بجميع أشكاله وصوره, والإصرار على هدف الوحدة العربية باعتبارها حاجة طبيعية تترتب على وجود الأمة العربية, والتي تستمد نشاطها من وجود مقومات حضارية تتمثل في اللغة، والتاريخ، والجغرافيا[1], بالإضافة إلى اقتناع رشيد رضا كغيره من المصلحين المسلمين بأهمية دور العرب في قيادة العالم الإسلامي.[2]

وقد شهد قسم الجامعة العربية تغييرا بعد الحرب حيث أصبح يؤكد على ضرورة السعي إلى تأسيس دولة عربية واحدة تتألف من الجزيرة العربية، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، والعراق, وأن يكون نظام الحكم في هذه الدولة المستقلة شوريا لامركزيا , وضرورة مقاومة كل ما من شأنه أن يتنافى مع الاستقلال سواء تعلق الأمر بالنفوذ الأجنبي، أو الاستبداد الداخلي. والواقع أن هذا الاستقلال أصبح هدفا معلنا وقاسما مشتركا بين جميع الأحزاب، والجمعيات بعد الحرب العالمية الأولى, بعد أن ضل مستبعدا في ظل الدولة العثمانية, إضافة إلى أن التركيز أصبح منصبا على بلاد الشام، والعراق بالدرجة الأولى.

عموما فقد كانت بصمات رشيد رضا واضحة على جمعية الجامعة العربية مقارنة بالجمعيات والأحزاب التي شارك في تأسيسها. ويعود ذلك إلى أنه هو الذي تولى صياغة منطلقاتها الفكرية، وحدد برنامجها، وقاد نشاطها.

3- موقفه من ثورة الشريف حسين:

أ- تأييده لها:

يرى بعض المؤرخين أن انضمام الاتحاديين إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى, قد شكل البداية الفعلية لتخلي بريطانيا عن سياستها التقليدية القائمة على مبدأ المحافظة على الدولة العثمانية لحفظ التوازن الدولي. غير أن تخوف بريطانيا من دعوة السلطان للجهاد ضد الحلفاء، وما قد يسببه من مشاكل وصعوبات، سواء في مستعمرات بريطانيا الإسلامية كالهند، ومصر، والسودان, أو المستعمرات الفرنسية في المغرب العربي دفع بريطانيا إلى

---

[1] -الريماوي, " جمعية الجامعة. . . " **مرجع سابق,** ص: 177.

[2]- C.ERNEST **OP CITE** P 84.

الاتصال جموعة من الشخصيات، والزعمات العربية, ال تلك رصيدا تار يا،وثقلا معنويا ودراية، سياسية وشهرة واسعة. و هذا الإطار بذلت السلطات ال يطانية مصر كل ما وسعها لتفادي اطر الدعوة للجهاد. ولعب الرباعي ا كون من السكرت الشرقي دار الاعتماد ال يطا ا ستر رونالد ستورز, وا قدم ج.ف. كلايتون مدير ا خابرات العسكرية القاهرة, وهنري مكماهون كمندوب سامي مصر, والس ر نالد وينجد كحاكم عام السودان دوراً بارزاً هذا ا ال. فقد تو ستورز وكلايتون مباحثة الزعماء والشخصيات العربية ا قيمة مصر والذين كان طليعتهم رشيد رضا, حيث " الاتصال به لاستطلاع موقفه،والتعرف على آرائه. وقد حورت تلك الاتصالات حول إقناع العرب بالثورة ضد الأتراك مقابل تعهد بريطانيا ساعد م على إقامة دولة م[1]. ويؤكد ذلك بالقول:

((و ا اشتعلت نار ا رب الك ى وانضمت الدولة العثمانية فيها إ ا لف الأ ا كان من سياسة الانكليز فيها أن يستميلوا الأمة العربية إ الانضواء إليهم وإ حلفهم, وا روج على الدولة العثمانية ووعدهم بأن يكون جزاؤهم على ذلك: الاستقلال وتأسيس دولة عربية جديدة يي حضارة العرب الزاهية, ولعلي كنت أول من أرادوا أن يستخدموه ببث الدعاية م جزيرة العرب و الولايات العربية العثمانية, وكلفو إرسال مندوب من قبلي إ أمراء ا زيرة العربية و عيات العرب السياسية الولايات بذلك))[2].

وقد أتبعت بريطانيا هذه ا طوات بإعداد منشور مل نفس ا عا , وخاطبت به زعماء العرب, وطلبت من رشيد رضا نشره، وإعلان موافقته على ما تضمنه. غ أنه رفض ذلك رفضا قاطعا بسبب عدم وضوح عباراته, وأقترح على ال يطاني إصدار تصريح واضح لا يكتنفه الغموض,ولا تمل التأويل و القراءات ا تعددة,وأن يتعهدوا باستقلال البلاد العربية[3].

ويبدو أن رفض رشيد رضا للمقترحات ال يطانية كان قائما على نضج وعيه السياسي، وخ ته التار ية التعامل مع ال يطاني , الذين لا يؤمن جانبهم. وكان احتلا م صر غ ا ر قانونيا ماثلا أمامه. كما تضمن طلب الشيخ و كل اللقاءات ال عته مع ا سؤول ال يطاني أن تتعهد بريطانيا،وحليفا ا بالتصريح بعدم رغبتهم بالسيطرة على أي جزء من

---

[1] - انطونيوس, **مرجع سابق**, ص ص: 246،245.

[2] - محمد رشيد، رضا, " **الشريف حسين ملك الحجاز السابق وفاته والعبرة من ترجمته** ",مجلة المنار، م 31 ،ج 9 (القاهرة، المحرم 1350هـ - يونيه 1931م) ،ص: 719.

[3] - العدوي, **مرجع سابق**، ص: 240.

البلاد العربية, سواء بإسم الاستعمار، أو ا مـاية، أو الوصاية, والسماح باستقلا ا استقلالا تاما, و ـرية اختيار شكل نظامها السياسي, وبعدم إزالة الدولة العثمانية[1].

وغ عن القول أن الشرط الأخ يؤكد استمرار سك الشيخ بالدولة العثمانية كغ ه من ا صلحـ ،رغم كل السلبيات ومساوئ الا اديـ ، مع أن البعض يرى أن الشيخ كان مستعدا للوقوف مع أي حركة سياسية تنادي باستقلال العرب، وا فاظ على أراضيهم بسبب وفه من ول البلاد العربية إ مناطق نفوذ جديدة للقوى الاستعمارية ، وبالتا يفقد العرب أملهم التحرر والاستقلال[2]، خاصة وأنه أصبح موقف حرج نتيجة موقفه الا ا من الا اديـ ، الذين واصلوا إمتهان كرامة العرب،وازدراء تراثهم وتار هم.

ومن النقاط الـ رفض الشيخ قبو ا ، ودعا إ اوزها موضوع ا لافة على أساس أ ا مازالت قائمة سلطان بـ عثمان ، الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تؤيد عودة ا لافة للعرب ـصا ها ا اصة . كما دعا إ ضرورة التزام بريطانيا ساعدة العرب على إقامة لكة عربية مستقلة لغتها العربية، ودينها الإسلام تشتمل على ا زيرة العربية والعراق وسوريا. إلا أن ا سئول الـ يطا رفض هذه ا قترحات[3] .

لقد دفع يأس الـ يطانيـ من إمكانية استمالة رشيد رضا ، والتأث عليه دمة مصا هم العليا إ وضعه ت ا راقبة ورصد ركاته وإضعاف تأث ه من خلال اصرة ما يكتبه ا نار . فقد كتب تلك الفترة مقالا عنوانه " ا سألة العربية " شرح فيه ما كان طط للبلاد العربية، لكن الـ يطانيـ يسمحوا بنشر ما يتعارض مع مصا هم، أو ما كان فيه تنبيها للعرب. وعن تلك ا راقبة كتب قائلا : ((أكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعـ با راقبة الا ليزية مراقبة قلم ا طبوعات وزارة الداخلية ا صرية الـ كان يرأسها ا ليزي أمر بالتشديد ا نار ا لا يشدد مراقبة سائر الصحف ، لأنه اعتقادهم أشد تأث ا أنفس ا سلمـ ا له من النفوذ الديـ ، وإ ا اعـ مراقبة السلطة الا ليزية الـ كانت ول إليها مراقبة ا طبوعات الداخلية ما يكتب مسائل معينة من أ ها ا سالة العربية وا جاز))[4].

---

[1] - الشوابكة, **مرجع سابق**, ص: 269.

[2] - أنيس، الأبيض،**رشيد رضا تاريخ وسيرة،** ط1، جروس برس،1993 ، لبنان، ص:57، ص: 141 .

[3] - الشوابكة ، **مرجع سابق** ، ص: 272 .

[4] - محمد رشيد، رضا،" **الحقائق الجلية في المسألة العربية، مقالة للعبرة والتاريخ** "،مجلة المنار، م22،ج6 (القاهرة ،29 رمضان 1339هـ - 6 يونيو 1921 م)، ص: 442.

وما يؤكد ا وقف العدائي الذي ا ذه ال يطانيون من رشيد رضا شهادة صديقه شكيب أرسلان الذي يقول : ((كان يترامى إلينا من وقت إ آخر أخبار عن مصر ، وما يعمل الا ليز فيها. وجاء إحدى ا رات أن السيد رشيد هو من ا غضوب عليهم عند الا ليز لأ م رغبوا إليه بث الدعاية الا ليزية ببلاد العرب فلم يستطع أن بهم علنا وأظهر شيئا من ا وافقة على مقاصدهم على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك ، فوافقوه على ذلك ، إلا أ م فيما بعد قبضوا على كتب تتضمن التحذير من الانكليز أنفسهم ، وقبضوا عليه ، وفكروا نفيه إ مالطة لة من نفوهم ، وكادوا يفعلون إلا أ م عادوا ففكروا ، أن نفي الشيخ رشيد رضا قد يقربم من الأتراك ويزيد الضرر بزياد م فتركوه مصر ، لكن ت ا راقبة الشديدة . وا لاصة أن السيد رشيد رضا لبث إ اية ا رب ت مراقبة الا ليز ، و يكن كغ ه من أعداء الأتراك لا لثقة ا كومة الا ليزية ، ولا ن كانوا آلات أيدي الانكليز ركو م كيف شاءوا))[1].

ورغم ذلك واصل الشيخ نشاطه السياسي ولعب دوراً كب اً التنسيق ب الزعماء العرب من خلال اعة الوحدة العربية. وأمام يأس ال يطاني من الشيخ رشيد رضا، و سكه طالبه، وأهدافه قرروا الاتصال بزعماء العرب خارج مصر. و هذا الإطار ح ال يطانيون عن طريق ثلهم مصر مكماهون بالاتفاق مع الشريف حس [2]، وضمه إليهم قبل أن يؤيد دعوة ا هاد ال أعلنها السلطان ضد ا لفاء. وبعد مفاوضات واتصالات متعددة ب الطرف الاتفاق بتعهد بريطانيا با ساعدة على قيام دولة عربية مستقلة مقابل التزام الشريف حس بشق عصا الطاعة، وإعلان الثورة ضد الدولة العثمانية[3]. فماذا كان موقف رشيد رضا من ثورة 1916 وهو الذي ظل متمسكا بوحدة الدولة العثمانية ، وداعيا إ ضرورة الا اد ب العرب والأتراك، ورافضا لأي نزعة استقلالية ؟وهل ظل متمسكا بآرائه القد ة ؟ أم أنه كيفها وطورها بالنظر إ ا ستجدات والتحولات ال كانت ا نطقة ر ا؟ .

---

[1] - ارسلان ، السيد ، **مرجع سابق**، ص ص: 242-243.

[2] - رضـا ، " الشريف حسين. . ." ، **مرجع سابق**، ص: 720.ويبدو أن السلطان عبد الحميـد كان يتخوف دائما من الشريف حسين ، ولذلك أبقاه عنده في الأستانة.ذلك أن السلطان عبد الحميد كان يتوجس خيفـة مـن الشريف حسين إبن علي، ويرى فيه رجلا ذا أطماع سياسية واسعة ، وأنه إذا ظفر بمنصب أمير مكة المكرمة فإنه لن يقنع بهذا المركز الرفيع ، بل أنه سيتطلع في قابل الأيام إلى حكم العرب أجمعين ثـم إلـى منـصب الخلافة الإسلامية . انظر : عبد العزيز، الشناوي ، **الدولة العثمانيـة دولـة إسـلامية مفتـرى عليهـا** ، ج2 (د.ط)، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة،2004 ،ص: 268 .

[3] -رياض، الصمد،**العلاقات الدولية في القرن العشرين**،ط3،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيـع، (د م ط) (د.ت)،ص ص:41.

تعود العلاقة ب الشيخ والشريف حس إ الفترة ا تلت إعلان الدستور ، وذلك من خلال اللقاء الذي عه برشيد مصطفى بك فهمي كاتب سر الشريف الذي استشار رشيد وجوه إصلاح ا جاز ، فقدم له موعة من الاقتراحات أبلغها كاتب السر إ ا س ، ونالت رضاه[1]. ولذلك عندما اندلعت ا رب العا ية الأو خفت حدة عداء رشيد رضا للدولة العثمانية، ودعا إ الوقوف معها ضد الأعداء[2] . غ أن مسا ة الترك انبعاث العصبية التركية، واقتناع العرب بضعف الدولة، وعدم قـ ـ ـدر ا على الدفاع عنهـم ، وإعدامات ال باشا الذي : ((نزع عنه ثوب الرياء وا كر ،ولبس م جلد النمر وقتلهم تقتيلا **))[3]بالإضافة إ ظهور بوادر ا زام الدولة العثمانية ا رب قد دفع رشيد رضا إ التأكيد على واجب العرب الاحتياط ا ب إذا سقطت الدولة، أو التفك ا شروع البديل. كما أن استمرار عية الا اد والترقي ترسيخ سياستها ا تطرفة حق العرب جعله يصرح وكأنه يعتذر مسبقا عما قد يفعله العرب دفاعا عن أنفسهم ، و اية لوجودهم بالقول : ((** وقد قلت ولا أزال أقول أن الإسلام قد أبعد العرب عن النعرة ح صاروا أبعد الأمم عنها ، وأنه لا يقدر أحد على إعاد ا إليهم إلا من يتحاملون عليهم من الترك ، فهم وحدهم القادرون على هذا الأمر**))[4]**.ويقسم رشيد رضا التيارات السياسية ا كانت لدى السوري ا قيم مصر أثناء ا رب ، وآراءهم حول الدولة العثمانية إ رأي :**

1- رأي يطالب بضرورة الاتصال با لفاء، والتشاور معهم عرفة وجهة نظرهم مستقبل البلاد العربية ا اضعة للدولة العثمانية.

---

[1] - محمـ ـ ـد رشـ ـ ـيد، رضـ ـ ـا، " **رحلـ ـ ـة الحجـ ـ ـاز(3)** "،<u>مجلـ ـ ـة المنـ ـ ـار</u>، م19، ج9 (القاهرة، 30ربيع الآخر 1335هـ - 22 فيفري 1917 م) ص: 567.

[2] - محمـ ـ د رشيـ ـد،رضـا ،" **إلـى إخوانـي الكـرام مسلمـي سوريـا** "،<u>مجلة المنـا</u>،م17،ج 12 (القاهرة، سلخ ذي الحجة 1332 هـ - 18 نوفمبر 1914م) ،ص ص :958،956.

[3] محمد رشيد، رضـا، " **الجنسيـة التركيـة وعاقبة قتل نابغي العـ ـرب بسوريـ ـا** "،<u>مجلـة المنـ ـار</u> ، م 19،ج 2 (القاهرة، 15 رمضان 1334هـ - 15 يوليو 1916م)، ص: 79. وفي معرض تكذيبـه لتهمـة الخيانة التي الصقها جمال باشا بالأحرار العرب أكد أن : ((الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقـاب هو أنهم من أذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ مـن مـشاركة الحكومة في إدارة البلاد)). انظـ ـر: محمـ ـ د رشيـ ـد، رضـ ـا، "**جمـ ـ ـال باشـ ـ ـا الـسفـ ـاك** "، <u>مجلة المنـ ـ ـار</u>، م19، ج2 (القاهرة، 15 رمضان 1334 هـ - 15 يوليو 1916م)، ص: 119

[4] - محمـ ـ د رشيـ ـد، رضـ ـا ،" **كيـ ـ ـف تنال الأمـ ـ ـة حقوقهـ ـ ـا**" ، <u>مجلة المنـ ـار</u>،م13،ج 5 (القاهرة، سلخ جمادي الأولى 1328 هـ - يونيو(حزيران) 1910م) ،ص ص: 352،353.

2- رأي النصارى السوري الذين كانوا على ثلاثة ا اهات: ا اه يدعو إ انضمام سوريا إ بعض الدول الأوروبية، وا اه يطالب ماية دولة أوروبية مع التأكيد على الاستقلال الإداري، وا اه يدعو إ استقلال سوريا، ولكن ت رعاية الدول العظمى. أما ا وقف الذي انفرد به الشيخ كما يؤكد فقد ثل وجوب السعي إ الاستقلال التام ، وتكوين دولة عربية إذا ا زم الأتراك وحلفاؤهم[1].

وانطلاقا من ذلك رحل رشيد رضا إ ا جاز عام 1916 ، وهي الرحلة ال أث ت حو ا الأقوال،والتخمينات،وتعددت تفس ا ا. فالبعض قال أنه ذهب لأداء فريضة ا ج، وأدعى البعض الآخر أنه ذهب مع وفد من سلطان مصر بايعة شريف مكة با لافة. وقيل أنه ذهب مدعواً من الشريف لتو منصب قاضي القضاة أو شيخ الإسلام. وقد كذب الشيخ هذه الأقوال، وأكد أن ذهابه للحجاز إ ا كان دف ا ج، وليفي بنذر لوالدته ولينصح ا سلم [2].

وقد وجد الشيخ كل مظاهر الاهتمام، والترحاب وهو ضيافة الشريف حس .

والدراسة ا تأنية ا كتبه رشيد رضا حول الثورة تسمح لنا بالقول أنه أيدها البداية ، إنقلب عليها لاحقا. وقد إرتبط ذلك بالتحولات السريعة ال كانت تشهدها ا نطقة. وصف الشيخ الثورة بأ ا أعظم خدمة للإسلام[3]، وأعت ا نشور الذي أصدره الشريف حس أصيلا، وحرض على قراءته. كما دعا إ تأييده ثورته،وأعت ه منقذا. كما عد جزيرة العرب أحسن مكان لتأسيس دولة إسلامية إذا سقطت الدولة العثمانية نظرا ا تتمتع به من خصائص. بل وأعت من يكفر به أنه أكفر الناس بالنعم، ولذلك فاستقلال العرب لا يتعارض مع الإسلام حسب وجهة نظره.و معرض كلامه عن ثورة الشريف حس حدد ستة أسباب دفعتـ ـ ـه للخروج عن الأتراك وهي:

1- إ اد الا ادي ، و اربتهم الدين الإسلامي على أساس أنه العقبة الكب ة ال تقف وجه تطورهم.

2- عداوة الا ادي للعرب، وبغضهم الشديد م، على أساس أ م أعظم أركان الإسلام وأنصاره، ولأ م أك الشعوب العثمانية وأكثرهم عددا.

---

[1] - رضا، " الحقائق . . ." ، **مرجع سابق**، ص:450.

[2] - الشرباصي ، **مرجع سابق** ، ص: 153 .

[3] - محمـ ـ ـ ـد رشيـ ـد، رضـ ـا، " **خطبتنـ ـا السياسيـ ـة في منـ ـ ـى**"، مجلة المنـ ـار، م20، ج6 (القاهرة، 30 ربيع الأول 1336 هـ - 13 يناير 1918 م)، ص: 286.

3- أصبح ا سلمون بغ إمام شرعي حقيقي مستوف لشروط الشرعية، ولا متغلب يطاع لضرورة ع الكلمة، بينما أصبح الا اديون هم ا تصرف الفعلي والوحيد الدولة.

4- إقتناعه بصعوبة إسقاط الا ادي من قبل الأحزاب التركية، وأن مقاومتهم لا تتم إلا بواسطة العرب .

5- إن الا ادي قد عرضوا استقلال الدولة للزوال بعد الفها مع الأ ان.

6- إن ملاحدة الا ادي شرعوا تنفيذ خطتهم بإذلال العرب كمقدمة لإذلال الإسلام . وتبعا لذلك أعت رشيد رضا أن ما قام به الشريف حس يعد أعظم خدمة للإسلام وا سلم . فاستقلاله جعل ا جاز ت سلطة إسلامية خالصة واعت ها مقدمة لتأسيس دولة عربية إسلامية كب ة[1]. وختم مقالته بالتأكيد على أن: ((استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية. وإ ا هو كبح ماح هذه ا معية الباغية على الإسلام والدولة ا معية والعرب . فإن سقطت الدولة هذه ا رب يكن استقلال أم ا جاز احد أسباب سقوطها ، وإن سلمت من ا رب ومن هؤلاء ا لا حدة وعادت دولة إسلامية قوية يكن ما تقدم من استقلال الشريف مانعا من العودة إ الوفاق والاعتصام))[2].

وت ز خطبته م التأكيد على العنصر العر بشكل يسبق له مثيلا. فقد أكد أن مسؤولية الدفاع عن الدين تقع على عاتق العرب ، على أساس أن القرآن نزل باللغة العربية ، وأن الرسول (ص) عر ، وأن ا جاز هي مهبطه ومهده[3]. ولذلك فا م الأك عنده هذه ا رحلة كان هو كيفية إعادة الإسلام لأهله، بعد أن تو الأتراك أمره لفترة طويلة من الزمن،

---

[1] - محمـد رشيـد، رضـا،" **آراء الخـواص فـي المسألـة العربيـة**"، مجلـة المنـار، م19، ج3 (سلخ شوال 1334 هـ - 29 أغسطس 1916 م)، ص ص: 165،167.

[2] - **المرجع نفسه** ، ص: 168 .

[3] - يؤكد محمد رشيد رضا على ذلك بالقول : ((أيها المسلمون يجب أن تعلموا أن هذا العمل أعظم خدمـة للإسلام في هذا الزمن. فإن الدولة العثمانية إن سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب فـي الحجاز وغيره مانعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع حفظ حقوق كل منهم. وإن سـقطت وفقـدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الإسلامي في أشرف بقـع الإسلام. . وبهذا يتبين لكم أن هذا العمل العظيم الذي قام به هذا الزعيم العظيم قد أنقـذ الحـرمين الـشريفين وحولهما من هذا الخطر الجسيم ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الإسلامي بإنشاء دولة جديدة له)). رضا، " خطبتنا . . ." **مرجع سابق**، ص ص:286،287.

واستخدموه كوسيلة لإذلال العرب. ولذلك فإن ا طبة تش إ أن فكر الشيخ السياسي قد انتقل من تأييد مطلق لسيادة الأتراك، وتبعية العرب م إ تأييد مطلق على سيادة العرب.

إن أهم ما كن استخلاصه من ا طبة أن العلاقة ب العروبة والإسلام صميمية . فالعروبة هي إحدى مكونات إنتماء العرب الشامل،والاسلام هو ا امع ب الشعوب ذات التكوين العقيدي الواحد[1]. إذ أن آمال العرب بإقامة دولة موحدة وقوية وقادرة على ا ة أطماع الغرب، هي حد ذا ا غاية ا سلم الذين يرون د الدين وعزته قوة العرب و دهم . وهذا ا زج ب مصلحة العرب وا سلم هو الذي جعله منذ فترة مبكرة من نضاله يدعو إ ضة العرب، ويرفع نفس الوقت من شأن العلاقة مع أبناء ا لل من العرب. فمصلحة العرب وا سلم متوحدة تلك ا رحلة ا ا ة، ونضاله العر هو نضال للعرب وا سلم ، ونضاله الإسلامي هو نضال للمسلم والعرب[2]. ولذلك يقول أن :((العناية بتاريخ العرب والعمل لإحياء د العرب هو من العمل للوحدة الإسلامية، ال ما وجدت القرون الأو إلا بالعرب ، ولن تعود هذا القرن إلا بم متحدين ومتفق مع سائر الأجناس ، لأن ا قوم ا هو الدين الإسلامي نفسه ، وأما الدين هو كتاب ا تعا وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، و ا عربيان ، ولا يفهم الدين من لا يفهمهما فهما صحيحا .ولا يفهمهما أحد على هذا الوجه إلا إذا كان يفهم لغتهما الشريفة ومن كان له هذا الفهم فهو عر باصطلاحنا ، لأننا لا نع بالعرب من م نسب يتصل بإحدى القبائل العربية فقط ، إذ ليس من غرضنا التعصب للجنسيات ، بل أن هذا ما ننفر عنه ونذمه وننتقد من يقول به))[3]**والواقع أن إشادة رشيد رضا بالعرب، ودعوته إ وحد م، وتأكيده على أ يتهم اية الإسلام ليست وليدة 1916، ولكنها تعود إ مطلع القرن العشرين. ففي مقالة كتبها عام 1900 بعنوان " الوحدة العربية " وإن كان قد أث فيها على الدولة العثمانية، و ا القوة والازدهار ،فإنه ختم مقالته بالتأكيد على أن ا طر الذي يلحق بالإسلام من جراء استيلاء الأجانب على العرب ((** أشد من كل خطر يصيبه من استيلائهم على غ هم من العناصر الإسلامية ا ستقلة كالترك والفرس والأفغان ، وأن كل عنصر من هذه العناصر أكثر استعدادا من العرب فظ وحدته وأنه لا يفيد الإسلام قوة واحد منها ،

---

[1] - طارق، البشري ، **الجامعة الدينية والجامعة الوطنية في الفكر السياسي**، ط1، دارالشروق،القاهرة، 1998 ص:94.

[2] - البشري، بين العروبة ، **مرجع سابق،** ص:26.

[3] - رضا ، " مدنية العرب. . . " **مرجع سابق،** ص:290.

كما يفيده قوة العنصر العر . فيجب إذا على الأمة العربية أن تسعى تقوية نفسها و ع كلمتها، وحفظ وحد ا))[1]. **وينحو الكواك نفس ا نحى هذا ا ال. فكتابه " أم القرى" وإن كان يبدو وكأنه استجابة مباشرة لدعوة " العروة الوثقى" كيفية توحيد ا سلم ، و قيق ا امعة الإسلامية، إلا أن ا معية ال اجتمعت مكة للبحث النهضـة الإسـلامية توصلت إ نتيجة مفادها :((** إن ا معية ، بعد البحث الدقيق والنظر أحوال وخصال يع الأقوام ا سلم ا وجودين ، وخصائص مواقعه ، والظروف ا يطة بم ، واستعدادا م ، وجدت أن زيرة العرب ولأهلها- بالنظر إ السياسة الدينية – موعة خصائص وخصال تتوفر غ هم . بناء عليه رأت ا معية أن حفظ ا ياة الدينية متعينة عليهم ، لا يقوم فيها مقامهم غ هم مطلقا ، وأن انتظار ذلك من غ هم عبث ض))[2].

ورغم اعتماد الشيخ رشيد رضا على شواهد كث ة تؤكد على يز العرب على الأتراك ، وانتقاده الدولة العثمانية كإشارته إ أ ا تركز فقط على أخذ الأموال من الأقطار وإنفاقها الأستانة ، وأ ا لا تدع إلا الشيء القليل، فإنه يقول أن ا فاضلة ب العرب والترك هو إبراز للحقيقة وخدمة للتاريخ ، ولذلك ظل يدعو إ وحدة الطرف وخدمة الوحدة الإسلامية ال ب أن تكون فوق كل جنسية[3].

إن كل ذلك يوضح أن ما ورد خطبة الشيخ يكن اية ا طاف سوى إبرازا ا كان مضمرا، أو كامنا ذاته من رفض لسيـادة الأتراك على العرب ، وأنه ما كان ليستمر لولا الاستبداد ا ميدي ، و ارسات الا ادي إزاء العرب ونصيحة شيخه بالابتعاد عن السياسة ، وخوفه على وحدة الدولة.

ب- انقلابه عليه:

و إذا كان رشيد رضا مل الأتراك بروز العصبية العربية، ال قادت بدورها إ الثورة العربية ، فإنـه يكون بذلك قد لى عن ا قائق التار ية ، وأبرز عدم فهمه

---

[1] - رضا، " الوحدة العربية. . . " **مرجع سابق**، ص:124.

[2] - الكواكبي ، أم القرى ، **مرجع سابق**، ص: 197.

[3] - محمـــد رشـــيد، رضـــا ،" **التـــرك والعـــرب (2)** "، مجلـــة المنـــار ، م3 ، ج9 (القاهرة، غرة صفر 1318 هـ - 29 ماي 1900م) ص :195 .

للمخططات الاستعمارية ا كانت اك ضد ا نطقة، والقائمة على مبدأ ضرب العناصر ا كونة للدولة بعضها ببعض لتسهيل زئة الدولة ، وبالتا خدمة مشروعها الاستعماري .ولذلك فهو تلف اختلافا جذريا عن موقف زميله شكيب ارسلان الذي كان يتصور أن ا طر الفعلي والأساسي لا يكمن الأتراك ، إ ا القوى الاستعمارية.فعندما أ الشيخ على الشريف حسـ بضرورة اطبة أمراء ا زيرة العربية ، والعمل على خلق وحدة بينهم ، أجابه بأنه لا كن ا اذ خطوات وحدوية هذا ا ال إلا بعد الاستيلاء على ا دينة ا نورة. عندئذ خاب أمله فيه، وأدرك أن الثورة حادت عن طريقها، و ولت عن مقاصدها الشريفة خاصة بعد أن بويع ملكا للعرب، وأعترف ا لفاء له بذلك، وجاهر بعداوته الدولة العثمانية. كما أن انتحال منصب خليفة ا سلم يعد نظره باطلا، على أساس أنه كان مبايعا للسلطان مد رشاد، بالإضافة إ بطلان بيعة أهل ا جاز له[1].

هذا ا وقف يتطابق مع موقف ب الدين ا طيب الذي كتب مذكراته أنه أيد الشريف حسـ   الأمة العربية، غ أن هذا الأخ عاش ومات بعقلية عصور الإقطاع ا تعتـ الأوطان مزارع للحكام ، كما أن الشريف حسـ يقم بثورة من أجـل أن يكون للعرب دولة ، بل لأن الأتراك كانوا ينوون إبطال شرافة مكة عنه[2].كما أن إنكشاف أمر ا راسلات ا جرت بـ الشريف حسـ ومكماهون قد سا ت تأزم العلاقات بـ الرجلـ . فالشريف حسـ الذي كان يتصور أن رشيد رضا من أنصاره أصبح عدوا له. ولذلك أمر نع دخول ا نار إ ا جاز ، بل أن جريدة " القبلة" ا كانت تصدرها حكومة ا جاز شنت على رضا لـة وصلـت إ حد الطعـن نسبـه العربـي وا امه بعداوة، وبغض الشريف حسـ [3].

---

[1] - رضا، " الحقائق الجلية في. . ."، **مرجع سابق**، ص: 448.

[2] - محب الـدين،الخطيب ، " **مـذكرات محـب الـدين الخطيـب**" ،<u>مجلـة الثقافـة</u> ، س3 ، العـدد 15 ، (الجزائر، جوان 1973)، ص ص: 88،89.

[3] - محمد رشيد ، رضا ،" **رد جريدة القبلة على الحقائق الجلية في القضية العربية** " <u>مجلة المنار</u>،م22 ،ج9 (القاهرة، 30 محرم 1340 هـ - 2 أكتوبر 1921) ص ص: 706،709 .

أما رشيد رضا فقد أصبح اهر عارضته لسياسة أم مكة، و ول إ طرف ا ملة الإعلامية ا وجهة ضده[1].

وقد كان ذلك مقدمة لشن هجوم على الأوربي وخاصة بريطانيا ، و ميلهم كل ا صائب ال قت بالعرب من جراء اتفاقية سايكس- بيكو .وقد كان من نتائج ذلك أن أت بريطانيا إ فرض رقابة شديدة على الشيخ نعه من زيارة وطنه الشام بعد اية ا رب العا ية الأو . و ا أراد السفر من مصر اشترطت عليه الابتعاد عن ارسة أي عمل سياسي، وعدم الكتابة الصحف[2]. و ذات السياق رد الشيخ على أولئك ا ؤيدين لثورة الشريف حس ، والذين كانوا يزعمون أن تلك ا عاهدة قد أمضاها باسم الأمة العربية بالقول :((ألا أيها النائمون أفيقوا ، ويا أيها ا خدوعون بأقوال العائش على فضلات آكلي أ ان أمتكم تنبهوا فقد آن لكم أن تعلموا أن تلك القصاصة من الورقة ال يسميها ا لك حس (مقررات النهضة) ويسميها النافخون ببوقه ا عاهدة الانكليزية العربية هي وثيقة من ا لك حس عل البلاد العربية كلها ح ا جاز ت اية ا كومة ال يطانية **))[3].**

عموما ، ومهما اختلفت قراءات ا ؤرخ ، وتباينت تفس ا م وقف رشيد رضا من الثورة العربية ، يبقى ا دف الأ ى الذي كان يسعى إليه مشروعه السياسي منذ البداية هو إ اد دولة قوية تأخذ على عاتقها اية ا سلم ، والدفاع عن وجودهم ا ضاري بالوقوف وجه الزحف الأجن . ولا فرق عنده أن يقودها الأتراك أو العرب ، كما أن تأييده للثورة اعت ه ضرورة تار ية يفرضها الواقع ،ومنطق الصراع الدو ، ذلك أن انتصار ا لفاء كان سيؤدي لا الة إ احتلال البلاد العربية باعتبارها جزءا من الأراضي العثمانية . أما انتصار دول الوسط فسيكون مقدمة ضوع تلك الولايات للهيمنة الأ انية، مع كل ما يتبعها من

---

[1] - يقول رشيد رضا في معرض التشهير بالشريف حسين إن ((ابن حسين ابن علي وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الأعظم من عرب سورية والعراق وكثيرا من غيرهم بما بنوه من دعاية المملكة العربية والوحدة العربية والخلافة العربية حتى خيلوا إليهم أنهم سيعيدون إلى هذه الأمة عصر (هارون الرشيد) ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانجليز القديمة وهي إدخال جزيرة العرب وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الإمبراطورية البريطانية المرنة على أن يسودهم فيها على قومهم ويسميهم ملوكا وخلفاء)). انظر: محمد رشيد، رضا، "**الوهابيون والحجاز** "،مجلة المنار، م 25، ج10 (القاهرة، 30 شعبان 1343 هـ - 25 مارس 1925م)، ص:762.

[2] - العدوي، **مرجع سابق،** ص :205 .

[3] - محمد رشيد، رضا،"**الوثائق الرسمية للمسألة العربية** "،مجلة المنار، م23، ج8 (القاهرة، 29 صفر 1341 هـ - 2 أكتوبر 1922 م)، ص:613.

انتقام للا ادي من العرب.

وتأسيسا على ذلك اعتـ الثورة طوقا للنجاة من الاحتلال لكو ا سبيلا لوحدة العرب، وطريقا للدفاع عن كرامتهم واستقلا م. كما أن تأييده للثورة نتج بعد سقوط الرهان على الأتراك، وظهور الثورة كمشروع مستقبلي حالة سقوط الدولة العثمانية.وهذا كله يـ ز حقيقة أخرى تتمثل أنه إذا كان العرب العثمانييون يعتـ ون القومية العربية قبل ا ـرب العا ية الأو مؤامرة ـدف إ تدمـ الدولة العثمانية وإ اء ا ـلافة،فإنه مع نشوء ا ـرب تغـ ا وقف إ النقيض[1]. ورغم ذلك ـب التأكيد على أن رشيد رضا، ورغم وقوفه صف الثورة فإنه يبايع الشريف حسـ خليفة للمسلمـ رغم ـريض البعض له على ذلك. فالثورة بالنسبة إليه تكن ـديا لشرعية ا ـلافة العثمانية، بل ـاية للحجاز من التدخل الأجنـ ،والقمع العثما . ولذلك فإنه مرحلة لاحقة انتقد الشيخ الثورة، وقلب ظهر ا ـن لصاحبها للأسباب التالية:

1- تكتف الثورة العربية ـماية ا ـجاز من القمع العثما ، بل ـولت إ معول هدم للدولة العثمانية.[2] إذ أنه وبعد أن لعب ا ـيش العر دورا هز ـة الوحدات العثمانية ا ـجاز شارك إ جانب ا ـلفاء مقاتلة ا ـيش العثما سوريا.

2- إن الثورة العربية ـنع التدخل الأجنـ ، ولكنها فتحت له الباب على مصرعيه.إذ ـولت البلاد العربية بعد ـاية ا ـرب العا ية الأو إ ـمية بريطانية- فرنسية مشتركة .

3- إعلان ا ـلك نفسه خليفة للمسلمـ ، مع أن ا ـلافة كما يرى رضا قضية كل ا ـسلمـ ، و ـب أن تكون مستقلة عن ـيع القوى الأجنبية هي إشارة واضحة إ تأييد الـ يطاني له خلافة ا ـسلمـ .

ورغم ا ـزام الدولة العثمانية ، وفشل الثورة العربية ، وخضوع ا ـنطقة للانتداب الـ يطا

---

1 - هشام ، شرابي،**المثقفون العرب والغرب عصر النهضة 1875-1914**،ط4، دار النهار للنشر، بيروت،1991،ص:128.

2 - هناك مبالغة لدى الكثير من المؤرخين والدارسين للثورة العربية من حيث تصويرها وكأنها كانت السبب الرئيس في سقوط الدولة العثمانية ، وبالتالي تحميل العرب المسؤولية التاريخية . والواقع أن سقوط الدولة العثمانية كان نتيجة طبيعية لسلسلة من العوامل كان من أبرزها:الاستبداد الداخلي ، الضعف العسكري ، سيطرة الإقطاع ، ضعف الاهتمام بالعلم. . .الخ.

والفرنسي تكريسا معاهدة سايكس-بيكو و سيدا مقررات مؤ ر سان ر و، فإن البحث عن الدولة البديلة ال تدافع عن ا سلم ظل هاجسه الأكـ . ولذلك واصل دفاعه عن القضايا العربية سواء ء ا مقالات الصحفية ا منار ، أو ا شاركة السياسية كرئيس للمؤ ر السوري العام عام 1919 ودعوته للاستقلال ، ومشاركته ا ؤ ر السوري – الفلسطي كنائب لرئيس ا ؤ ر جنيف للدفاع عن القضايا العربية، خاصة قضية الشام على قاعدة حرية الشعوب وسياد ا القومية .

وقد ظل رشيد رضا مؤمنا بأن الوحدة العربية هي ا واب الصحيح على حالة التجزئة ال فرضها الاستعمار. ولذلك ظل يدعو خلال فترة ما بـ ا ر إ وحدة سورية والعراق كمقدمة لوحدة العرب. و هذا الإطار ظل رافضا لأي نزعة انفصالية عن ا ركة الاستقلالية سورية ، سواء بشكلها الذي دعا إليه البطر يرك أنطوان عريضة ا تمثل بلبنان كوطن مسيحي[1]،أو لبنان الكبـ كما كان يدعو إليه البطريرك الياس ا ويك. كما أن تشبثه بادئه وأفكاره جعله يتمسك بأي مشروع كن أن يدافع عن ا سلم والعرب.ولذلك نفهم تأييده لعبد العزيز بن سعود ومناصرته، لأنه اعتـ ه مشروعا إسلاميا بعد أن سقطت الدولة العثمانية. كما كن القول أن عدداً كبـ اً من ا صلحـ العرب ورشيد رضا واحد منهم قد أجـ هم الواقع على تأييد الثورة رغم أن نتائجها تكن مصلحتهم، بل صلحة القوى الاستعمارية، وا ركة الصهيونية. أي أن العرب قادة،و با،،وشعوبا كانوا: ((كمن وقع حقل من الرمال ا تحركة،أية حركة من حركا م ، وإن كانت ظاهرها حركة و الإنقاذ وسعيا و النجاة ، إلا أ ا الواقـع العملـي كانت تشدهم إ أسفل وتفرقهم ظلام واستعمار جديد))[2].

لكن ا لاحظة الأساسية ال ينبغي الإشارة إليها أن الشيخ ظل أيضا يلجأ إ التـ ير عند مناقشته للأحداث والقضايا ال كانت تعصف با نطقة. و هذا السياق نتساءل عن سبب إنقلابه، ونقده للشريف حسـ كم علاقاته ا شبوهة بالا ليز ، و اذا يفعل الشيء نفسه مع عبد العزيز بن سعود رغم علاقته الغامضة بالا ليز أيضا؟.

---

[1] - يعلق رشيد رضا على هذه الدعوة بالقول:((يا حسرة على لبنان ، كان متمتعا باستقلال عديم المثال فسلبته منه الأم الحنون وجعلته بشر آلة لسلب استقلال سورية كلها وأبناؤه البررة لا يشعرون: فلا قومية ، ولا وطنية ولا سياسة ، ولا إدارة ، فأين ما كانوا يدعون)). أنظر: محمد رشيد، رضا، **" لبنان الكبير وطن مسيحي "**، مجلة المنار، م33، ج2 (القاهرة، ذو الحجة 1351هـ-ابريل 1933 م)، ص:156.

[2] - ضناوي ، **مرجع سابق** ، ص: 150 .

ا هم أنه ورغم كل التناقضات، وا واقف ا زدوجة وا تضاربة، ال كن أن يسجلها الباحثون وا ؤرخون عندما يدرسون فكر رشيد رضا السياسي ، فإن هدفه ظل منصبا على خدمة الإسلام من خلال الدعوة إ قيام دولة قوية،و اربة الاستبداد ، والدعوة إ الشورى والدستور واللامركزية ، أو من خلال التأييد للا ادي وثورة الشريف حس ، الانقلاب عليهم وصولا إ تأييد ا شروع السعودي ووحدة الأقطار العربية.

إن دعوته للجامعة الإسلامية، ونضاله من أجل الوحدة العربية، ورفضه و اربته لأي نزعة انفصالية على أساس طائفي، أو اث يز لنا القول أنه كان ا ناضل الوحدوي بامتياز.وموقفه هذا يتطابق مع موقف ب الدين ا طيب موقفه من الدولة العثمانية، والـذي أكد **بالقول:((** إن أقرر بكل صدق وإخلاص بأ أنا و يع من استعنت بم وتعاونت معهم من رجالات العرب وشبابم طر على بالنا الانفصال عن الدولة العثمانية**)).**[1]

4- مواجهة ا ركة الصهيونية:

حركتان بارزتان شهد ما فترة اية القرن التاسع عشر: ا ركة الاستعمارية بطابعها التوسعي، ونزعتها الاستغلالية، وا ركة الصهيونية صائصها العنصرية، وبعدها الاستيطا . وكلا ا ركت ارتبطتا بالدولة العثمانية ال بلغت آنذاك مرحلة متقدمة من التدهور والا طاط. فا ركة الاستعمارية ال قاد ا الدول الأوروبية، كانت دف إ زئة الدولة العثمانية والاستيلاء على تلكا ا، واستنـزاف ثروا ا، والتحكم موقعها الاستراتيجي. أما ا ركة الصهيونية فقد انصب هدفها على إقامة وطن قومي لليهود فلسط ، ال كانت تابعة للدولة العثمانية. ولذلك ارتبطت ا ركتان ببعضهما البعض ارتباطا عضويا.

والسؤال ا طروح هنا: ما مدى اهتمام رشيد رضا بالصهيونية؟ وهل تابع نشاطها منذ ظهورها، وتفطن راميها؟ وما دوره وحجم مسا اته التنبه خاطرها، وإبراز علاقتها بالاستعمار ا ديث خاصة بريطانيا؟.

مع الباحثون وا ؤرخون على اعتبار رشيد رضا من ب أبرز ا صلح والسياسي العرب، الذين تتبعوا ا ركة الصهيونية منذ نشأ ا، وأدركوا طبيعتها، ووعوا هدفها ا تمثل ويل

---

[1] - مـ ب الـ دين، الخطيـ ب ، " **مـ ذكرات مـ ب الـ دين الخطيـ ب**" ،مجلـ ة الثقافـ ة س2 ، ع 12 ، (الجزائر، جانفي 1973)، ص:92.

فلسط إ وطن قومي لليهود، واستطاع أن يربط ب الأوضاع ال كانت ر ا الدولة العثمانية وأهداف عية الا اد والترقي، وارتباطها با ركة ا اسونية وهيمنة اليهود عليها. كما يعد من القلائل الذين استوعبوا ا خططات ال كانت ترسم للمنطقة ، كما هو الشأن بالنسبة لنجيب عازوري الذي نبه هو الآخر للخطر الصهيو ، وحتمية الصراع معه. وأكد أن مص العرب والعا مرتبط به. يقول هذا الصدد:((إن ظاهرت متشاب الطبيعــة بيدا أ ما متعارضتان، ذبا انتباه أحد ح الآن تتضحان هذه الآونة تركيا الآسيوية. أع : يقظة الأمة العربية وجهد اليهود ا في لإعادة تكوين لكة إسرائيل القد ة على نطاق واسع. ومص هات ا ركت هو أن تتعاركا باستمرار ح تنتصر إحدا ا على الأخرى. فالنتيجة النهائية ذا الصراع ب هذين الشعب اللذين ثلان مبدأين متضارب يتعلق مص العا بأ عهم **))[1]. هذه ا قولة تؤكد أن يب عازوري كان سباقا للتحذير، ا كان اك ضد فلسط ، وبالتا كانت رؤواه واضحة وبعيدة ا دى.**

والواضح أن رشيد رضا كان يفرق ب اليهود والصهيونية، فقد كان مدافعا عن اليهود بعض القضايا ال كانت تستهدفهم أوربا، وفسرها بالتعصب ا نسي وا قد عليهم، واستغرب انتقال هذا ا قد من أوربا إ ا رائد ا صرية، ال راحت:((تصلي اليهود نارا حامية، وتأخذ عليهم مهار م الكسب، وتفننهم أساليب الربح. أما ن فرأينا أن ا رية العمومية ليست تصة بفريق دون فريق، فإن التمدن الصحيح والعدالة ا قيقية يفرضان ا ساواة ا طلقة ب يع ب الإنسان ا نافع العمومية**))[2]. غ أن دفاعه عنهم تغ بعد أن بدأ يتحسس خطرهم، وخطر ا ركة الصهيونية بشكل بارز. فقد علق على التساؤل الذي بعثه مواطن مقيم أوربا يستفسر عن مدى متابعة الصحافة العربية للحركة الصهيونية بالقـول:**

((فيا أيها القانعون با مول اقنعوا رؤوسكم، وحدقوا أبصاركم وانظروا فإذا الشعوب والأمم أصبحوا، ا تتحدث به العوا عنكم. أترضون أن يسجل جرائد يع الدول أن فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم يع ا كومات بلادها هم من العلم وا عرفة بأساليب العمران وطرقه

---

[1] - عازوري ، **مرجع سابق**،ص:41 .

[2] -محمــد رشــيد، رضــا، " **اليهــود فــي فرنــسا وفــي مــصر** "،مجلــة المنــار،م1، ج2، (القاهرة، 29 شوال 1315هـ- فبراير 1898م)، ص: 54.

يث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابا أجراء وأغنيائها فقراء))[1].
ورغـ ـ ـم هذا التنبيه الذي أطلقـه ، والتحذيـر الذي وجهه فـإن : ((وعيه ا تقدم ا سألة الصهيونية، ورفضه ا ازم والعميق للمشروع الاستعماري الانكليزي بقي يتناول ا سائل ا تعلقة بقضية فلسط وقضية ا طر الصهيو معرض البحث قضايا أخرى أو جوابا على أسئلة أو استفسارات دينية سياسية تعرض ا))[2]. **ومع ذلك ظل يتابع اولات ا ركة الصهيونية، ورغبتها ا ا ة السيطرة على فلسط . ولاحظ أنه بينما كانت البداية تتظاهر بنقل اليهود ا هاجرين وا نفي لفلسط لتعم ها، والاحتماء بالسلطـ ـان، فإ ا انتقلـ ـ ـت إ مرحلة التفاوض مع الأستانة لشراء القـ ـدس عن طريـ ـق ا ستر " إسرائيل رنغويل "[3].**

وا تصفح ريدة ا نار يدرك أ ا كانت مقارنة با رائد الأخرى ال عاصر ا، على مستوى الإدراك ا قيقي للخطر الصهيو . و هذا الإطار تتبع الشيخ الصهيونية منذ تأسيسها، وأشار إ أهدافها واستخدامها لكافة الوسائل لامتلاك فلسط [4]. وهذا عكس ما ذهب إليه ا راكشي عندما قال أن اهتمام رشيد رضا بالقضية الفلسطينية ، يبدأ إلا بعد اشتداد النـزاع ب الفلسطيني واليهود بسبب أحداث حائط ا بكى[5].

وقد شكلت الزيارة ال قام ا الشيخ للأستانة فرصة ذهبية لاكتشاف العلاقة العضوية ب رجالات عية الا اد والترقي، واليهود، وا ركة ا اسونية. وذلك من خلال سيطرة هؤلاء على ا راكز ا ساسة،وامتلاك مفاتيح صنع القرار السياسي داخل الدولة العثمانية. فقد تو ثلاثة من اليهود مناصب وزارات هامة. فع نسيم مازلياح كناظر للتجارة والزراعة،

---

1 - محمد رشيد، رضا، " **خبر واعتبار** "، مجلة المنـ ـار،م1، ج6، (القاهرة، 28 ذو القعدة 1315هـ - 9 ابريل 1898م)، ص: 108.
2 - ظناوي ، **مرجع سابق**، ص: 222 .
3 - محمد رشيد، رضـا، " **حياة أمة بعد موتهـا جمعية اليهود الصهيونيـة** "،مجلة المنار،م 4، ج21، (القاهرة، 16 شوال 1319 هـ - 29 يناير 1902م)، ص: 803.
4 - محمـ ـد رشيـد، رضـا، " **ثورة فلسطيـ ـن- أسبابهـا ونتائجهـا- 1-** "،مجلة المنار،م 30، ج5 (القاهرة، 29 جمادي الأولى 1348 هـ - 1 نوفمبر 1929 م) ،ص: 389.
5 - المراكشي, تفكير، **مرجع سابق** , ص: 192 .

وتو جاويد بك مقاليد نظارة ا الية، وأصبح بساريا أفندي ناظرا للأشغال العمومية[1].
والواضح أن ا راكز ال شغلها اليهود، وتولوا مقاليدها ذات بعد اقتصادي ت، ا يسمح م بالتحكم البلاد، واستنـزاف مال الدولة. وقد دفع سس الشيخ خاطر الصهيونية إ تنبيه الدولة للمصائب ال تترتب عن ذلك إذا ينتبه طرهم، وتتخذ إجراءات سريعة ضدهم. وينقل لنا على لسان الصدر الأعظم حقي باشا بأن اليهود هم أصحاب ا ستقبل الدولة ا ال الإداري والعسكري[2].
عموما فقد كانت ا نار من ب أبرز ا لات، ال تنبهت للعلاقة القائمة ب الصهيونية وا اسونية، ال ازداد نشاطها وتضاعف بعد الانقلاب الدستوري بشكل لافت للنظر، وأصبح خطرها واضحا للعيان. هذا الأمر دفع بعض القراء إ طرح تساؤلات على الشيخ حورت حول طبيعة ا اسونية، وأهدافها،وحكم الانتساب ا. وأكد رده أ ا عية سياسية سرية ظهرت أوربا، وكانت تروم قيق هدف : هدف بعيد يتمثل تأسيس الدولة اليهودية، وهدف قريب يتمثل إضعاف الدولة العثمانية لتسهيل تقسيمها و زئتها[3].
والواضح حسب تصوري أنه كان واعيا لدور اليهود ا في الدولة، من خلال الربط ب الاستثمار الأجن ا رتبط برأس ا ال اليهودي والبنوك ا ملوكة م، وب ا شاريع ال كن ا ازها الدولة و الولايات العربية التابعة ا. وقد حصر ا طر ا قيقي بالدرجة الأو الديون، و لكهم لرقبة البلاد خاصة وأن جل الأراضي كانت ملكاً م[4]. ومن جهة أخرى كان أيضا مدركا للدور الذي يلعبه اللو الصهيو   الدول الأوربية، من خلال سيطرته على ا راكز الاقتصادية، والسياسية، والإعلامية، وهو الأمر الذي سد على أرض الواقع من خلال إقدام بريطانيا على إصدار وعد بلفور، الذي التزمت فيه بالعمل على تأسيس وطن

---

[1] - محمد رشيد، رضا، " **الانقلاب الخطر و جمعية الأحمرين: الدم والـذهب** "،مجلة المنـار،م16، ج2 (القاهرة،29 صفر 1331 هـ - 6 فبراير 1913م)، ص: 157.أنظر أيضا: محمد رشيد، رضا، " **المسألتـان الشرقية والصهيونية**"،مجلة المنار،م1،ج4(القاهرة،30ربيع الآخر1332 هـ -27مارس 1914م) ص: 320.

[2] - محمد رشيد، رضا، " **أربـاب الأقـلام في بلاد الشام والمشروع الأصفـر**"،مجلة المنار،م14، ج9 (القاهرة ،30 رمضان 1329 هـ - 23 سبتمبر (أيلول) 1911م)، ص: 714.

[3] - محمـد رشـيد، رضـا، " **فتـاوى المنـار**"، مجلـة المنـار، م14، ج3 (القاهرة، 29 ربيع الأول 1329 هـ - 30 مارس 1911م)، ص: 180.

[4] - رضا، " أرباب الأقلام . . . " **مرجع سابق** ، ص:716 .

قومي لليهود[1]. وإدراكا منه للخطر الصهيو ونتائجه ا أساوية طرح على زعماء العرب خياري ل ا شكلة : إما عقد اتفاق مع زعماء ا ركة الصهيونية للجمع ب مصلحة الفريق البلاد إن أمكن، وإما ع قواهم قاومة الصهيوني ، من خلال تأليف ا معيات والشركات، وتأليف العصابات ا سلحة. كما دعا إ التفاهم، والتعايش، والوفاق ب العرب واليهود على أساس اتساع جغرافية فلسط [2]. وإذا كان اليهود الغرب هم الذين أخذوا على عاتقهم قيادة ا ركة الصهيونية، وتأسيس وطن القومي م، فإن الشيخ تابع انسجام وتناغم اليهود الشرقي مع أهداف ا ركة الصهيونية. وأشار هذا السياق إ ا ظاهرات ال قادها اليهود الإسكندرية، وال مدحوا وأثنوا فيها على الصهيونية، وع وا عن سرورهم وفرحتهم بوعد بلفور[3]. و معرض ليله للعلاقة القائمة وا صلحة ا تبادلة ب بريطانيا، وا ركة الصهيونية دد لنا الشيخ أهداف بريطانيا ا تمثلة سعيها ماية مصا ها الإستراتيجية، ودفع العرب إ مقاومة اليهود دون الا ليز[4]، وزرع جسم غريب جغرافيا الوطن العر كمنطقة عازلة ب ا شرق وا غرب، وتكريس التجزئة ووأد الوحدة، ال تشكل العدو الرئيسي للمصا الأجنبية[5].

و سياق متابعته للتطورات السريعة ال كانت ر ا نطقة، حذر الشيخ من اطر الصهيونية، وهجرة اليهود إ فلسط ، وانتقال الأراضي م. وأكد أن ا طر الصهيو سوف لن يتوقف عند حدود فلسط ، بل سوف تد آثاره إ البلدان العربية ا اورة ا. ويؤكد على ذلك بالقول: ((ليعلم من يكن يعلم دين هذه الأمة وتار ها أن الصهيوني إذا م ما يريدون فإ م لا يبقون (أرض ا يعاد) ال يؤسسون ملكهم ا ديد فيها مسلما ولا نصرانيا،وليست أرض ا يعاد أو فلسط عندهم ما نسميه الآن فلسط فقط، بل هي عرفهم

---

[1] - رضا، " ثورة فلسطين . . . . "، **مرجع سابق**، ص: 390.

[2] - رضا، " المسألتان . . . " ، **مرجع سابق**، ص: 319.

[3] - محمد رشيـ ـد،رضا،" **مظاهرة الصهيونيين لتحقيـ ـق أمانيهم في فلسطيـ ـن**" ،مجلة المنار،م20،ج4 (القاهرة، 29 المحرم 1336 هـ - 15 نوفمبر 1917 م)، ص: 205.

[4] - محمد رشيـ ـد، رضا، " **ملك اليهود هيكلهم ومسيحهم والمسيـ ـح الحق** "، مجلة المنار ،م 30،ج 7 (القاهرة، 30 شعبان 1348 هـ - 30 يناير 1929م) ،ص:555 .

[5] - محمد رشيد ،رضا،" **فتـ ـ ـح اليهـ ـود لبـ ـاب الفتنـ ـ ـة في القـ ـدس** "، مجلة المنار،م 29، ج6 (القاهرة، ربيع الآخر 1347 هـ - 14 أكتوبر 1928م)، ص: 416.انظر أيضا: محمد رشيد، رضا، " **فاتحة المجلد الرابع والثلاثين من المنار** "، مجلة المنار، م34، ج1 (القاهرة، 29 المحرم 1353 هـ - مايو 1934م)، ص: 2.

و ـديد كتبهم الدينية ـتد إ سورية حـ " النهر الكبـ " أي ـر الفرات فهذه بلاد لا ـوز عندهم أن يقيم فيها أحد غـ الاسرائيلـ))[1].

و ـذه الرؤية الواقعية والدقيقة، ـكن القول أن الشيخ كان يستشرف مستقبل القضية الفلسطينية، وأنه كان ـلك قدرة كبـ ة على قراءة الواقع السياسي، وهو الأمر الذي أكدته الأحداث والتطورات اللاحقة. وعليه ـطئ من يصنف رشيد رضا كداعية للإصلاح الديـ والتربوي فقط، وبالتا ـ يتم ـاوز ا ـقيقة التار ـية الـ تؤكد أنه ـع بـ الإصلاح الديـ ، والعمل السياسي.

وإذا كان الشيخ ـلك قدرة على التنظـ وا ـمارسة، فإنه ـ يكتف بفضح ـططات الاستعمار الصهيو ، والتحذير من ا ـخاطر ا ـترتبة عليه، بل حاول أن يساهم إ ـاد حل للقضية، والتوصل إ ـ تفاهم بـ العرب واليهود عن طريق الاتصال بزعماء الصهيونية ومناقشتهم، والبحث عن صيغة للتفاهم معهم. و هذا الإطار إتصل ـعتمد ا ـمعية الصهيونية ـصر، وبزعيم الصهيونية وايزمن، الذي أكد له بدوره أن الاتفاق مع العرب ـكن بشرط قبول أمراء العرب بذلك[2]. ويعلق الدكتور الشوابكة على هذه ا ـطوة بأ ـا كانت ـدف إ ـ ـاوز ا ـواقف الر ـية السلبية، والعمل على زعزعة الارتباط العضوي بـ ا ـصا ـ اليهودية وا ـركة الصهيونية. كما أ ـا كانت ـاولة جريئة لتفريغ الصهيونية من ـتواها السياسي والعقائدي[3]. بينما يرى باحث آخر أن مساعي رشيد رضا إقناع اليهود بإمكانية التفاهم مع العرب دليل عدم استيعابه للمشروع الصهيو , وأهدافه الاستعمارية[4] .

ومن الأسلحة النافذة الـ استخدمها الشيخ لوقف بيع الأراضي، وانتقا ـا لليهود سلاح الفتوى الـ نشرها ا ـنار، وحرم ـوجبها بيع الأراضي لليهود، واعتـ من يفعل ذلك ليس جانيا على فلسطـ وحدها، بل على الأمة العربية ـ ـعاء[5]. كما أنه ولقطع الطريق على اليهود لشراء الأراضي، اتفق مع رجالات ا ـركة الوطنيــة فلسطـ على تأسيس شركة ا ـها

---

[1] - محمد رشيد، رضا،" **تحذيــر العــرب مــن مقاصــد الصهيونييــن** "،مجلة المنــار،م 17، ج9 (القاهرة، سلخ رمضان 1332 هـ - 23 أغسطس 1914 م)، ص: 708.

[2] - رضا، " ثورة فلسطين. . . "، **مرجع سابق**، ص ص: 391، 392.

[3] - الشوابكة ، **مرجع سابق** ، ص: 328 .

[4] - ظناوي ، **مرجع سابق**، ص: 228 .

[5] - محمد رشيد، رضا، " **حكم الشرع فيمن يساعد اليهود على امتلاك فلسطين ببيع أرضها أو غير ذلـك** "، مجلة المنار، م33 ،ج4 (القاهرة، ربيع الأول 1352 هـ - يونيه 1933 م) ،ص: 275.

" شركة إنقاذ الأراضي فلسط "، وحصر مهمتها شراء الأراضي من الفلسطيني الذين تدفعهم ظروفهم الصعبة إ بيعها، تقوم بتقسيمها, وتأج ها, واستثمارها نفعة الشركة. وقد بذل الشيخ هودا كب ا لإ احها من خلال الدعاية ا، والاتصال بأمراء العرب وا سلم لشراء أسهمها[1].

و يكتف الشيخ بالإجراءات السلمية قاومة ا شروع الصهيو ، بل اعت الأسلوب العسكري ضروريا لإفشاله. و هذا السياق دعا إ تشكيل عصابات مسلحة من الفلسطينيــ ـن، ينظم إليها من يشاء من ا تطوعيــن العــرب وا سلميــن. و ت عنوان " إنذار واستتابة، ويل للعرب من شر قد اقترب " أطلق صفارة إنذار لإيقاظ العرب الغافل ، واعت أن وحدة العرب السياسية، ودعم ا سلم ا يشكل الرد الناجع للدفاع عن فلسط و ايتها من الأطماع الاستعمارية والصهيونية[2].

عموما كن القول أن الشيخ أدرك أبعاد ا طر الصهيو على فلسط و البلاد العربية، وأنه تتبع ذلك منذ فترة مبكرة. كما عمل على إثارة العرب، وحرضهم على استخدام كافة الوسائل السياسية والعسكرية حماية فلسط ، و اية أنفسهم من ا شروع الصهيو ، الذي كان يستهدف ا نطقة برمتها. كما أن اهتمامه بالقضية الفلسطينية ثل ولا تفك ه السياسي، من مهادن ومتعاون مع الاستعمار الا ليزي على غرار شيخه مد عبده، قصد توف ا ناخ اللازم لإ اح مشروعه الإصلاحي إ سيف مسلط عليه من خلال إبراز مساوئه، وعلاقته باليهود ودعمهم، ومساندته على إنشاء وطن قومي م فلسط .

يتضح ا سبق ذكره أن اهتمامات الشيخ بقضية العروبة ليست وليدة الثورة العربية، ولكنها تعود إ فترة مبكرة من عمله الإصلاحي ونشاطه السياسي. ذلك أن إصلاح وضع العرب ظل يشكل بالنسبة له ا قدمة ا قيقية، وا دخل الرئيسي للإصلاح الشامل، وقيادة الأمة الإسلامية، بعد أن أصبح العثمانيون وضع لا سدون عليه، بسبب عدم قدر م على اية العا الإسلامي، والبلاد العربية من الغزو الاستعماري. ومن جهة أخرى فإن مفهوم الشيخ للعروبة كان مفهوما حضاريا بعيدا عن ا فاهيم العنصرية، والتعصب ا نسي، والأطر

[1] - الشوابكة ، **مرجع سابق**، ص: 332 .

[2] - محمــد رشــيد، رضــا، " **ويــل للعــرب مــن شــر قــد اقتــرب** "،مجلــة المنــار،م33،ج7 (القاهرة ،ذو الحجة 1352هـ -ابريل 1934 م). ص :745.

الشوفينية ا غلقة. فاهتمامه بالعرب وانتصاره م، و جيد تار هم وحضار م يعود بالدرجة الأو إ أن الرسول (ص) كان عربيا، وأن القرآن نزل باللغة العربية، وأن العرب لعبوا دورا كب ا نشره. كما أن أكثر الفترات ازدهارا وإشراقا التاريخ الإسلامي، هي تلك ال كان فيها للعرب مسؤولية القيادة وا كم، وأن فترات الضعف والا دار بدأت عندما تو الأعاجم ا سؤولية والقيادة. كما أن الشيخ يتوسع التنويه بعظمة العرب، وإبراز ا ازا م العلمية، وعراقة حضار م خشية ا وف من أن يفهم من ذلك الدعوة إ ا روج عن الدولة العثمانية، ال كانت ثل ا لافة الإسلامية بالنسبة إليه، رغم كو ا خلافة تغلب وضرورة. لكن تطرف الا اديـ واستمرارهم تتريك العرب، و ارستهم لكل أصناف التعصب ا نسي على العرب ، وخوفه على مصـ هم ومستقبلهم أمام ضعف العثمانيـ ، دفع به إ الا راط الدعوة إ وحدة العرب. ولذلك أسس عية ا امعة العربية لتوحيد أمراء ا زيرة العربية والدفاع عن العرب و اية وجودهم بأنفسهم. وقد قاده شعوره القومي، وإحساسه الوحدوي إ تأييد الثورة العربية ال أعلنها الشريف حسـ ، وال اعتـ ها مقدمة لتحقيق لة من الأهداف، لعل من أبرزها تأسيس دولة عربية مستقلة، تدافع عن الإسلام حال ا زام الدولة العثمانية ا رب العا ية الأو ، وكنوع من قيق اللامركزية الإدارية ال ناضل من اجلها ضد الا اديـ . غـ أن عدم التزام الشريف حسـ بوحدة العرب، و وله إ أداة يد الا ليز بعد انكشاف الوثائق وا راسلات السرية، دفع به إ معاداته من خلال ا قالات الصحفية ال كان ينشرها ا نار، وإ مناصرة أعدائه كعبد العزيز بن سعود. ويبدو اهتمام رشيد رضا بالدفاع عن الدولة العثمانية، و اية العرب ووحد م من خلال إبراز الأخطار ال كانت دق م و مقدمتها ا ركة الصهيونية. و هذا السياق أشار إ خطورة الا اديـ على الدولة، وأبرز علاقتهم باليهود وارتباطهم با اسونية، وحذر من التسهيلات ا الية والتعامل الاقتصادي معهم. ولعنا نتساءل هنا: هل روح العروبة و جيد العرب، ال أصبحت ظاهرة قائمة بذا ا مل كتاباته، ستدفع به إ شق عصى الطاعة بشكل علـ على الدولة العثمانية، من خلال الدعوة إ إقامة دولة عربية مستقلة تصنع مصـ ها ومستقبلها بنفسها؟ أم أن حجم التحديات وا خاطر ستدفع به إ البحث عن رج آخر يصون وحدة الدولة، و فظ حقوق كل القوميات ؟.

الفصـــــــــل الرابـــــع

نحو خلافة إسلامية راشدة.

1- موقفه من الكمالي :

شكلت ا رب العا ية الأو كارثة حقيقة بكل ا قاييس على العرب وا سلم بسبب ا زام الدولة العثمانية، وتوقيعها عاهدة سيفر، ال وجبها التخلي عن يع ا ناطق التابعة ا سواء أوربا، أو البلاد العربية ال تعرضت للانتداب، و ولت إ مناطق نفوذ استعماري بريطا - فرنسي. غ أن بروز مصطفى كمال[1]، وتوليه زمام ا بادرة وما لعبه من دور كب رير تركيا من الاحتلال الأجن بعد ا زام اليونانيي وانسحاب الفرنسي من كليكية، والايطالي من جنوب الأناظول ، وال يطاني من الدردنيل،وتتويج ذلك بتوقيع معاهدة لوزان 1923 ، ال ضمنت لتركيا استرجاع يع أراضيها قد ساهم كل ذلك انتزاع مصطفى كمال شرعية ثيل ا سلم ظل وجود سلطان مر ن للقوى الأجنبية[2]،والذي ذكر ا سلم بالعصر الذه للدولة العثمانية، وأعاد الأمل بإمكانية الا راط من جديد عملية الإصلاح والتطور.فما هو موقف رشيد رضا من الكمالي ؟ وهل ظل متأثرا بسياسة الاستعـلاء القومي والتتريك ال مارسها الا اديون ؟.

أ/ تأييـده للكماليـ ـن:

إن ا سا ة الفعالة، والدور الكب الذي لعبه الكماليون رير تركيا من الاحتلال الأجن ، قد نال إعجاب رشيد رضا، و يع الشعوب الإسلامية، بالنظر إ العامل الدي الذي يدفع ا سلم إ الا اد والتكاتف، بالإضافة إ أن العرب وا سلم يعا كانوا ملون مسؤولية التخلف والتدهور الذي ق م منذ فترة زمنية طويلة للأوروبي . ومن مظاهر تأييد رشيد رضا للكمالي وصف أعما م بالبطولية، وتأييده م الصراع الذي نشب بينهم وب حكومة الأستانة. حيث انتقد الفتاوى ال أصدرها شيخ الإسلام، وال كانت تكفر الكمالي وتدعو الناس إ الثورة ضدهم. واعت تلك الفتاوى باطلة على أساس أ ا صدرت ت

[1] - مصطفى كمال (1881- 1938) مؤسس تركيا الحديثة. ولد في صالونيك، قاد حركة المقاومة العـسكرية والسياسية ضد معاهدة سيفر، ألغى الخلافة الإسلامية، وأصبح رئيسا لجمهورية تركيا، لعب دورا كبيرا فـي علمنة المجتمع التركي وتغريبه من خلال فصله عن جذوره الإسلامية وتاريخه الحـضاري . ولقـب بـابي الأتراك.انظر :الكيالي وآخرون، ج1 ، **مرجع سابق** ، ص: 27 .

[2] - وجيه، كوثراني ، **الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيـا**،ط1،دار الطليعـة، بيروت، 1996 ،ص:6.

ضغط الاحتلال الأجن [1]. ومن جهة أخرى اعت أن مصطفى كمال خادما للإسلام، وخارجا عن غلاة العصبية الطورانية. كما افتخر بدهاء الأتراك الدبلوماسي،ووعيهم السياسي، وبراعتهم التفاوض لوزان[2].

والواقع أن هذا التسرع وعدم التريث اللذين ميزا رد فعله اه الكماليين لا تلف عما فعله مع الا ادي الذين ثاروا ضد السلطان عبد ا ميد الثا . فقد أيدهم البداية انقلب عليهم لاحقا، وهو نفس ما فعله مع الكماليين . فقد انتقل موقفه منهم من الإعجاب وا دح إ الذم والقدح، ومن ا ساندة والتأييد إ اعتبارهم خطرا على الدولة وا تمع. و كن تفسير ذلك أن الشيخ يتب طبيعة حركتهم، وحقيقة أهدافهم وتطلعا م، أو إ رغبته ا باشرة الاصطفاف وراء كل حركة يعتقد أ ا ثل قوة للمسلم ، وبإمكا ا وقف ذلك السيل ا ارف من التحديات ال كان ا سلمون يتعرضون ا. غ أن الأحداث بينت فيما بعد ضعف قراءته للتحولات ال كانت تعصف با نطقة. و هذا السياق نطرح السؤال ا وهري التا : ماهي الأسباب والدوافع ال لت الشيخ على تغي موقفه من الكماليين ؟.

ب/ انقلابه على الكماليـين :

يذهب أحد الباحث إ أن ظهور الكماليين على ساحة السياسة التركية قد ارتبط بتحقيق هدف بارزين:

1- رير تركيا من الاحتلال الأجن الذي فرضته دول ا لفاء ا نتصرة ا رب.

2- إجراء تغي ات جذرية الأسس وا فاهيم ال كان ا تمع العثما قائما عليها و ويله إ تمع حديث على أسس غربية[3].

---

[1] - يعلق رشيد رضا على قرارات حكومة الأستانة بخصوص الكماليين والفتاوى الـصادرة ضـدهم قـائلا : ((لو كان ذلك الخط السلطاني والفتاوى الشرعية وهذا الأمر الوزاري صدرت في حالة عاديـة ، والحكومـة متمتعة باستقلالها في شأن فئة من رعيتها بغت عليها، وخرجت عن طاعتها لم يكن عليها غبار، ولكـن هـذه الحكومة كانت واقعة في أسر الأعداء المحتلين لعاصمتها والمسيطرين عليها بالقهر والدسائس جميعا.وقد قبلت معاهدة الصلح المخزي السالب للاستقلال. . والكماليون هم الذين أبوا قبول هذا الخزي باختيـارهم وقـاوموه بسلاحهم، فكان ضلع العالم الإسلامي كله معهم)) . انظر: محمد رشيد، رضا، " **الانقلاب التركـي الجديـد** "، مجلـة المنـار، م23 ، ج9 (القـاهرة، 30 ربيــع الأول 1341 هــ - 19 نـوفمبر 1922 م) ص ص: 712،713.

[2] - محمد رشيـد،رضـا ،" **مؤتمر الصلح بيـن التـرك وأوربة في لـوزان** "،مجلة المنـار، م24 ، ج2 (30القاهرة ، جمادي الآخرة 1341 هـ - 16 فبراير 1923م)ص ص: 145،146 .

[3] - الشوابكة ، **مرجع سابق**، ص: 203.

وإذا كان قيق ا دف الأول قد أثار إعجاب ا سلم كما سبق الإشارة إ ذلك، فإن ا راط الكمالي سيد ا دف الثا قد أثار رد فعل الشيخ بشكل واضح. وقد بدأت معا تلك ا طة ال تستهدف تغي بنية ا تمع العثما تتكرس ، عندما صدر قرار شهر نوفم من عام 1922، والذي يقضي بإعلان ا مهورية، وإلغاء السلطنة[1]، والإبقاء على ا لافة كمؤسسة دينية منفصلة عن الدولة . وخلال الفترة ا متدة ب 1922 – 1924 ا ذ مصطفى كمال عدة إجراءات، وخطوات هيدية تضمنتها وثيقة ر ية أعد ا موعة من العلماء كان ا دف منها يئة الرأي العام لإلغاء ا لافة الإسلامية[2]. و هذا الإطار ألقى مصطفى كمال خطبة أورد فيها ا رات الدينية والتار ية،ال اعتمد عليها إصدار قراره واعت فيها أن ا لافة مسألة سياسية، وليست منصبا دينيا،ولا أصلا من أصول الدين، و تفرض بنص قرآ ، إ ا اجتهاد بعض الصحابة بعد وفاة الرسول (ص). وقد رد رشيد رضا على ما ورد ا طبة والكتاب الذي ألفه ا سألة ذا ا ، وأكد أن ا لاف مع الكمالي يعد خلافا علميا حول مسألة ا لافة، أو بيان حكم دي اجتهادي صوصهـا[3]، وأن التفس ات والت يرات ال قدموها يكن ا دف منها سوى إمتصاص ا عارضة الداخلية وا ارجية، وأنه إذا كان يوافقهم مبدأ انفصال ا لافة عن السلطنة فإنه يربط ذلك با ضوع نطق القوة والغلبة، وهو نفس الإجراء الذي أ إليه الكماليون[4].

و اولة منه لدفع مصطفى كمال إ التراجع عن قراره بعث رشيد رضا رسالة له طلب فيها منه التريث مسألة ا لافة موضحا أن الأتراك هم ا ستفيدون، وأن الدعم العر والإسلامي له يرتبط مباشرة بدأ ا لافة. واقترح عليه الدعوة لعقد مؤ ر إسلامي يضم العلماء وا فكرين لوضع نظام جديد للخلافة[5]. و در الإشارة إ أن مصطفى كمال يكتف بالإجراء ا شار إليه فقط ، بل أتبع ذلك بسلسلة من الإجراءات كان من أبرزها: إلغاء الطرق الصوفية

---

[1] - مصطفى،**مرجع سابق**، ص:310.

[2] - كوثراني، الدولة ، **مرجع سابق** ، ص: 9.

[3] - محمـــد رشيـــد،رضا،"**تعليـــق المنـــــار على خطبة مصطفى كمال**"،مجلة المنـــار،م 23،ج 10 (القاهرة، 29 ربيع الآخر 1341 هـ- 18 ديسمبر 1922 م)ص: 785.

[4] - محمـــد رشـيد، رضـا،" **انتقاد المنار لكتاب خلافـت وحاكميت مليـــه** "،مجلة المـــنار،م 2 ، ج9 (القاهرة، 29 المحرم 1342 هـ - 11 ديسمبر 1923 م)،ص ص: 698،706.

[5] - محمد رشيد،رضا،"**الانقلاب الديني والسياسي والاجتماعي في الجمهورية التركية** "،مجلة المنار،م25،ج4 (القاهرة، 30 رمضان 1342 هـ- 4 ماي 1924 م)،ص ص: 273،299.

والزوايا والتكايا،وإلغاء التقويم الهجري ، وجعل يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية، وألغى نظام الوقف الإسلامي وظمه لأملاك الدولة، واعتمد القانون المدني السويسري والحرف اللاتيني ، واستبدل القبعة بالطربوش[1].

وإذا كان رشيد رضا قد أمتدح بعض الإجراءات والقرارات كإلغاء الطرق الصوفية المتحالفة مع نظام الحكم، والمعطلة للاجتهاد والبحث والمعرفة، ومنع الإسراف في المناسبات والأعراس وإتباع سياسة التبذير، واعتبر أن موضوع الأزياء كاستبدال القبعة بالطربوش جزئية من كليات الإسلام[2]، فإنه لم يتساهل مع قرار إلغاء الخلافة، وكل الإجراءات التي كانت تستهدف تغريب، وعلمنة المجتمع، والقضاء على مقوماته وفصله عن جذوره التاريخية.ويرى البعض أن إلغاء الخلافة يدخل ضمن نطاق تصفية الحسابات مع العرب.فإذا اعتبر الأتراك ثورة 1916 ضربة موجهة ضدهم فإن إلغاء الخلافة الإسلامية هو إسقاط لالتزام تركيا اتجاه أقاليم كانت جزءا منها مما يعني تجريد العرب من جامعهم السياسي،وتجريدهم من جيشهم لمقاومة الغزاة[3].

وتوصل إلى نتيجة أن كل ما استند إليه الكماليون في تبرير خطواتهم لم يكن سوى تنفيذ لمعاهدة لوزان[4]. واقتنع بالتالي أنه لا يوجد اختلاف بين الكماليين والاتحاديين من حيث الأهداف والوسائل[5]، وأن حكومة مصطفى كمال حكومة لا دينية ، وأن هدفها الأساس كان يتمثل في تحويل الشعب التركي عن الإسلام[6]، وبالتالي فإن كل أعمال البطولة التي ارتبطت بشخصه لم تكن سوى مسرحية أخرجها الأوروبيون ومثلها الكماليون[7].

يتضح مما سبق أن ما أقدم عليه مصطفى كمال لم يكن سوى الترجمة الحقيقية لما تبناه الاتحاديون، أي التشبث بفكرة التعصب القومي، والانفتاح على الغرب، والتأسيس لمرحلة جديدة قائمة على قطع الصلة بالانتماء الحضاري،والبنية الثقافية والدينية للمجتمع

---

1 - كوثراني ، الدولة ، **مرجع سابق**، ص: 11.

2 - محمد رشيد، رضا ," **فتاوى المنار فتوى اللبس و الزي**"،مجلة المنار، م26، ج7 (القاهرة، 26 جمادي الآخرة1344هـ - 14 يناير 1926 م)،ص: 498.

3 - البشري، بين الجامعة، **مرجع سابق**،ص:105.

4 - محمد رشيد، رضا،" **حقائق في عداوة ملاحدة الترك للإسلام** "،مجلة المنار،م29 ،ج6 (القاهرة، 30 ربيع الآخر 1347 هـ - 14 أكتوبر 1928 م)، ص: 474 .

5 - رضا، " الانقلاب الديني السياسي. . . "، مقال سابق: ص، 280.

6 - محمد رشيد، رضا،" **أنباء عن العالم الإسلامي**"، مجلة المنار، م28 ،ج8 (القاهرة، 30 ربيع الآخر 1346 هـ - 26 أكتوبر 1927 م)، ص: 635.

7 - رضا، " حقائق . . . " ، **مرجع سابق**، ص: 474.

العثما .فهل ظل رشيد رضا يدعو لنظام حكم يقوده العثمانيون؟ أم أن طبيعة ا رحلة، وحجم التحديات قادته إ البحث عن أي صيغة كن أن تكون بديلا للسلطنة العثمانية ؟. وهل دفعه اكتشافه لطبيعة الأتراك كما خ هم أيام الا ادي أو مع الكمالي إ ا طالبة بوحدة عربية تعكس توجهه العر غ ا علن منذ بداية القرن وح تأييده لثورة الشريف حس ؟.

2- ا لافة أو الإمامة العظمى:

تعت مسألة ا لافة واحدة من أبرز القضايا ال شغلت تفك رشيد رضا السياسي، واندرجت ضمن مسار حركة الإصلاح الدي ، والتجديد الفكري ال تبوأ زعامتها بعد وفاة الأفغا وعبده. وإذا كان قد دافع قبل ا رب العا ية الأو عن ا فهوم التقليدي للخلافة بوصفه نظام حكم تلف عما كان قائما أوربا من أنظمة ملكية بر انية، أو أنظمة هورية، أو سلطة فردية، ورفض تبعا لذلك فصل الدين عن الدولة، فإنه يدِن الأتراك و ملهم مسؤولية التردي، والا طاط، والتخلف التار ي، والاجتماعي، والتبعية للغرب ال وصل إليها العا الإسلامي رغم اقتناعه بأن ا لافة ولت إ سلطة فردية ، ونظام حكم وراثي. كما أنه ادل شرعية ا لافة العثمانية رغم افتقارها لأهم الشروط الفقهية، وكان يأمل إصلاحها لتجاوز الفتنة والصراعات ال قد تنتج عن ذلك. وإذا كانت هيبة ا لافة قد تضاءلت منذ سقوط عبد ا ميد الثا ، ووصول الا ادي لسدة ا كم بسبب فشل ا اولات الرامية لتحقيق ا امعـة الإسلامية، ال استخدمها السلطان كأداة للسياسة ا ارجية ، وكغطاء للتمويه على الاستبداد الداخلي، و رد بعض الزعماء العرب كالشريف ا س الذي برر ثورته بظلم الا ادي ، وعدم مراعا م لأحكام الشريعة الإسلامية، بالإضافة إ التنافس الأور للسيطرة على تلكات الدولة العثمانية، و وء بريطانيا وفرنسا بشكل خاص إ الاعتماد على سلاح الدعاية لكسب حياد رعايا الدولة والدعوة إ التنصل من كل ولاء لآل عثمان، فإ ا ولت بعد ا رب العا ية الأو إ قضية أساسية شغلت أذهان ا سلم الذين

تساءلوا عن مستقبل الأمة الإسلامية[1]، وأصبح الكثـ من ا هات الدينية والسياسية تتمسك بدأ إعادة ا لافة كأولوية مطلقة[2].

وسوف لن أتناول هذا الفصل مسألة ا لافة إلا من حيث ارتباطها وخدمتها للبحث. أي من حيث علاقتها وقف الشيخ من الدولة العثمانية، ومسائل الشورى، والدستور واللامركزية، وتطور مواقفه السياسية، ورؤيته للعرب، ومستقبل العلاقات العربية- التركية.

وعلى ضوء ذلك نتساءل: ما موقف رشيد رضا من ا لافة العثمانية ومدى شرعيتها ؟وماهي الإضافات أو الاجتهادات الـ قدمها إطار اولة إعادة بناء وإصلاح وترميم هيكلها أو اوزها، والدعوة إ نظام حكم سياسي جديد يتماشى مع أطروحاته الشرعية، و ط تفكـ ه السياسي، و موع التحولات والأفكار، الـ كانت تطرح على الساحة الإسلامية ؟.

إن الاطلاع على ماهو متوفر من مؤلفات الشيخ الفكرية، ودراسة ما كتبه من مقالات لة ا نار تسمح لنا بالتأكيد على أن اهتمامه سألة ا لافة يكن وليدا للتطورات، والأحداث الـ شهد ا الدولة العثمانية بعد اية ا رب العا ية الأو ، ولكن يعود إ فترة مبكرة. فقد سبقت الإشارة إ أنه قد ضمن أهداف ا نار عندما عرض مقدمة العدد الأول على الشيخ مد عبده هدفا يتضمن بيان حقوق الأمة على الإمام، وحقوق الإمام على الأمة، غـ أن أستاذه نصحه بالابتعاد عن تناول قضية الإمامة ا يترتب عنها من فتنة شى ضررها، بالإضافة إ رغبته نب معاداة العثماني وا ديوي لو هاجم ا لافة، وينأى بنفسه عن فك ادنه مع الا ليز وكرومر لو أيده[3].

وإذا كان رشيد رضا قد التزم بنصيحة أستاذه، فإنه و فترات لاحقة، ومن خلال ا قالات الـ كان ينشرها ا نار قد نصب نفسه مدافعا عن العثماني ، وناطقا با هم فيما يتعلق بأحقيتهم الشرعية ا لافة. ففي رده على ا قالة الـ نشر ا جريدة '' ترك '' ، والـ إدعى صاحبها أن العرب ينازعون الترك ا لافة، وأ م يتصفون با مجية، وا هالة، والأوهام، أكد الشيخ على أحقية العثماني با لافة لتوفرهم على شروط ا اه، وا ضارة، وا وقع ا غرا

---

[1] - ALI MERAD **L ISLAM CONTEMPORAIN** 5EME EDITION EDITIONS DAHLEB LALGERIE 1995 PP 75-76

[2] - MERAD **OP CITE** P 87

[3] - يوسف، **مرجع سابق** ،ص:57.

وركز على ضرورة أن:((يعرف الناس وهؤلاء أنه لا يوجد سوريا و مصر، من يفكر جعل خليفة ا سلم سوريا أو مصريا أو بغداديا . . .أن أهل مكة وا دينة لا يريدون أن يكون أم ها خليفة للمسلميـ ـن، وكذلك البلاد العربية كلها تود أن تكون دائما ت رعاية الدولـ ـة العثمانية وسيـ ـ ـاد ا**))**[1]. **و نفـس السيـاق كتـب مقالـ ـة أخـ ـرى بعنـوان " ا لافة – أو الترك والعرب " يرد فيها على خليل أفندي ا طران صاحب جريدة ا وائب ا صرية، والذي ادعى فيها أن العرب يع البلدان وسائر الشعوب الإسلامية سد الترك على لقب ا لافة، ويدعي أن كل منها أحق با لافة من الترك ،وقال: ((** لا يوجد شعب إسلامي يفكر منازعة الترك السلطة لأجل لقب ا لافة، وأن العرب ا جاز و د والشام ومصر ، وغ ها من الأقطار يتمنون لو تدوم سلطة الدولة العثمانية مؤيدة بالقول والعدل مادامت الأرض والسماء))[2].

يتضح ضوء ما سبق أن تناول الشيخ سألة ا لافة كان سابقا للأحداث ال طرأت بعد اية ا رب، وأنه كان مدافعا قويا عن نظام ا لافة العثما رغم ما اعتراه من مثالب وسلبيات، وأنه انقطع عن الكتابة هذا ا وضوع لفترة زمنية نتيجة انشغاله الدعوة إ إصلاح هيكل الدولة وتقويته، و ت روابط الإخاء، والتعاون ب العرب والترك واجهة ما كانوا يتعرضون له من اولات لإضعافهم وتقسيمهم، وإثارة العداوة والبغضاء بينهم كمقدمة لإخضاعهم للسيطرة الاستعمارية. ولكن ما إن انتهت ا رب، واتضحت معا الصورة السوداء ال أصبحت تطبع وضعية العرب والأتراك حـ عاد من جديد لطرح مسألة ا لافة. فما هي ا رات والأسباب ال دفعته إ الانكفاء لفكرة ا لافة؟

يذهب أحد ا ؤرخ أن إلغاء ا لافة ترتب عنه وذجان ا طاب العر ا عاصر: وذج ا فهوم التقليدي السلفي الذي يرى ا لافة الراشدة أ وذجا قابلا للتكرار وقد مثله الشيخ مد رشيد رضا. وأ وذج ثا يدعو إ فصل السلطنة وا لك عن ا لافة. وقد مثله علي عبد الرازق[3]. وإذا كان اهتمامنا ينصب بالدرجة الأو على الأ وذج الأول، فإن منطق

---

[1] - محمد رشيد، رضا،" **دعـ ـ ـ ـ ـوى الخلافـ ـ ـ ـة"،** مجلـ ـةالمنـ ـار**، م 6، ج24،** (القاهرة، 16 غرة ذي الحجة1321هـ - 3 مارس 1904م) ، ص ص:955، 956 .

[2] - محمـ ـ ـد رشيـ ـ ـد، رضا، " **الخلافـ ـة – أو التـرك والعـ ـ ـرب** "،مجلة المنـ ـار،م7،ج1 (القاهرة، غرة محرم الحرام 1322 هـ - 8 مارس (آذار) 1904م)،ص: 71 .

[3] - كوثراني ، الدولة، **مرجع سابق،** ص: 13.

الأحداث يفرض علينا التأكيد والإشارة إ أن فصل السلطنة عن ا لافة، والإبقاء على النفوذ الروحي للخليفة فقط هو الذي دفع بالشيخ إ الاهتمام سألة ا لافة، واعتبارها حجر الزاوية انتظام شؤون ا سلم ، وسلامة دينهم، وا اد كلمتهم. ولذلك كتب سلسلة من ا باحث غضون عام 1922 حول ا لافة لة ا نار، معها كتاب مستقل بعنـوان" ا لافة أو الإمامة العظمى ".

أ-ا رات الشرعية :

يعتقد رشيد رضا كأي فقيه سـ أن نظام ا لافة والدفاع عنه واجبا شرعيا. ويؤكد على ذلك بالقول: ((أ ع سلف الأمة، وأهل السنة، و هور الطوائف الأخرى أن نصب الإمام-أي توليته على الأمة- واجب على ا سلم شرعا**))[1].وهو هذه ا الة يأت ديد، واكتفى بترديد ما سبق لفقهاء آخرين أن تناولوه كا اوردي وابن خلدون[2].**

وعلى ضوء هذا التعريف الشرعي للخلافة كن إبراز ا رات الشرعية فيما يلي:

1- **غياب مرجع دي ، يسمح للمسلم بإدارة، وفهم شؤون دينهم ودنياهم.**

2- **صورية ا ليفة العثما القائم وعدم استجابته ذه ا اجة، بعد أن همش دوره، وقلصت صلاحياته، وأصبح نفوذه صورا القضايا الروحية فقط[3]. ويؤكد ذلك عندما يقول:((** العا الإسلامي غمة من أمر دينه وأحكام شريعته، تتنازع أهواء حكامه ا ختلف الأديان و ا آرب، وليس له مصدر هداية عامة متفق عليها فـ جع إليها فيما عمي عليه **))[4].**

---

[1] - محمد رشيد، رضا ،**الخلافــــة**،(د.ط)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988 ،ص:18.

[2] - محمد محمد، حسين، **الاتجاهات الأدبية في الأدب المعاصر**، ج 2، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص: 65.

[3] - عبد الإله، بلقزيز، **الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط1، مركز دراسات الوحـدة العربيـة، لبنـان، 2002، ص: 86 .

[4] - رضا، الخلافــة، **مرجع سابق** ،ص:113.

ب- ا رات السياسية:

إن ا رات السياسية ال دفعته إ إعادة طرح فكرة ا لافة من جديد ترتبط كما سبقت الإشارة إليه بالتحولات ال عرفتها الدولة العثمانية. وهو ما يؤكده بالقول: ((لقد كانت ا لافة والسلطنة فتنة للناس ا سلم ، كما كانت حكومة ا لوك فتنة م سائر الأمم وا لل.. وكانت هذه ا سألة نائمة فايقضتها الأحداث الطارئة هذه الأيام، إذ أسقط الترك دولة آل عثمان، وأسسوا على أنقاضها فيهم دولة هورية بشكل جديد، من أصو ا أ م لا يقبلون أن يكون حكومتهم ا ديدة سلطة لفرد من الأفراد، لا باسم خليفة ولا باسم سلطان، وأ م فصلوا ب الدين والسياسة فصلا تاما. ولكنهم وا أحد الأفراد أسرة السلاط السابق ، خليفة روحيا ميع ا سلم وحصروا هذه ا لافة الأسرة. . لذلك كثر خوض ا رائد مسألة ا لافة وأحكامها، فكثر ا لط وا بط فيها، ولبس ا ق بالباطل)).[1]

ومن خلال ذلك كن استنباط أهم ا رات على النحو التا :

1- إلغاء السلطنة العثمانية وفصلها عن ا لافة, وقد ذلك وجب قرار ا ذته ا معية الوطنية تركيا بتاريخ 4 نوفم 1922بناء على اقتراح تقدم به مصطفى كمال.

2- قيام نظام هوري علما يعتمد قاعدة فصل الدين عن الدولة فصلا كاملا يعهده ا سلمون من قبل .

3- ويل منصب ا لافة إ منصب صوري رمزي,وإسناده أحد أفراد أسرة آل عثمان[2].

4- الدستور العثما الذي أوجد صورة من الشورى تمع ا لافة ا عاصر، وصدور الدستور ا صري عقب ثورة 1919 ، وهو دستور يتسم بالطابع الليب ا من حيث ضمانته للحقوق السياسية والشخصية الدولة ا صرية.

5- بروز مشاريع السيطرة الغربية ا باشرة، وما رافقها من تفكك سياسي أدى إ ظهور دويلات وإمارات تابعة للقوى الاستعمارية[3].

وإذا كان جل الدارس لفكر مد رشيد رضا قد توصلوا لقناعة واحدة تتمثل أنه يأت ديد على الصعيد الفقهي فيما يتعلق سألة ا لافة، حيث ظل يردد أقوال فقهاء السلف،

---

1 - رضا ، الخلافة، **مرجع سابق**، ص: 13 .

2 - بلقزيز ، **مرجع سابق**، ص ص: 87،88 .

3 - كوثراني، الدولة ، **مرجع سابق**، ص:16.

وأنه يفعل شيئا سوى استعادة موضوعات من سبقه مفهوم ا لافة، وطريقة انعقادها، وشروط تنصيب الإمام وغ ها،فإن الذي قام به ينطبق على أهل ا ل والعقد،حيث يقصرهم على علماء الدين إ ا ل تعريفه م بالقول:((هم سراة الأمة ورؤسائها،الذين تثق بهم العلوم والأعمال وا صا ال با قيام حيا ا،وتتبعهم فيما يقررونه بشأن الدي والدنيوي منها))[1].

كما دعا إ اختيارهم عن طريق الانتخاب، وأوكل م مهمة وضع القوا العامة، و ارسة السلطة وا كم، ومراقبة ا ليفة. واعت أن الانتخاب لا يكون شرعيا إلا إذا أنب على قاعدة الانتخاب ا ر، البعيد عن ضغط ا كومة، وا تحرر من سياسة الترغيب والترهيب، وأنه إذا عن طريق ضغط ا كومة فهو باطل من الناحية الشرعية.وشبه من على انتخاب نائب وهو مكره، كمن يتزوج أو يشتري بالإكراه لا ل له امرأته أو سلعته[2].

وقد قسم أهل ا ل والعقد إ ثلاثة أصناف:

1- **حزب حشوية الفقهاء ا امدين، وهم علماء الدين وأكثر العامة ا قلدين، الذين يهدفون إ تكوين حكومة إسلامية،ولكنهم نظره عاجزين عن جعل القوا العسكرية وا الية والسياسية مستمدة من الفقه التقليدي، بالإضافة إ رفضهم الاجتهاد ا عاملات الدنيوية.**

2- **حزب ا تفر الذين يعرفهم بأ م أولئك الذين:** ((يعتقدون أن الدين لا يتفق هذا العصر مع السياسة والعلم وا ضارة. . وهؤلاء كث ون جدا ا تعلم أوربة و ا دارس ال تدرس فيها اللغات الأوروبية والعلوم العصرية، ورأي أكثرهم أنه ب أن تكون ا كومة غ دينية. . وحزبهم قوي ومنظم الترك، وغ منظم مصر وضعيف مثل سوريا والعراق وا ند، ورأيه أنه ب إلغاء منصب ا لافة الإسلامية من الدولة وإضعاف الدين الإسلامي الأمة ، وإ اد يع الوسائل لاستبدال الرابطة ا نسية أو الوطنية بالرابطة الدينية الإسلامية، والترك من هؤلاء أشد خصوم إقامة الإمامة الصحيحة الدولة التركية **))**[3]**.**

3- **حزب الإصلاح الإسلامي ا عتدل الذي لك القدرة على فهم الدين وحكم**

---

[1] - رضا، الخلافـة، **مرجع سابق**، ص:66.
[2] - محمد رشيد ، رضا، **تفسير المنار**، ج5، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر ، لبنان، (د، ت)، ص: 59.
[3] - رضا، الخلافة ، **مرجع سابق**، ص ص، 70،71.

الشرع، ويدرك كنه ا ضارة الأوروبية. ويرى أن:((الواجب على حزب الإصلاح الذي نقترحه أن يوجه كل قصده و ه أولا إ بيان شكل حكومة ا لافة الإسلامية الأعلى بالنظام اللائق بهذا العصر، الذي امتاز بالنظام على سائر العصور، اول إقناع أصحاب النفوذ البلاد الإسلامية ا وجودة لتنفيذه ا فيه من ا صا وا نافع والسعادة وبتفضيله على يع أنواع ا كومات العا))[1].

و إطار التأكيد على أ ية التكاتف، والتعاون ب العرب والأتراك، وضرورة قيق وحدة الأمة نلاحظ أن رشيد رضا يطرح موعة من ا يارات فيما يتعلق ن لك حق تو منصب ا لافة، ويفاضل بينها، دد الأصلح نظره. يرى البداية أن العرب م الأفضلية كم اللغة ا ساعدة على الاجتهاد، وبلادهم مهبط الوحي وقبلته، وهذا ما يش إ إمكانية ميله جعل ا لافة بيد العرب. إلا أنه يتجاوز ذلك عندما يؤكد أن ا كومات العربية غ قادرة على إظهار حضارة الإسلام، ولا على نشر دعوته الصحيحة .ويرى أن الترك أقدر منهم إذا قنعوا بإقامة الإمامة ا ق على صراطها ا ستقيم[2].

وبعد أن يفند موانع جعل ا لافة ا جاز والشريف حس كونه يعتمد تأييد ملكه على دولة غ إسلامية مستعبدة لكث من شعوب ا سلم ، وطامعة استعباد غ ها ولا يا العرب، وأن حكومته استبدادية غ مقيدة، وهي خصم لكل علم يع على الإصلاح الدي والدنيوي، وكراهتها للعلوم والفنون العصرية، وفقدانه لأهم شروط ا لافة ولا يا العلم الشرعي[3].وبعد أن يعدد كل ا آخذ وا ساوئ ال سجلها على العثماني ، وعلى نظام حكمهم كغياب الشورى، وعدم امتلاكهم لكل الشروط الشرعية، وعدم قدر م على اية دار الإسلام، يقدم موعة من الأسباب ترجح خلافة الترك كموقعهم الوسط ب ود التقاليد وطموح التفرنج، وشجاعة ا كومة التركية وعلو تها وقو ا العسكرية، وأن جعل مقام ا ليفة بلاد الترك يقوي الدين لدى الأتراك، و ول دون اح ملا حدة ا تفر وغلاة العصبية ا نسية[4]. ولذلك يدعو حزب الإصلاح الإسلامي ا عتدل إ أن:((يسعى لإقناع الترك أولا عل ا لافة مركز الدولة، فإن يستجيبوا فليساعدوا على جعلها منطقة وسطى

---

[1] - رضا، الخلافة ، **مرجع سابق** ، ص: 77 .

[2] - **المرجع نفسه** ، ص: 78.

[3] - **المرجع نفسه،** ص ص :82،83 .

[4] - **المرجع نفسه،** ص ص: 84،85 .

من البلاد ال يكثر فيها العرب والترك والكرد كا وصل ا تنازع عليها ب العراق والأناضول وسوريا، ويضم إليها مثلها من البلاد ا تنازع فيها ب سورية والأناضول، و عل شقة حياد ورابطة وصل معنوي، مظهر فصل جغرا ، فتكون ا وصل ا ا وافق ا سمى))[1].

وإذا كان قد أكد أنه لا وز أن يبايع با لافة إلا من كان مستجمعا لشروطها كالعدالة والكفاءة، والقرشية، فإنه يكرر ما ذهب إليه الفقهاء فقط،بل اقترح ا ديد، ودعا إ تكوين مدرسة يتخرج منها ا لفاء، حيث وبعد أن يتم دراسة تلف العلوم ينتخب هؤلاء ا تخرج الذين برزوا واحدا منهم تتم مبايعته من قبل أهل ا ل والعقد العا الإسلامي بغض النظر عن جنسيتهم ولغتهم[2].

وإذا كان يركز دائما على ضرورة توفر لة من الشروط الشرعية لتو منصب ا لافة، فإنه كان يترك دائما مساحة كن من خلا ا تو هذا ا نصب ا ساس حال غياب تلك الشروط، على أساس أن تصوره للخلافة ينقسم إ :خلافة تنتج قتضى مبايعة أهل ا ل والعقد ليفة الضـرورة. والنوع الثا من ا لافة يتم بقوة العصبيـة. ويؤكد ذلك بالقـول:((اتفق ققو العلماء على أنه لا وز أن يبايع با لافة إلا من كان مستجمعا ا ذكروه من شرائطها و اصة العدالة والكفاءة والقرشية، فإذا تعذر وجود بعض الشروط تدخل ا سألة حكم الضرورات))[3]**. وأوضح هنا أنه لا ينـزع الشرعية عن ا لافة العثمانية، رغم عدم امتلاك العثماني ميع الشروط الشرعية، بل اول أن يلتمسها م لتفادي الفتنة، ويؤكد ذلك بالقول:((** إن سلطة التغلب كأكل ا يتة و م ا ير عند الضرورة تنفذ بالقهر وتكون أد من الفوضى))[4]**. وموقف الشيخ هنا واضح أيضا من أنواع ا لافة. فهو يرى أن انصياع ا سلم لإمامة التغلب قد أ ق ضررا با سلم ، وبالتا فعليهم السعي لإقامة الإمامة الصحيحة. و ا أنه كان مقتنعا قرارة نفسه بتعذرها أو استحالتها فإنه د بدا من ت ير إمامة الضرورة رغم افتقادها للشروط ال درج الفقهاء على ديدها.**

إن أ ية موضوع ا لافة جعلته يتجاوز يع ا لافات ال طغت على العلاقات العربية-التركية،ودفعته إ التركيز على ضرورة تعاون العرب والترك لإحياء منصب

---

[1] - رضا،الخلافة، **مرجع سابق** ، ص: 86 .

[2] - **المرجع نفسه** ، ص :87.

[3] - **المرجع نفسه** ، ص، 43 .

[4] - **المرجع نفسه** ، ص،45 .

ا لافة،لأن كلا الشعب عاجز بانفراده، قوي بأخيه على النهوض بأعباء هذا الإصلاح العظيم،ا ديربأن يغ نظام العا ،وينقذ الشرق والغرب من ا لاك ح يكون إحياء هذا ا نصب من أك أسباب الا اد والتعاون بينهما[1].و نفس الا اه كتب قبل ذلك:(إن العمل لوحدة الأمة الإسلامية بقدر الإمكان ينحصر اليوم الشعب الكب ين-العر جرثومة الإسلام،والتركي سيفه الصمصام**))[2].هذه الرغبة ا ا ة عدم معاداة الترك، و اولة توثيق عرى الإخاء ب العرب والترك، والتصدي للزحف الاستعماري ومظاهر التغريب والعلمنة ال أصبح يتعرض ا العا الإسلامي دفعته إ كتابة رسالة إ صديقه شكيب ارسلان قال له فيها:((** إن لا اكتم عنك أن مازلت أرجح الترك عن الإفرنج كافة، وإن ظلمونا واحتقرونا وبغوا علينا واعرضوا عنا وأ عونا أذى كث ا، و يعذروا من تعلموا منهم التعصب القومي. . أرجح أن يعود الترك حاكم لبلادنا على بقاء الإفرنج فيها بأي اسم من الأ اء أو صفة من الصفات**))[3].**

وينبغي الإشارة إ أن رؤية الشيخ لنظام ا لافة يقتصر على كتابه " ا لافة"، بل واصل معا ة القضية، وتوضيح آرائه وشرحها ع مقالاته ال ظل ينشرها حول ا وضوع.ولعل من أبرز إضافاته هذا ا ال ما كتبه عام 1926، وحدد فيه الأمور ال ب مراعا ا حال قيام نظام للخلافة. و كن إبراز ذلك على النحو التا :

1- **ألا يستبد ا ليفة بالأمر إذا زينت له نفسه ذلك.**
2- **أن يكون مستجمعا للشروط الشرعية ح لا يكون لأحد زعماء ا سلم عذرا رفض بيعته، وذلك بإنشاء مدرسة يتخرج منها ا لفاء وا تهدون ا ستجمعون لصفات أهل ا ل والعقد شرعا، ولشروط القضاء الشرعي.**
3- **أن تب الأحكام، ونظم الدولة لكة ا لافة على التشريع بنصوص الكتاب والسنة القطعية ا امعة ب العدالة، والر ة، وا ساواة الصحيحة.**
4- **أن يكتفي من الشعوب الإسلامية غ ا رة، ا ستقلة أمرها، ولا القادرة على إتباع سلطان ا لافة إحكامها بأن تكون مرتبطة قام ا لافة شؤو ا الدينية**

---

[1] - رضا،الخلافة، **مرجع سابق** ص، 81.
[2] - **المرجع نفسه** ، ص،69 .
[3] - ارسلان، إخاء ،**مرجع سابق**، ص:232.

كدعاية الإسلام الدينية ا ضة، والدفاع عنه وصيانته من الإ اد والتعطيل، ومن البدع وا رافات، و منهاج التعليم الدي وخطب ا معة والأعياد، وغ ذلك من التعاون على ال والتقوى، وأعمال ا ال يئة من السياسة وشبها ا.

5- اتقاء كل ما يعد عدوانا على حكومات هذه الشعوب، أو حجة صحيحة ا ملها على اضطهاد رعيتها، وقطع الصلة الروحية ا عنوية بينها و إمام دينها الأعظم[1].

كن من خلال هذه الشروط ال اقترحها الشيخ لنظام ا لافة أن نستنتج موعة من ا لاحظات، لعل من أبرزها تركيزه الدائم على الشورى مقابل الاستبداد الذي طبع نظام ا كم العثما مراحله ا تأخرة ، و اوزه ا أ اه لافة الضرورة، أو خلافة التغلب من خلال الدعوة إ ضروة اكتساب ا ليفة ميع الشروط الشرعية. يضاف إ ذلك إدراكه صعوبة إقامة خلافة إسلامية على الوجه الذي كان يتصوره ظل الظروف السياسية ال كانت ر ا الأمة الإسلامية. وا دير بالذكر أن قرار إلغاء ا لافة الإسلامية مارس 1924، ونفي آخر سلاط ب عثمان قد سرع من حركة التنافس العا الإسلامي لتو هذا ا نصب ا ساس. وظهر على حلبة التنافس السلطان عبد ا يد، وا لك فؤاد مصر ا دعم من قبل شيوخ الأزهر، والشريف حس ، وا لك عبد العزيز بن سعود انطلاقا من قداسة مكة وأ يتها الدينية العا الإسلامي.وكان عدم تقاطع رشيد رضا مع هذه ا طامح وا شاريع ا شبوهة، هو الذي دفعه إ الإفصاح عن صعوبة قيام خلافة إسلامية بسبب عداء الغرب لفكرة ا لافة الإسلامية، خاصة بريطانيا ال رأى أ ا تسع يوم من الأيام إ إقامة خلافة عربية، وأ ا ا صم الأك والأقوى لفكرة ا لافة، ال شى من أن يتجدد الإسلام، وتتحقق ا امعة الإسلامية كمحصلة ا[2]. وتظهر الرسالة ال بعثها لصديقه شكيب ارسلان صعوبة قيق ا لافة حيث أكد فيها أن :((مسألة الإمامة أقصد ا بينته من ا قائق فيها أن أكلف مسلمي اليوم إقامتها على وجه ا ق الذي بينته بتنصيب إمام يتو أمورهم كافة فإ لا أعيش عا الوهم وا يال فأكلف هؤلاء ا ساك ا اهل ا تخاذل ا ستعبدين للأجانب أو لشهوا م أمرا عظيما اعتقد أنه منتهى الكمال الذي وقف ا لفاء الراشدون أول الطريق الذي

[1] - محمـ ـد رشيـ ـد،رضـ ـا،"مذكـ ـرة لمؤتمـ ـر الخلافـ ـة العام بمصـ ـر"،مجلة المنـ ـار،م27 ،ج2 (القاهرة، 29 شوال 1344هـ - 13 مايو 1926 م)، ص ص :142،143 .

[2] - حسين، مرجع سابق، ص: 62.

أشرعه الإسلام له. . وإ ا قصدت أن أعرف ا ستعد للعلم والفهم الصحيح ، هذه ا قائق وأوجه وجوههم إ هذا النظام الكامل عسى أن يسعوا له سعيه بالتعاون على وضع خطة لإحياء الإسلام وذكر م ببعض ما ب مراعاته منها وضننت ببعض ما خفت أن يغفل عنه أو الألباب ويعطي له قطاع طريقه من الأعداء))[1].

وعلى ضوء ما تقدم كن القول أن مسألة ا لافة تعت من أبرز القضايا السياسية ال انشغل ا الشيخ بعد إلغاء ا لافة الإسلامية، باعتبارها واجبا شرعيا، ونظام حكم وحلا نظريا شاكل العرب وا سلم . وإذا كان قد بذل جهدا فكريا حاول من خلاله استنباط شكل جديد للخلافة الإسلامية، فإنه الواقع قد كرر واسترجع منظومة مفاهيم السياسة الشرعية التقليدية، وأن جهده ونضاله هذا ا يدان أنتج فيما بعد فكرة بناء الدولة الإسلامية.كما تكشف رؤية رشيد رضا للخلافة عن فرق شاسع ب واقع الفكر الس ، وما آل إليه الوضع من ولات. ذلك أن نظريته للخلافة أصبحت تفتقر للواقعية[2]. وهو نفس ما ذهب إليه ا صلح ا زائري الشيخ عبد ا ميد بن باديس الذي اعت أن نظام ا لافة كان رمزا و يا، وعلي عبد الرازق الذي أكد أن فكرة ا لافة الكلاسيكية يكن ا أساس لا الكتاب، ولا السنة[3].كما أن اهتمامه سألة ا لافة الإسلامية نعه من الاهتمام بالقضايا العربية. ولذلك ا رط التيار ا دافع عنها،سواء من خلال نشاطه السياسي أو نضاله بالقلم لة ا نار، الأمر الذي يسمح لنا بالقول أن عمق أصالته، وصلابة موقفه، وقوة التزامه بادئه ال ناضل من أجلها فترة طويلة من الزمن عله واحدا من ابرز الرواد النهضوي العرب ا دافع عن العروبة والإسلام وجه ا خططات الاستعمارية، وا شاريع التقسيمية ال كان يتعرض العرب وا سلمون على السواء. وذلك من خلال دوره كعا دي ، وفقيه س ، ورجل سياسة.كما أننا نسجل أن نضال وجهاد الشيخ قد مر راحل متعددة، وارتبط بظروف تلفة و ولات داخلية وخارجية كث ة. ففي مواجهة القمع العثما والاستبداد ا ميدي دعا إ الشورى ا يسمح با شاركة ا كم، وصنع القرار السياسي كضمانة ماية الدولة العثمانية من الا يار السريع، وحل مشاكلها الاقتصادية والتحكم انفلات ا شاعر القومية

---

1 -ارسلان، إخاء، **مرجع سابق**، ص: 434.

2- MERAD **OPCITE** P 79

3- **OPCITE** P 80

والصراعات الطائفية، والتمرد والعصيان الداخلي. كما دعا بعد ا رب العا ية الأو ونبه إ ضرورة فسح ا ال لأهل ا ل والعقد، الذين أصبحوا يعرفون بنواب الأمة وال ان با شاركة ا كم، وذلك انطلاقا من أن ما توصل إليه الغرب ليس حقيقة الأمر إلا تطبيقا حرفيا ا ورد القرآن الكر والسنة النبوية الشريفة، وما مارسه السلف الصا .

ورغم أنه عول البداية على دمقرطة نظام ا كم العثما ا ترهل، على العمل العر كبديل إذا ما سقطت الدولة العثمانية، فإنه عاد بعد اية ا رب للتعويل على ا ركز العثما ، أو أي مركز إسلامي آخر لك القدرة على إنشاء وتأسيس دولة قوية[1].

وتأسيسا على ذلك توصل أواخر حياته إ قناعة ترسخت لديه بفعل سوء الواقع، ومرارة التجربة مفادها استحالة قيام خلافة عادلة مع عليها ا سلمون, بسبب ول ا ؤسسة الدينية البلاد الإسلامية إ أداة سياسية لعبة الصراع على ا كم، ووسيلة اربة الاجتهاد، ومعاداة الاستفادة من ا ازات ا ضارة الغربية. يضاف إ ذلك أن التمايز ب الأقوام والأقاليم، ووقوع العديد من الأقطار الإسلامية ت السيطرة الإسلامية، وتضارب مطامع السلاط وا لوك على منصب ا لافة. وكمحصلة لذلك أصبح يرى أن ا ل يكمن تأجيل طرح مسالة ا لافة، وإقامة مدرسة للمجتهدين تؤهلهم لتو هذا ا نصب. وأوكل ا از هذه ا همة التار ية زب الإصلاح الإسلامي ا عتدل.

يتضح ا سبق استعراضه أن الدور الكب الذي لعبه مصطفى كمال رير تركيا من الاحتلال الأجن الذي فرضه ا لفاء ا نتصرون ا رب على الدولة العثمانية، وما رافقه من إشادة وإعجاب من قبل الشعوب الإسلامية قاطبة، قد دفع رشيد رضا إ تأييد الكمالي ووصف الأعمال ال قاموا ا بالبطولات النادرة والأعمال الشجاعة.ووقف إ جانبهم وأيدهم ضد ا عارضة ال قادها السلطان، وشيخ الإسلام مستخدما سلاح الفتوى لت ير حكمهم. كما د الترك، وافتخر صطفى كمال، واعت ه خادما للإسلام. غ أن الإجراءات ال ا ذها هذا الأخ ، مثل إلغاء ا لافة الإسلامية، والسعي لإ اد تمع تركي حديث على أسس غربية، و اربه كل ما ت بصلة إ ماضيه التار ي، وأصالته ا ضارية جعلته ينقلب ضد الكمالي ويصفهم بالكفر والإ اد، واعت حكومتهم لا دينية، ولا تلف عن حكومة الا ادي إلا الوسائل.

---

[1] - كوثراني، مشروع ، **مرجع سابق**، ص: 70.

وقد ساهمت التحولات التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الأولى في دفع الشيخ إلى طرح مسألة الخلافة من جديد، واعتبرها أبرز قاعدة للحكم الإسلامي، وضرورة شرعية، وواجبا دينيا تقتضيه مصلحة المسلمين. وهو وإن لم يستطع تجاوز نظام الخلافة القديم كما طرحه وحدده الفقهاء، فإنه قدم إضافات جديدة في رؤيته للخلافة، خاصة ما تعلق بأهل الحل والعقد، وكيفية اختيار الخليفة، وطبيعة الحكم الذي يمارسه. أي أنه حاكم مدني مقيد بالشرع والشورى، وليس حاكما دينيا مطلقا. وهو هنا ملتزم بما ذهب إليه أستاذه محمد عبده الذي نفى وجود سلطة دينية في الإسلام، أي رفض الجمع بين السلطتين الدينية والمدنية والإيمان بمدنية السلطة في المجتمع الإسلامي. ورغم تمسكه بمبدأ نظام الخلافة كواجب شرعي، ومشاركته في المؤتمرات التي عقدت لمناقشة قضية الخلافة إلا أنه توصل في نهاية المطاف إلى استحالة تأسيس نظام للخلافة على غرار ما مارسه المسلمون في أزهى عصورهم.

ويبدو أن رشيد رضا ومن خلال دعوته إلى إحياء منصب الإمامة لمواجهة ما طرأ من أحداث بعد الحرب العالمية الأولى قد تجاوز نظام الخلافة كشكل واحد لنظام الحكم في الإسلام، واكتفى بوضع مبادئ أساسية يقوم عليها أي حكم إسلامي صالح. وترك للاجتهاد الإنساني أمر صياغة أنظمة، وقواعد تطبيقيه، وترجمة مبادئه عمليا حسب الظروف والاحتياجات. ففي القرآن الكريم والسنة النبويـة الشريفـة نصوص عديدة ينبغي أن يقـوم عليها أي نظام حكـم إسلامـي ومنها الشـورى ((وأمرهم شورى بينهم))[1] ، والحكم بالعـدل ((إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل))[2] ، وطاعة أولي الأمر ما داموا يطيعون الله ورسوله، والاحتكام عند الاختـلاف بين المسلميـن إلى القـرآن الكـريم وسنـة الرسول (ص): ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا))[3].

إذا كانت هذه النصوص، وغيرها تحدد القواعد التي تمكن الإنسان من تأسيس نظام حكم على قواعد الشريعة السمحاء فإنها لا تلزم المسلمين بصيغة محددة التطبيق ، وإنما تركت هذا الأمر

---

[1] - الآية (38) من سورة الشورى.
[2] - الآية (58) من سورة النساء .
[3] - الآية (59) من سورة النساء .

إ اجتهادهم. وهذا ما أدركه غالبية فقهاء ا سلم ، وأدرجوا مسألة نظام ا كم أو الإمامة باب الفقه، و يعت وها من أصول الدين أو من أركانه. ويبدو أن الصورة ا ثلى أو النموذج- ا ثال الذي كان يداعب يلة الشيخ هو صورة الدولة الإسلامية عصر الفتوحات حيث كان ا سلمون يعيشون كنف دولة واحدة على رأسها حاكم واحد مل لقب " ا ليفة " أو أم ا ؤمن . مع أن ذلك الأ وذج يستمر فيما بعد، حيث تعددت ظاهرة نشوء الدول الإسلامية ا ستقلة عن دولة ا لافة. ولذلك كن القول أن إعادة طرح قضية ا لافة فهومها الكلاسيكي، و اولة قيقها على أرض الواقع أصبح أكثر صعوبة بعد ا رب العا ية الأو بسبب تعدد الدول الإسلامية، وا يمنة الأجنبية.

خا ة:

أو الشيخ رشيد رضا إهتماماً كب أ بالدولة العثمانية من خلال الدعوة إ إصلاح نظام حكمها،وتطويرها إقتصاديا وعسكريا واجهة خطر التوسع الغر .ويظهر ذلك جليا من خلال ا ساحة ال خصصها لة ا نار للقضايا العثمانية. وهذا ما يفسر منع بعض الدول دخو ا إ مستعمرا ا، أو السعي لوقف صدورها ا ا من تأث وإنتشار واسع وسط الرأي العام العر والإسلامي.

وقد ب هذا التأييد على أساس أن الدولة العثمانية هي آخر ما تبقى للمسلم من دو م ا ستقلة، وحاكمها خليفة ا سلم الذي يفرض عليهم دينهم دعمه، وتأييده ليتماسك بنيان الدولة البشري والسياسي. وقد اقتضى منه ذلك دعم فكرة ا امعة الإسلامية والدعوة إليها على أساس الالتزام بقيم الإسلام وشريعته، وكرد فعل على دي الضعف الداخلي، والتهديد ا ارجي،لكن دون أن يع با امعة الإسلامية أن تتجسد بالضرورة شكل دولة إسلامية واحدة.ومن جهة أخرى فقد فَهم ا امعة الإسلامية ع الالتفاف حول السلطنة العثمانية ا املة لراية الإسلام.أي مع الرابطة العثمانية السياسية ا والية للسلطان عبد ا ميد الثا ، عكس الأفغا الذي دعا إ ا امعة الإسلامية شكل رباط عقائدي، وتضامن روحي دون أن يتعداه إ وحدة سياسية.ولتحقيق هذه الغاية أيد السلطان البداية كونه خليفة للمسلم ، وا دافع عن وحدة الدولة، وا امي لدار الإسلام.وهنا نفهم إصراره على ضرورة البقاء ت ا يمة العثمانية من أجل مواجهة الغرب،واعتبار ذلك السبيل الوحيد ماية الإسلام والبلاد العربية.وعليه فلا خيار إلا القبول بالسلطان العثما واجهة كارثة أك هي الاستعمار.غ أن تأييده له ارتبط بعدة مطالب جوهرية كالشورى،و اربة الاستبداد،واللامركزية.وبالتا فإنه يقدم نفسه بوصفه عقلاً خدمة السلطان وداعية له،بل صاحب رسالة حضارية ومشروع تار ي يتمثل حرصه على وحدة ا سلم وتطورهم.

وقد كانت فكرة رشيد رضا عن ا امعة الإسلامية دودة بالدولة العثمانية بإعتباره كان عثمانيا من الوجهة السياسية، وكان يعت الدولة العثمانية رمزاً للخلافة الإسلامية رغم انتقاده كامها لعدم التزامهم با بادئ الإسلامية. ورغم ذلك ينس موطنه الأصلي ولا أصله لعر ، وكان واقعياً يث إقتنع أن ظروف العا الإسلامي

عصره كانت أسوء ا كان عليه الوضع حـ دعا الأفغا إ ا امعة الإسلامية.

ولعل الملاحظة الأساسية ال ينبغي التأكيد عليها أن رشيد رضا كرجل دين تستطع الدولة العثمانية استيعابه، كما استوعبت المؤسسة الدينية ال لعبت دوراً كب أ اية الاستبداد، واستخدام الدين السياسة.ولذلك أت إ اربته،والتضييق عليه ونفيه.ولعل هذا ما يفسر دعوته للشورى منذ وقت مبكر اربة الاستبداد السلطا الفردي الذي أفقر الأمة،وأخرها عن الركب ا ضاري،وامتهن كرامة الموطن العثما .ونبه هذا الإطار المسلم إ منافع الأوربي المساواة والد قراطية، وطالب بتطبيق الدستور جنبا إ جنب مع اللي الي الأتراك. غ أن الا ادي الذين حاربوا استبداد السلطان عبد ا ميد،وتبجحوا بالدستور، وظلوا يرددون مصطلحات ا رية،والإخاء، والمساواة ب الشعوب ال تتألف منها الدولة، سرعان ما سقطوا مهاوي التسلط،والاستبداد،والقمع،وإثارة النعرات،وتأجيج ن ان الأحقاد ا دفعه إ الانقلاب عليهم ونقدهم،والمطالبة بالإصلاح واللامركزية على قاعدة ا رص على وحدة الدولة،ودون التفريط نوع من الا اد الفيدرا ا يضمن للولايات العربية العثمانية التمتع بالاستقلال الذا إدارة شؤو ا ،بعيدا عن النظام المركزي الذي ظل يشكل أبرز خاصية من خصائص الإدارة العثمانية.ولذلك هاجم ال عة المركزية كغ ه من المصلح والمفكرين، واقترح اللامركزية كصيغة جامعة للشعوب والقوميات على غرار دعواته السابقة للإخاء، والتآزر ت ظل سلطنة إسلامية. وكان الهدف من الدعوة إ اللامركزية هو كـ الشعوب العثمانية غ التركية من الاعتماد على ذا ا،واحترام ثقافتها،والدفاع عن أراضيها ضد خطر التدخل الأجن . كما تكن اللامركزية دعوة لتمزيق الدولة،بل دعوة إ توحيد الشعوب العثمانية،ومنع تشظ الدولة بسبب الأفكار والحركات القومية المختلفة،ال كانت تنمو ب أبناء تلك الشعوب لا سيما غ التركية،ال عانت من سياسة التتريك،وأصبحت ترى الدولة العثمانية سيداً للاحتلال التركي. غ أن التسلط التركي من خلال المركزية الإدارية، والعنصرية المتطرفة،والمماطلة والتسويف إقرار المطالب العربية،والخطر الأجن والتحدي الغر الاستعماري بالإجهاز على الرجل المريض، والسيطرة على البلاد العربية قد دفع الشيخ با اه العروبة،من خلال اوز فكرة ا امعة الإسلامية والدعوة العثمانية إ الرابطة العربية. وهذا لا يع بأي شكل من الأشكال الدعوة إ استقلال العرب والانفصال عن الدولة العثمانية بدليل أ ا عندما اشتركت ا رب دعا

رشيد رضا العرب إ تناسي خلافا م مع الأتراك ،وتوقيف كل نشاط سياسي يتعارض مع ا صلحة العامة،والتوقف عن ا طالبة بالإصلاحات.وأهاب بزعماء العرب وقاد م لا سيما حكام ا زيرة العربية على تقد العون للدولة،بل طالب من خلال ما كان يكتبه لة ا نار من مقالات، أو من خلال زياراته،وا طب ا نتديات السياسية والثقافية والاجتماعية ث العرب على دعم ا كومة العثمانية. وأمام السياسة العرقية وبرنامج التتريك الذي واصل الا اديون تطبيقه رغم كل الأخطار ال كانت دد الدولة كان على العرب أن يبحثوا على خلاصهم بأنفسهم،والتفك مستقبل بلادهم من خلال الثورة على الأتراك،ال شكلت حافزاً للشيخ للتشديد على الا اه العر . وقد جاءت الثورة كنتيجة منطقية للإرهاب الذي مارسه ال باشا ،وا امه لدعاة اللامركزية با يانة،والتآمر على الدولة،وبيع أوطا م للأجن ،وا سا ة زئة الدولة ، وزعزعة وحد ا.هذه الإجراءات القاسية دفعت برشيد رضا إ تأييد الثورة،وا طالبة بتأسيس دولة عربية مستقلة.كما دفعته تيار العداء للسلطنة العثمانية،رغم أنه كان يعلم قرارة نفسه أن أسوء ما هذه الثورة أنه لا بديل عن قيامها تلك الظروف الصعبة والأخطار ا دقة بالعرب.فمن جهة كان التنافس الأور على أشده لتجزئة ا نطقة واقتسامها،ومن جهة أخرى كان الا اديون ارسون سياسة قوامها طيم ذاتية الأمة حضاريا،وإلغاء هويتها التار ية.و ا زاد الأمر خطورة تطلع ا ركة الصهيونية إ استعمار فلسط كمقدمة لتأسيس دولة " إسرائيل " الك ى.وقد سا ت الثورة نسف كل ا سور ب العرب والسلطة التركية.ولذلك فعندما أعلن الشريف حس ثورته كانت الأوضاع مهيأة لتقبل شعار وحدة، واستقلال العرب.ورغم ذلك فإن هذا الشعور العام يدفع رشيد رضا إ ل لواء الدعوة إ الاستقلال العر إلا تدر يا.فقد ظل يردد أن ضة الأمة الإسلامية مرهون بنهضة العرب،وأنه لا كن أن تقوم وحدة الأمة ما تكن موحدة اللغة،وأن العرب حراس لغة الإسلام وأماكنه ا قدسة.كما ظل مقتنعا عكس بعض الفقهاء بأ ية الانتساب لقريش كشرط ضروري لتو ا لافة.كل ذلك يؤكد أن إ انه ركزية دور العرب الإسلام مرتبط بدورهم التار ي ل رسالته،وبناء دولته،ونشر دعوته. ولذلك كن القول أن أفكار رشيد رضا با اه العروبة هي خط الدفاع الثا عن وحدة ا نطقة وهويتها بعد الإسلام،وأن الوحدة العربية تكن بديلا عن الوحدة الإسلامية، أو نقيضا ا. فقد كان يؤمن بالعروبة كهوية وانتماء،وبالإسلام كعقيدة ورسالة.والواقع إن رشيد رضا

رج عن إطار أغلب المصلح الذين امتدحوا العرب،وأبرزوا الكيان القومي ضمن الرابطة الإسلامية الأوسع. وقد لى هذا الأمر بوضوح مع شخصية يزة كالأم شكيب ارسلان الذي بدأ حياته كواحد من أشد المدافع عن السلطنة العثمانية ووحد ا، بات من أبرز دعاة العروبة،والوحدة العربية بعد ا يارها.كما أن ا ركات الدينية ،قد شكلت إطارها التار ي بداية الاعتراض العر ومن موقع إسلامي على السلطنة العثمانية لابتعادها عن روح الإسلام الأصيلة، ولضعفها أمام ا خططات الأجنبية.ولذلك فإن الدعوة لإبراز الكيان العر ، والوحدة العربية، لدى دعاة التجديد الدي والشيخ رشيد رضا واحد منهم تكن وليدة انصياع للا عة القومية الأوروبية، بقدر ما كانت نتيجة سعي هؤلاء العلماء لتحقيق إصلاح دي وسياسي الأوضاع السائدة السلطنة العثمانية، وأ م ر وا ع مقالا م، كما ركا م الإطار العام للمجرى الرئيسي الذي ا ذته ا ركة العربية الدولة العثمانية سواء من ناحية حرصها على وحدة الدولة،أو على الإصلاح السياسي فيها،أو على ا طالبة قوق العرب الذين يشكلون العنصر الأكثر الدولة خاصة بعد خسار ا الأجزاء الأوروبية منها.كما أن العروبة ولدت حقيقتها من رحم تيار إسلامي هادف إ التجديد، والإصلاح والتطوير،وليس جو انفصا عن ا لافة العثمانية،وبالتا يط غ إسلامي كما اول البعض أن ي ز ذلك.

وإذا كانت مطالب الشيخ العربية عهد السلطان عبد ا ميد الثا قد اقتصرت على زيادة الاهتمام بالعنصر العر ،وترقيته،وإشراكه الدفاع عن الدولة،وإبراز ا ازاته العلمية، وشخصيته ا ضارية بسبب اهيه بالدرجة الأو مع فكرة ا امعة الإسلامية ال تبناها السلطان،فإن فترة حكم الا ادي قد مثلت مرحلة جديدة مواقف رشيد رضا وتوجهه العر .ويعود ذلك إ خفوت روح ا امعة الإسلامية،وا سار ظل الرابطة العثمانية،وانكشاف سياسة التمييز العنصري،وإصرار الأتراك على سحق مقومات الأمة العربية،وتشويه شخصيتها التار ية.وبعد أن ظل فترة طويلة يدعو للتآخي، والتعاون،والتفاهم ب العرب والأتراك فإنه خطى خطوات إ الأمام مطالبه العربية.واعت هذا السياق العرب الشريك ا قيقي للعنصر التركي كيان الدولة بسبب توفرهم على عدة خصائص يفتقرها الطرف الآخر .وقد برر الشيخ تأييده للثورة العربية بالتأكيد على أن مصلحة العرب السياسية هي نفسها مصلحة الأمة الإسلامية، وأن من شأن الدولة العربية ا ستقلة أن يي لغة الإسلام وشريعته،وأن ا طر

على الإسلام والعربية هو ا ر للاستقلال العر .كما أيد الثورة انطلاقا من قناعته وحرصه على بناء الدولة الإسلامية وا افظة عليها.ذلك أنه كان يتصور عمل الشريف حس ثابة مرحلة سياسية هامة فيق اللامركزية الإدارية ال نادي ا منذ أواخر حكم عبد ا ميد، وأ عليها طيلة حكم الا ادي الذين خلفوه السلطة.كما أن دعمه للثورة وتأييده ا كان موافقة مطلقة على قيام دولة عربية مستقلة ا زيرة العربية تدافع عن العرب،و مي حقوقهم بعد أن فشل الا اديون الدفاع عنهم خاصة بعد ضياع طرابلس،وبعد أن أصبحت الدولة العثمانية أشبه بسفينة يشعر ربا ا طر الغرق فيبدأ برمي ولة السفينة ل ضي ا القوى الاستعمارية من خلال التضحية ببلد عر أو مصا إستراتيجية.كما أيد إقامة الدولة العربية لتصبح بديلاً عن سقوط الدولة العثمانية،ولتمارس مهمة إعادة ا د للإسلام والعزة للعرب.ولذلك فإن خطبته م ،وتأييده للثورة شكل انقلاباً جذرياً مواقفه السابقة.حيث انتقل من تأييد بارز للأتراك إ تأييد واضح للعرب على أساس أ م لة الدين. وقراءة موقف رشيد رضا من الدولة العثمانية تسمح لنا بالقول أن الثورة العربية تكن سبباً سقوط الدولة العثمانية وانفراط عقد ا لافة. فقد بدأ الضعف يتسرب إ كيان الدولة منذ اية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بسبب هزائمها العسكرية، وتأخرها الاقتصادي، وعدم قدر ا على اية دار الإسلام.كما أن العمل التقويضي اه الإم اطورية العثمانية كان عملاً طويلاً .فقد بدأ عندما فقدت القوة والإرادة ا لاقة ا تجددة، واصطدمت با قد الصلي . ولذلك فإن مسؤولية سقوط الدولة العثمانية تقع على التخلف العثما والعنصرية التركية. و تكن الثورة العربية سبباً تعرض ا نطقة العربية للانتداب الأور .ذلك أن استعمارها كان سابقا لفترة الثورة. ويترتب عن ذلك نتيجة هامة هي أن العرب،ورغم ما عانوه من اضطهاد تركي فإ م ليسوا مسؤول عن تداعي السلطنة،ولا عن ا يارات القومية للشعوب ال كانت ترزح ت هيمنتها.ذلك أن بعض الكتاب وا ؤرخ الذين وجهوا سهام النقد للثورة ورجا ا قد قالوا إ ا كانت عاملاً كب أ ا يارها،و ضياع ا لافة،وأنه لو بقي العرب إ جانب الأتراك لتم النصر و نبت البلاد العربية الاحتلال الأجن .هذا القول يناقض الواقع ولا يتفق معه.فالنتيجة الطبيعية ا قررة لنهاية ا رب هو انتصار ا لفاء لا الأ ان. وبالتا يكن العرب هم السبب سقوطها بعد أن أصا ا ا لل من الداخل،وتفككت أجزاؤها بانفصال الكث من تلكا ا،وأصبح ا مود والانكماش،والعجز عن الانفتاح ديدن

الدولة. كما يكن موقف العرب من الدولة العثمانية سوى الإخلاص والولاء للرابطة العثمانية.فقد حاولوا أن يتناسوا لغتهم، وشخصيتهم سبيل الاندماج الدولة بشرط التمتع با ريات، وا قوق، والإدارة ا لية وبشكل يرضي تطلعا م، ويتماشى مع النهضة الفكرية والثقافية ال ظهرت منذ منتصف القرن التاسع عشر.إلا أن جر عقلية الا ادي وانغلاقهم، وعدم قدر م على مواكبة التغي ات، وفهم حركة التاريخ قد دفع بالعرب إ إسداء النصح والتحذير، والإنذار الثورة.وهذا ما جسده عدد كب من ا صلح والسياسي والزعامات الدينية من بينهم رشيد رضا.ومن جهة أخرى فإن اليأس من ا لافة العثمانية والا اه صوب النضال من أجل مص عر مستقل لا يقتضي بالضرورة رفض ا توى الإسلامي للدولة.فحيث تكون العروبة الصادقة يكون التعلق بالإسلام،وحيث يكون الإسلام يكون ا رص على العروبة.ولذلك فإن العروبة ال يدافع عنها رشيد رضا عبارة عن جسم روحه الإسلام، لأن العروبة باتت ايثة لإسلامه وملازمة له،خاصة وأن القومية التركية كانت علمانية مناهضة للدين،بينما كانت القومية العربية تع عن حالة من التواصل والتفاعل ب العروبة والإسلام.وقد جسد الشيخ ء نضاله الطويل فكرة أن العر الأنقى هو الأكثر التصاقا بالإسلام،والإسلامي الناضج هو الأكثر قبولاً للعروبة.وقد نشأ البعد القومي كتابات رشيد رضا كرد فعل ضد تسلط مزدوج:تركي باسم ا لافة العثمانية واستعماري غر .وإذا كانت الفتوحات العثمانية الك ى،والدفاع عن الإسلام قد لقي قبولا شعبيا أصبغ الشرعية على الأتراك، فإن و ا إ دولة سوق وجباية، وسلطة جائرة قد ساهم دفع رشيد رضا إ العروبة عندما أكد أن إسلامه مقارن التاريخ لعروبته.ولذلك فالتحام دعوته العروبية بالإسلام وعدم الفصل بينهما،والتأكيد على تلازمهما، وأن معاداة العرب، واللغة العربية هي معاداة للإسلام أصبحت أحد أهم خصائص نضاله السياسي . وعليه كن القول أن الشيخ يعت من أبرز ا فكرين وا صلح الأوائل الذين تنبهوا إ العلاقة ا تينة ب العروبة والإسلام ا يدحض بعض ا قولات ال تعت العروبة، أو القومية بضاعة مستوردة ونبتة أجنبية، أو رة تفاعل ب أوربا والعرب فقط،وتؤكد أ ا تيار يستمد جذوره من تيار الإصلاح الإسلامي.واللافت للإنتباه أن تأييده لاستقلال العرب كان موقفاً إسلامياً مستن أ مواجهة موقف متخلف وعقيم يصور أن اللافتات ال كان ملها العثمانيون قادرة وحدها على صنع ا عجزات لصا الإسلام وا سلم .ولذلك فإن أقرب التفس ات للدقة موقف الكث من

الدعاة وا صلح ا سلم الذين أيدوا حركة الانفصال عن الدولة العثمانية قد شعروا با فارقة ا ائلة ب التحدي الكب الذي بدأ يواجه الأمة الإسلامية،وهو دي ا ضارة الغربية الزاحفة بأسلحة العقل، والتنظيم، والقوة العسكرية،وب ضآلة ما أعده العثمانيون قاومة هذا ا طر بعد أن ابتعدوا عن الاجتهاد،وفقدوا مقومات ا ركة الفعالة ال لا يصلح غ ها قاومة هذا ا طر.ولعل هذا ي ز لنا حقيقة جوهرية أخرى هي أنه كلما كان التحدي الأساس خارجيا كان الا اه للإسلام أولا ا واجهة وهكذا كان الأمر مع الاستعمار الأجن الذي جوبه بالدعوة إ ا امعة الإسلامية.وكلما كان ا طر داخليا الا اه إ العروبة أو القومية وهذا ما يفسره ا اه العرب إ ا طالبة بالإصلاح،وا ناداة با ساواة مع الأتراك،والثورة والانفصال لاحقا.وهذا ايضا ما ميز موقف رشيد رضا من الدولة العثمانية.

وإذا كان الغرض من تفك رشيد رضا منذ بداية نشاطه السياسي إعادة بناء الدولة الإسلامية،ومعارضة يع ا اولات الرامية إ إنشاء دولة العا الإسلامي تقوم على تضامن غ التضامن الدي ،فإن البحث الدائم عن الدولة ال تنقذ الإسلام قد دفع به بعد أن تبخرت أحلامه إ مناصرة أي مشروع وحدوي يعيد للمسلم والعرب دورهم التار ي.ورغم التناقضات ال تث ها مواقفها ا ختلفة من الدولة العثمانية،والسلطان عبد ا ميد الثا ،والا ادي ،والشريف حس فإ ا كانت تع عن هدف واحد هو إعادة بناء الدولة الإسلامية.تارة ع ا اربة الاستبداد ا ميدي بالدعوة إ الشورى،وتارة بالرهان على حزب الا اد والترقي،وتارة بالتعويل على الشريف حس ،ومصطفى كمال الدعوة السعودية.ولعل هذا ما يفسر رفضه أيضا للصراع الطائفي،وتأكيده على الوحدة الوطنية.و هذا السياق ساهم بشكل فعال سد الثغرات ال حاولت القوى الاستعمارية النفاذ منها إ صفوف الأمة،وبذلك قطع الطريق على الاستعمار،ودعاة التغريب الذين كانوا يعتقدون أن العلمانية هي السبيل الوحيد لتحقيق تلك الغاية.أي التأكيد على أن الوحدة الوطنية والقومية تمع متعدد الأجناس والأديان لا تبنيه العلمانية بإخراج الدين من الساحة السياسية، إ ا كن أن يب على أساس الدين.ولذلك فقد عمل الشيخ على تقوية أسس الوحدة الوطنية من خلال الاهتمام بالأقليات الدينية، والتعاون معهم من أجل ا صلحة العربية.وحافظ على علاقات وثيقة مع عدد كب من ا فكرين السياسي ا سيحي ،بل وأصبح نائبا زب الا اد السوري الذي أسسه ميشال لطف ا .كما دعا إ التعايش ب الأقباط وا سلم ، وضرورة اوز

الصراع الذي شجعه الأوروبيون من خلال سياسة فرق تسد، وغذاه الا اديون للتفريق ب عرب سوريا ا سلم ، وا سيحي .وقد كان إصراره على اتفاق أبناء ا نس والوطن ا فيه ا صلحة ا شتركة مبنياً على قاعدة ا نار الذهبية " نتعاون فيما نشترك فيه،ويعذر بعضنا البعض فيما تلف فيه".كما أنه يؤسس حزبا من " عية الشورى العثمانية " إ " حزب اللامركزية " إ " الا اد السوري " إلا وكان بعض أعضائه من ا سيحي .و الإطار نفسه هاجم دعاة الوطنية الضيقة على غرار ما كان مصطفى كامل زعيم ا زب الوط ينادي به مصر .
لقد كان رشيد رضا مناضلا وحدويا بكل ا قاييس.فقد دعا إ الوحدة ب ا ذاهب والطوائف،ونادى بالوحدة الوطنية،وعمل لأجل الوحدة العربية،وجاهد سبيل الوحدة أو التضامن الإسلامي.هذه الرغبة ا امعة هي ال قادته إ ا طالبة بإعادة إحياء منصب ا لافة واجهة زوال الدولة العثمانية وا طر الأجن ،ومقاومة كل الدعوات والأفكار الداعية إ الاستعاضة عن ا لافة العثمانية لافة جديدة،واعت ها عملا لا دم سوى ا صا الأجنبية.وهذا التركيز الكب الذي أولاه للخلافة ناتج حسب رأيي من اربه السابقة.فقد عاصر ربة الدستور العثما وكيف انقلبت على العرب، والثورة العربية وكيف وقعت فخ السياسات الأجنبية،والثورة التركية وكيف تعلمنت.
وإذا كان ا تابع واقف رشيد رضا السياسية يسجل دائما ثه ا ستمر عن دولة قوية تصون الإسلام، وتدافع عن ا سلم أمام الزحف الاستعماري فإنه يستخلص موعة من الاستنتاجات كن إبرازها على النحو التا :

1- ثه عن الدولة البديلة للدولة العثمانية جعلته يدافع ويؤيد كل زعيم يتوسم فيه القدرة على القيام ذه ا همة التار ية. ا جعله متسرعاً،وعاطفياً،ومتقلباً، أحيان كث ة.ولذلك نفهم اذا أيد الشريف حس وانقلب ضده،وانتقد علاقاته مع الا ليز بينما يفعل ذلك مع عبد العزيز بن سعود رغم علاقاته ا شبوهة مع الا ليز،بل بررها واعت ها طبيعية وتصب خدمة الإسلام. مع أن الواقع كان يش إ أن الشريف حس ،وعبد العزيز بن سعود يكونا اية ا طاف سوى زعيم قبلي مهما ا صلحة العربية أو الإسلامية، بقدر ما كانت مهما مصلحتهما الشخصية،وأن الذي كان ركهما يكن سوى شهوة ا كم،وحب السلطة.

2- تسرعه الكب إصدار الأحكام ا طلقة.فقد اعت فكرة القومية بدعة أوروبية، ودعا إ التمسك با امعة الإسلامية،وحارب وانتقد كل دعوة تطالب بتخلي الأتراك عن ا لافة للعرب،لكنه عاد فيما بعد وأصبح يطالب بضرورة قيام دولة عربية مستقلة،وأصبح توجهه العر بارزاً إنتاجه الفكري.

3- يستقر على رأي دد وواضح فيما يتعلق بنظرته إ الأتراك.فقد دافع عنهم باعتبارهم رمزاً للخلافة والدفاع عن الإسلام، انتقدهم بعد تطبيقهم لسياستهم العنصرية ا تطرفة،وانضم إ التيار ا ناوئ م، قبل إلغاء ا لافة عودة الأتراك كم العرب،ليفضل عليهم الافرنج منتصف العشرينات بعد أن تعلمنت الدولة وأصبحت لا دينية.ولذلك كانت مواقفه توفيقية اغلب الأحيان،وتبحث عن ا لول الوسط.أي أنه لا يلتزم وقف مع ح يتخذ موقفاً مغايراً.

4- يكن واقعياً طرحه لفكرة إعادة إحياء منصب ا لافة بنمطها القد .وكان حا أ وطوباوياً تصوره لإمكانية قيام خلافة على شاكلة ا لافة الراشدة. خاصة وأ ا أصبحت رمزاً تضنه سلطة متغلبة، وتستخدمه بصيغة دينية لقبول الأمر الواقع رغم اقتراحه حلولا لتطوير نظام ا لافة كمبدإ الشورى والدستور.وتبدو نظرته ا ثالية لنظام ا لافة واستحالة قيامها صعوبة الظروف ال السائدة آنذاك كعلمانية ا كومة التركية،وصراع الزعماء العرب،وخضوع ا نطقة العربية للاحتلال الأجن .كما أنه من غ ا نطقي أن تحكم الشعوب الإسلامية بنظام مركزي وخليفة واحد.وهكذا ظهر رشيد بوجه ا فكر السلفي ا افظ غ ا واكب لا اه حركة التاريخ ا عاصر ميع البلدان ال سا ت إحلال الروابط القومية ل الرابطة الدينية.

5- ا اه رشيد رضا التصا ي مع الاستعمار ال يطا مصر قبل ا رب العا ية الأو ،والايطا بعدها،والتخلي عن خيار مقاومته،وإعطاء الأولوية للإصلاح الدي والتربوي لإ اح مشروعه،وعدم وضع العراقيل أمامه كما فعل أستاذه مد عبده ينم عن عدم فهمه لطبيعة الاستعمار التوسعية. وهو نفس ا طأ الذي وقع فيه التيار الإصلاحي التوفيقي بتو ه أن الدول الاستعمارية،والفئات ا تحالفة معها كانت ستسمح للمجتمع العر والإسلامي بامتلاك عناصر القوة،ومفاتيح التطور.

6- معاداته للدعوات الوطنية واعتبارها عصبية جنسية تتنا ورابطة الإسلام من منظوره الدي تنم عن عدم فهمه لطبيعة ا رحلة،وفشله صياغة الأفكار الإسلامية ضمن قوالب معاصرة كما يذهب إ ذلك هشام شرا .فمواجهة ا طر الاستعماري لا يرتبط بوحدة الإمامة فقط،بل كن أن يكون عن طريق التضامن،والدعم ا تبادل على غرار ما كان ينادي به الأفغا .

7- رغم أولوية العمل القاعدي لديه من خلال التركيز على العمل التربوي مشروعه الإصلاحي، فإنه ركز على ا كومات دون العمل الشع .فالوحدة لا يبنيها ا كام والسلاط ، ولكن تبنيها الشعوب وا ؤسسات.

عموما فقد دعا رشيد رضا إ ا امعة الإسلامية واجهة ا طر ا ارجي والتصدع الداخلي.وطالب با ل الفيدرا أو الاستقلال الذا الولايات العثمانية مقابل ا ركزية الإدارية.وأصر على ا امعة العثمانية واجهة التتريك الثقا والاستعلاء العنصري.وأيد الدولة العربية ا ستقلة ماية الإسلام ومواجهة خطر سقوط الدولة العثمانية. وألح على ا لافة الإسلامية للتنسيق ب البلدان الإسلامية واجهة خطر الاحتلال الأجن وعلمانية الدولة التركية ال تبنت مفهوما جديداً لبناء الدولة وفق ا فاهيم الغربية.كما أنه دعا للشورى وا كم العادل واجهة الاستبداد السلطا .ولذلك كن القول أن رشيد رضا كان مفكراً إسلامياً أصولياً،ورائداً من رواد الإصلاح الدي .وعليه فهو لا تلف من حيث قيمته واتساع دائرة تأث ه عما سبقه من رواد النهضة ودعاة التجديد الدي .فهو عثما دافع عن الدولة العثمانية،ودعا إ الالتفاف حو ا وإصلاحها.وظل لوقت طويل يدعو إ الوحدة ب العرب والعثماني . وهو وحدوي عر حيث كان من أوائل ا فكرين والإصلاحي الذين اشتغلوا مبكراً بالقضايا العربية،وتوسع مناصرة العرب بالكلمة، وا شاركة العملية،واعت هم روح الإسلام ومادته الأو .كما كان من الأوائل الذين سعوا للحصول والاعتراف ركز لأمته العربية الدولة العثمانية.وهو وط لص حارب كل ال عات الانفصالية،ودافع عن الوحدة الوطنية كمقدمة للوحدة العربية والإسلامية.أي أن معا ته وتركيزه على هذه الدوائر الثلاث تع عن إ انه بوحدة ا ص . لقد ا رط كل الأحداث،و يبق متفرجا لأن هاجسه السياسي كان وحدة العرب وا سلم .

وإذا كانت القوى الاستعمارية قد أدركت هذه ا قيقة منذ فترة زمنية طويلة فإ ا قد

استثمرت كل إمكانيا ا،واستخدمت كل أسلحتها لتمزيق الأمة العربية والإسلامية إ دويلات ضعيفة تتسول ا ماية،وترتبط با ارج لضمان أمنها الغذائي واستقرارها السياسي.ولذلك فإن عودة العا الإسلامي كطرف فاعل الساحة الدولية ر حتما ع استرجاع العرب مارسة دورهم التار ي، ومسؤوليتهم ا ضارية،ورسالتهم الإنسانية ، ولا يتم ذلك إلا من خلال الوحدة والتضامن، و استنهاض روح العروبة والإسلام وبناء علاقة جديدة بينهما تقوم على الاستيعاب وليس على الاستبعاد.

الملاحق

البيبليوغرافيا

قائمة ا صادر وا راجع

أولا: العربيــة.

أ/ كتـــب:

1- ابن باديس، عبد الحميد،**آثار ابن باديس**،ج2،ط2،إعداد وتـصنيف عمـار الطالبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983.

2- ابن خلدون،عبد الرحمن،**مقدمة ابن خلدون**،(د.ط)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت،2002.

3- أبو حمدان، سمير،**الإمام محمد عبـده جدليـة العقـل والنهـضة**،(د.ط)، دار الكتاب العالمي، لبنان،1992.

4- أبو حمدان، سمير،**الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل**، (د.ط)، دار الكتاب العالمي، لبنان،1992.

5- أبو حمـدان، سمير،**جمـال الديـن الأفغـاني وفلـسفـة الجامعــة الإسلامية**،(د.ط)، دار الكتاب العربي، لبنـان،1992.

6- الأبيض أنيس، **رشيد رضا تاريخ وسيرة**،ط1، جـروس بـرس، لبنـان، 1993.

7- ارسلان، شكيب،**السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة**،ط1، مطبعة ابن زيدون، دمشق،1983.

8- ارسلان،شكيب،**الدولة العثمانية**،ط1،حققه وعلق عليه السماحي سـويدان، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع- دار التربية، لبنان-سورية، 2001.

9- اسماعيل أحمد، ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**،ط2 ، مكتبة العبيكان، الرياض،1998م.

10-الأفغاني، جمال الدين- عبده،محمد ، **العروة الوثقى**،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت،1983

11- امين،احمد، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، (د.ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1990.

12-انطونيوس ،جورج،**يقظة العرب**، ط5،ترجمة ناصر الدين الأسد-إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت،1978.

13- انيس،محمد، **الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914**، (د.ط)، دار تكنوبرنت للطباعة، القاهرة،1985.

14- اومليل،علي،**الإصلاحية العربية والدولة الوطنية**،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1985.
15- ايبش،يوسف، **رحلات الإمام محمد رشيد رضا**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1979.3.
16- البـشري ، طـارق، **بـين الإسـلام والعروبـة**، ط2، دار الـشروق، القاهرة،2005.
17- البشري ،طارق, **الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي فـي التـاريخ المعاصر**, ط1, دار الشروق, القاهرة، 2005.
18- البشري ،طارق، **بين الجامعة الدينية والجامعـة الوطنيـة فـي الفكـر السياسي**،ط1، دار الشروق، القاهرة،1998.
19- برقاوي،احمد نسيم،**قراءة جديدة في عصر النهضة (الإصلاح الديني، النزعة القومية)**،ط1، دار الرواد للنشر والتوزيع، بيروت،1988.
20- برو، توفيق ،**العرب والترك في العهد الدستوري العثماني1908-1914**، (د.ط)، دار الهناء للطباعة، (د.م.ط)، 1960.
21- بروكلمان،كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**،ط12،نقله إلى العربية نبيه أمين فارس،منير البعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، 1993.
22- بلقزيز،عبد الإله، **الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر**،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2002.
23- الجابري، محمد عابد،**المشروع النهضوي العربي**،دراسـة نقديـة،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،1996.
24- جدعان،فهمي،**أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،1981.
25- الجميل، سيار،**العثمانيون وتكوين العرب الحد**يث،ط1، مؤسسة الأبحـاث العربية، لبنان، 1979.
26- الجندي، أنور،**تراجم الأعلام المعاصـرين فـي العـالم الإسـلامي**،ط1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر،1970.
27- حرب، محمد، **الدولة العثمانية** ، شركة سفير, مصر، (د.ت).
28-حراز،السيد رجب،**الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب 1840- 1909**، (د.ط)، المطبعة العالمية، مصر،1970.
29- حسين محمد، محمد، **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** ،ج2، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 .

30- الحصري ، ساطع،**محاضرات في نشوء الفكرة القومية**،ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،1985.
31- الحصري، ساطع،**البلاد العربية والدولة العثمانية**،ط2، دار العلم للملايين، بيروت،1960.
32- حلاق ،حسن علي، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909**، ط3، الدار الجامعية، لبنان، 1980.
33- حوراني، ألبرت، **الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939**،(د.ط)،ترجمه إلى العربية كريم عزقول، نوفل، بيروت،1997.
34- داغر، يوسف اسعد،**مصادر الدراسة الأدبية،الفكر العربي الحديث في سير أعلامه،القسم الأول: الراحلون (1800-1955)**، ج2 (د.ط)، منشورات جمعية أهل القلم في لبنان، بيروت،1956.
35- درنيقة، محمد احمد،**السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية**،ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان،1986.
36- دروزة، محمد عزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة**،ط2، منشورات المكتبة العصرية، بيروت،1971.
37- درويش،هدى، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية**، ج1، ط1، دار القلم، سورية،2002 ،
38- الدوري ، زهير عبد الجبار،**الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**،ط1، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا،2005.
39- الدوري،عبد العزيز، **التكوين التاريخي للأمة العربية** دراسة في الهوية والوعي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،1984.
40- رامزو، آرنست-أ- ، **تركيا الفتاة وثورة 1908**، ترجمة احمد صالح علي قدم له وراجعه نيقولا زيادة،(د.ط)، مكتبة الحياة، لبنان،1960.
41- رضا ،محمد رشيد، **الخلافة** ، (د.ط)، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة،1988.
42- رضا، محمد رشيد، **تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، ج1، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931.
43- رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**،ج5،ط2،دار المعرفة للطباعة والنشر،لبنان،(د.ت).
44- رضا،محمد رشيد، **المنار والأزهر**، (د.ط)، مطبعة المنار، مصر، 1934.

45- الزركلي ،خير الدين،**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج4،ط2،دارالعلم للملايين،بيروت: 1995.
46- الزركلي، خير الدين،**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**،ج3، ط2، دارالعلم للملايين،بيروت، 1995
47- الزركلي، خير الدين،**الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ،ج6،ط2،دارالعلم للملايين بيروت، 1995.
48- الزمرلي، الصادق،**أعلام تونسيون**، تعريب وتقديم حمادي الساحلي،ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،1986.
49- زيادة،خالد، **اكتشاف التقدم الأوربي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
50-زيادة ،رضوان، **إيديولوجيا النهضة في الخطاب العربي المعاصر**،ط1، دار الطليعة، بيروت،2004.
51- سعد ا ،أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج5 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1998 .
52- سعد ا ،أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900م-1930م**، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
53- سعد ا ،أبو القاسم،**بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2003.
54- سعيد ، أمين،**الثورة العربية الكبرى**،(د.ط)،مصر:مكتبة مدبولي، (د.م.ط)،(د.ت).
55- سعيد، أمين، **أسرار الثورة العربية ومأساة الشريف حسين**،(د.ط)،دار الكتاب العربي،(د.م.ط)،(د.ت).
56- السيد،رضوان،برقاوي،احمد،**المسألة الثقافية في العالم العربي-الإسلامي** ط1، دار الفكر المعاصر،دار الفكر، لبنان-سورية،1998.
57- الشرباصي،احمد، **رشيد رضا صاحب المنار.عصره وحياته ومصادر ثقافته**،(د.ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د.م،ط)،1970.
58- شرابي،هشام،**المثقفون العرب والغرب**،ط4،دارالنهارللنشر،لبنان،1991 .
59- الشناوي، عبد العزيز ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، ج2 (د.ط)، مكتبة الانجلو مصرية, القاهرة، 2004.
60- الشناوي،عبد العزيز،**الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**،ج2، ط2، ،مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1986.

61- الشوابكة،احمد فهد،**محمد رشيد رضا دوره في الحياة الفكرية السياسية،** ط1،دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن ، 1989
62- الصعيدي،عبد المتعال،**المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر،**(د.ط)، دار الحمامي للطباعة، (د.م.ط)، (د.ت).
63- الصمد،رياض، **العلاقات الدولية في القرن العشرين،** ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (د.م.ط)، 1986.
64- ضناوي ، حسين،**السيد رشيد رضا،فكره. نضاله السياسي،** ط1، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، لبنان،1983.
65- عازوري، نجيب، **يقظة الأمة العربية،**(د.ط)، تعريب وتقديم احمد أبو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، (د.ت).
66- العدوي،إبراهيم احمد، **رشيد رضا الإمام المجاهـد،** (د.ط)، المؤسـسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر-الدار المصرية للتأليف والترجمـة، (د.م.ط)، (د.ت).
67- العزاوي، قيس جواد، **الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطـاط ،** ط2 ، الدار العربية للعلوم، لبنان،2003.
68- عبده ،محمد، **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده،**ج1، ط1،جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، 1972.
69- عبده ،محمد، **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده،**ج3،ط1، جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، 1972.
70- عبده،محمد، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** ،ج1، ط1، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة،1993 ،
71- عبده،محمد، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده،** ج3، ط1، تحقيق وتقديم محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة،1993 .
72- عمارة، محمد، **الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل،** ط1، دار الشروق، لبنان، 1994.
73- عمارة، محمد، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام،** ط2، دار الشروق، القاهرة،1988.
74- عمارة،محمد، **عبد الرحمن الكواكبي شهيد الحرية ومجدد الإسلام،** ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة،1984.
75- عمارة،محمد،**الإمام محمد مجدد الدنيا بتجديد الدين،**(د.ط)، دار الوحدة للطباعة والنشر، لبنان،1985.

76- فريد بك، محمد، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط1، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، لبنان،1981.
77- القاضي، محمد،صولة، عبد المجيد، **الفكر الإصلاحي عند العرب في عصر النهضة**،(د.ط)، دار الجنوب للنشر، تونس، 1992.
78- قيالي،حسن،**الحركة القومية العربية بعيون عثمانية1908-1918**،ترجمة فاضل جكتر،ط1،قدمس للنشر والتوزيع،سورية،2003.
79- الكواكبي،عبد الرحمن، **أم القرى ، مؤتمر النهضة الإسلامية الأول**،ط1، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، سورية،2002.
80- الكواكبي،عبد الرحمن،**طبائع الاستبداد**،(د.ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2000.
81- كوثراني، وجيه، **مختارات سياسية من مجلة المنار**،ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان،1980.
82- كوثراني، وجيه،**الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا**،ط1، دار الطليعة، بيروت،1996.
83- كوثراني، وجيه،**مشروع النهوض العربي أو أزمة الانتقال من الاجتماع السلطاني إلى الاجتماع الوطني**،ط1،دارالطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1995.
84- كوثراني،وجيه،**الفقيه والسلطان**،ط2،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت 2001 .
85- كوثراني،وجيه،**السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام**،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان،1988.
86- الكيالي،عبد الوهاب وآخرون،**موسوعة الـسياسة** ،ج3،ط3، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1985.
87- الكيالي،عبد الوهاب وآخرون،**موسوعة الـسياسة** ،ج5،ط3، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1985.
88- الكيالي،عبد الوهاب وآخرون،**موسوعة الـسياسة**، ج1،ط3، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1985.
89- الكيالي،عبد الوهاب وآخرون،**موسوعة الـسياسة**، ج4،ط3، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1985.
90- لوتسكي، **تاريخ الأقطار العربية**،ط7، دار الفارابي، لبنان، 1980.
91- مصطفى،احمد عبد الرحيم، **في أصـول التـاريخ العثمـاني**، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003.

92- المحافظة،علي، الاتجاهات **الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 - 1914**، ط2، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.
93- المراكشـي ، محمـد صالح،**تفكيـــر محمـد رشيـد رضا من خلال مجلـة المنــار1898-1935**،(د.ط)، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس – الجزائر،1985.
94- المراكشي، محمد صالح،**قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصـر** ، (د.ط) ،الدار التونسية للنشر، تونس، 1992
95- المراكشي،محمد صالح، **الإيديولوجيـة والحداثـة عند رواد الفكر السلفي**،(د.ط)، دار المعارف للطباعة والنشر، تونـس،1995.
96- معاليقي،منذر، **معالم الفكر العربي في عصر النهضة**،(د.ط)، دار اقرأ، بيروت، (د.ت).
97- موسى،سليمان، **الحركة العربية1908-1924**، ط3، دار النهار للنشر، لبنان،1986.
98- موسى،منير،**الفكر العربي في العصر الحديث**،(د.ط)، دار الحقيقة،لبنان، (د.ت).
99- نصار، ناصيف،**تصورات الأمة المعاصرة.دراسة تحليلة لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر**،ط2، دار أمواج، بيروت،1994.
100- نعيم،بلال،**الفكر الاسلامي بين النهضة والتجديد**،ط1،دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان،2004.
101- يوسف،السيد،**رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف**،ط1، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة،2000.

ب/ مقـــالات:

1- الأفغاني، سعيد،" **سبب خلع الـسلطان عبـد الحميـد**"،مجلـة العربـي، العدد 16،(تونس، ديسمبر1972).
2- البستاني،" **رأي العالم الاسلامي الكبير السيد رشيد رضا منـشئ مجلـة المنار** "مجلة المنار، م17،ج4 (القاهرة، 30 ربيـع الآخـر 1332هـ ـ 27، مارس 1917).
3- بشور، معن،"**الإسـلام والفكـر العروبـي المعاصـر**"،مجلـة المنـابر السنة الخامسة، العدد49(لبنان،نيسان،1990).

4- بن عيسى، حنفي،" **تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر**"،مجلة الثقافة،السنة السابعة، العدد38،(الجزائر،أبريل-ماي1977).
5- حرب،محمد " **موئيز كوهين يهودي عثماني مـن قـادة الطورانيـة**"، مجلة العربي، العدد282،(الكويت ، ماي1982).
6- حسين ،عبد ا احمد، "**السلطان عبد الحميد طاغية وليس خليفة "،** مجلة العربي، العدد 178،(الكويت، سبتمبر1973).
7- الخطيب ، محب الدين، " **مذكرات محب الدين الخطيب**"، مجلة الثقافة،السنة الثانية، العدد 12 ،(الجزائر، جانفي 1972).
8- الخطيب ، محب الدين، "**مذكرات محب الدين الخطيب**"،مجلة الثقافة، السنة الثالثة، العدد 13 ،(الجزائر، فيفري،مارس 1973).
9- الخطيب ، محب الدين، "**مذكرات محب الدين الخطيب**"،مجلة الثقافة، السنة الثالثة، العدد 15 ،(الجزائر، جوان،جوليت 1973).
10- الخطيب ، محب الدين، "**مذكرات محب الدين الخطيب**"،مجلة الثقافة، السنة الثانية، العدد 10 ،(الجزائر، سبتمبر 1972).
11- رضا،محمد رشيد،" **إحدى الكبر وكبرى العبر** "مجلـة المنـار، م12،ج4 (القاهرة، 29 ربيع الآخر 1327هـ ،19 ماي 1909م).
12- رضا،محمد رشيد،" **آراء الخواص في المسألة العربية**" مجلـة المنـار، م19،ج3(القاهرة، سلخ شوال 1334هـ ،29 أغسطس 1916م).
13- رضا،محمد رشيد،" **أرباب الأقلام في بلاد الشام والمـشروع الأصـفر** " مجلة المنار، م14،ج9 (القاهرة، 30 رمضان 1329هـ ،23 سبتمبر(ايلـول) 1911م).
14- رضا،محمد رشيد،" **اصطلاحات كتاب العصر(التعصب)** "مجلـة المنـار، م1،ج3 (القاهرة، 7 ذو القعدة 1315هـ ،1 مارس 1898م).
15- رضا،محمد رشـيد،" **إعـادة مجـد الإسـلام** "مجلـة المنـار، م3،ج4 (القاهرة، غرة ذي الحجة 1318هـ ،1 أفريل 1900م).
16- رضا،محمد رشيد،" **الإتحاد والاقتصاد** " مجلة المنار، م22،ج1(القـاهرة، ربيع الأول 1339هـ ،ديسمبر 1920م).
17- رضا،محمد رشـيد،" **الاحتفـال لتـذكار تأسـيس الدولـة العثمانيـة** " مجلة المنار، م6،ج22 (القاهرة، 16 ذي القعدة 1321هـ ،3 فيفري 1904م).
18- رضا،محمد رشيد،" **الإصلاح الأهم المقـدم فـي المملكـة العثمانيـة** " مجلة المنار،م12،ج1(القاهرة،30 المحـرم 1327هـ ـ،21فبرايـر(شـباط) 1909م).

19- رضا،محمد رشيد،" **الإصلاح اللامركزي في البلاد العربية واتفاق الترك مع العرب** "مجلة المنار، م16،ج10(القاهرة، 30 رمضان 133هـ،1 سبتمبر 1913م).
20- رضا،محمد رشيد، " **الإصلاح المطلوب** "مجلة المنار، م1،ج38 (القاهرة، 26 رجب 1316هـ ،ديسمبر 1898م).
21- رضا،محمد رشيد،" **الاصلاح والاتفاق بين العرب والاتحاديين** " مجلة المنار، م16،ج8 (القاهرة، 29 شعبان 1331هـ ،2 اغسطس 1913م).
22- رضا،محمد رشيد،" **الإصلاح والإسعاد على قدر الاستعداد** "مجلة المنار، م4،ج18 (القاهرة، 16 شعبان 1319هـ ،28 نوفمبر 1901م).
23- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب التركي الجديد** " مجلة المنار، م23،ج9(القاهرة، ربيع الأول 1341هـ ،19 نوفمبر1922م).
24- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب الخطروجمعية الاحمرين الدم والذهب**" مجلة المنار، م16،ج2(القاهرة، 29 صفر 1331هـ ،6 فيفري 1913م).
25- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب الديني والسياسي والاجتماعي في الجمهورية التركية**" مجلة المنار،م25،ج4 (القاهرة،30 رمضان 1342هـ ، 4 ماي 1924م).
26- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب العثماني الميمون** "مجلة المنار، م12،ج9 (القاهرة، 30 رمضان 1327هـ ،14 أكتوبر 1909م).
27- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب العثماني الميمون ، وخلع عبد الحميد. رأي جرائد مسلمي الهند فيه** " مجلة المنار، م12،ج4 (القاهرة، ربيع الآخر 1327هـ ،مايو 1909م).
28- رضا،محمد رشيد،" **الانقلاب العثماني الميمون، ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبد الحميد خان** "مجلة المنار، م12،ج6 (القاهرة، جمادي الآخر 1327هـ ، يوليو 1909م).
29- رضا،محمد رشيد،" **الترك والعرب-2-** "مجلة المنار، م3،ج9 (القاهرة، غرة صفر 1318هـ ،29 ماي 1900م).
30- رضا،محمد رشيد،" **الجامعة الاسلامية** "مجلة المنار، م10،ج3 (القاهرة، ربيع الاول 1325هـ ،12 ماي 1907م).
31- رضا ،محمد رشيد" **الجامعة الاسلامية** "مجلة المنار، م15،ج2 (القاهرة، 2 سلخ المحرم 1330هـ ،2 يناير 1912م).
32- رضا،محمد رشيد،" **الجامعة الإسلامية وآراء الكتاب فيها** "مجلة المنار، م2،ج22 (القاهرة،ربيع الثاني 1317هـ ،12 أغسطس 1899م).

33- رضا،محمد رشيد،" **الجامعتان الإسلامية والعثمانية** "مجلة المنار، م15،ج10(القاهرة، 30 شوال 1330هـ ،11 أكتوبر 1912م).
34- رضا،محمد رشيد،" **الجمع بين مسألة الذكران والإناث في المدارس ومسألة التجديد والتجدد** " مجلة المنار، م30،ج2 (القاهرة، صفر 1348هـ ، يوليو 1929م).
35- رضا،محمد رشيد**،" الجمعيات الإتحادية وتكوين العصبية التركية"** مجلة المنار، م19،ج9(القاهرة، 30 ربيع الآخر 1335هـ،22 فيفري 1917م).
36- رضا،محمد رشيد،" **الجنسيات في المملكة العثمانية** "مجلة المنار، م17،ج7(القاهرة، سلخ رجب 1332هـ ،23 يونيو 1913م).
37- رضا،محمد رشيد،" **الجنسية التركية وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريا"** مجلة المنار، م19،ج2(القاهرة، 15 رمضان 1334هـ ،15 يوليو 1916م).
38- رضا،محمد رشيد،" **الجنسية والدين الإسلامي**"مجلة المنار، م2،ج21 (القاهرة، 28 ربيع الأول 1317هـ ،5 أغسطس (آب) 1899م).
39- رضا،محمد رشيد،" **الحقائق الجلية في المسألة العربية (مقالة للعبرة والتاريخ** "مجلة المنار، م22،ج6(القاهرة، 29 رمضان 1339هـ ، 6يونيو1921م).
40- رضا،محمد رشيد،" **الخطبة الرئيسية في ندوة العلماء بلكنهوء الهند لصاحب المنار** "مجلة المنار، م15،ج8 (القاهرة، 30 شعبان 1330هـ ، 13أغسطس 1912م).
41- رضا،محمد رشيد،" **الخلافة أو الترك والعرب**"مجلة المنار، م7،ج22 (القاهرة، غرة محرم الحرام 1322هـ ،8 مارس(آذار)1904م).
42- رضا،محمد رشيد،" **الدولة العلية ومكدونية،ورأي في الإصلاح** " مجلة المنار، م6،ج11(القاهرة، غرة جمادي الآخرة 1321هـ ، 24 أغسطس(آب) 1903م).
43- رضا،محمد رشيد،" **السيد عبد الحميد الزهراوي** "مجلة المنار، م19،ج3(القاهرة، سلخ شوال 1334هـ ،29 أغسطس 1916م).
44- رضا،محمد رشيد،" **الشريف حسين ملك الحجاز السابق وفاته والعبرة من ترجمته** "مجلة المنار، م31،ج9(القاهرة،المحرم 1350هـ ،يونيه 1931م).
45- رضا،محمد رشيد،" **الشعر والشعراء** "مجلة المنار، م1،ج11 (القاهرة، 11 المحرم 1316هـ ،يونيو 1898م).

46- رضا،محمد رشيد،" **العرب والتـرك- 1-** "مجلـة المنـار، م12،ج11 (القاهرة، ذو القعدة 1327هـ ،ديسمبر 1909م).
47- رضا،محمد رشيد،" **العـرب والتـرك-4-** "مجلـة المنـار، م12،ج12 (القاهرة، سلخ ذي الحجة 1327هـ ،11 يناير(كانون الآخر 1910م).
48- رضا،محمد رشيد،" **المؤتمر العربي بباريس وحزب اللامركزية بمـصر**" مجلة المنار، م16،ج5(القاهرة، 29 جمادي الأولى1331هـ ، مايو 1913م).
49- رضا،محمد رشيد،" **الماسون ومجلة دين ومعيـشت** " مجلـة المنـار، م14،ج4 (القاهرة، 3 ربيع الآخر 1329هـ ،29 ابريل 1911م).
50- رضا،محمد رشيد،" **المدارس الوطنية في الديارالمصرية**"مجلـة المنـار، م1،ج15 (القاهرة، 09 صفر1316هـ ،يوليو 1898م).
51- رضـــا،محمد رشـــيد،" **المـــسألة الـــشرقية-2-**"مجلـــة المنـــار، م14،ج11(القاهرة،30 ذي القعدة1329هـ ،21نوفمبر(تشرين الثاني) 1911م).
52- رضا،محمد رشيد،" **المسألة العربية عنـد الاتحـاديين**" مجلـة المنـار، م16،ج4(القاهرة، 29 ربيع الآخر 1331هـ ،7 أفريل 1913م).
53- رضا،محمد رشيد،" **المسألة العربية(مقالة للتـاريخ)** " مجلـة المنـار، م20،ج1(القاهرة، 11 شوال 1335هـ ،30 يوليو 1917م).
54- رضا،محمد رشيد،" **المسألتان الشرقية والـصهيونية** " مجلـة المنـار، م17،ج4(القاهرة، 30 ربيع الآخر 1332هـ ،27 مارس 1914م).
55- رضا،محمد رشيد،" **المشروع الحميدي الأعظم** "مجلة المنـار، م3،ج14 (القاهرة، 21 ربيع الأول 1318هـ ،18 يوليه(تموز) 1900م).
56- رضا،محمد رشيد،" **المشروع الحميدي الأعظم** "مجلة المنـار، م3،ج15 (القاهرة، غرة ربيع الأول 1318هـ ،28 يوليو 1900م).
57- رضا،محمد رشيد،" **الملـك فيـصل- العبـرة بحياتـه ومماتـه-1-** " مجلة المنار، م33،ج6(القاهرة، 11 رجب 1352هـ ،31 أكتوبر 1933م).
58- رضا،محمد رشيد،" **الملـك فيـصل- العبـرة بحياتـه ومماتـه-2-** " مجلة المنار، م33،ج7(القاهرة، 12 شعبان 1352هـ ،30 نوفمبر 1933م).
59- رضا،محمد رشيد،" **النظـام الأساسـي لجمعيـة الـدعوة والإرشـاد** " مجلة المنار، م14،ج2 (القاهرة، 30 صفر 1329هـ ،1 مارس 1911م).
60- رضـــا،محمد رشـــيد،" **الوثـــائق الرســـمة للمـــسألة العربيـــة** " مجلة المنار، م23،ج8(القاهرة، 29 صفر 1341هـ ،2 أكتوبر 1922م).
61- رضــا،محمد رشــيد،" **الوحــدة العربيــة** "مجلــة المنــار، م3،ج6 (القاهرة، غرة محرم الحرام 1318هـ ،30 أفريل 1900م).

62- رضـــا،محمد رشــيد،" **الوهــابيون والحجــاز** "مجلـــة المنـــار، م25،ج10(القاهرة، 30 شعبان 1343هـ ،25 مارس 1925م).
63- رضا،محمد رشيد،" **إلى إخواني الكرام مسلمي سوريا**" مجلـة المنـار، م17،ج12(القاهرة، سلخ ذي الحجة 1332هـ ،18 نوفمبر 1914م).
64- رضا،محمد رشيد،" **اليهود في فرنسا وفي مصر** "مجلة المنـار، م1،ج2 (القاهرة، 29 شوال 1315هـ ،فبراير 1898م).
65- رضا،محمد رشيد،" **أنبـاء عـن العـالم الإسـلامي** " مجلـة المنـار، م28،ج8(القاهرة، 30 ربيع الآخر 1346هـ ،26 اكتوبر1927م).
66- رضا،محمد رشيد،" **انتقـاد المنـار لكتـاب خلافـت حاكميـت مليـه**" مجلة المنار، م24،ج9(القاهرة، 29 المحرم 1342هـ ،11 ديسمبر 1923م).
67- رضا،محمد رشيد،" **انتقاد لائحة الإصلاح البيروتيـة** " مجلـة المنـار، م16،ج4(القاهرة، 29 ربيع الآخر 1331هـ ،7 أفريل 1913م).
68- رضا،محمد رشـيد،" **بـاب لأخبـار والآراء** "مجلـة المنـار، م12،ج9 (القاهرة، رمضان 1327هـ ،أكتوبر 1909م).
69- رضا،محمد رشـيد،" **بحـث فـي الخـلاف** "مجلـة المنـار، م13،ج9 (القاهرة، سلخ رمضان 1328هـ ،3 أكتوبر 1910م).
70- رضا،محمد رشـيد،" **بيـان حـزب اللامركزيـة الإداريـة العثمـاني** " مجلة المنار، م16،ج3 (القاهرة، ربيع الاول 1331هـ ،8 مارس 1907م).
71- رضا،محمد رشيد،" **بيان حزب اللامركزية والإصلاح في الولايات العربية** " مجلة المنار، م16،ج11(القاهرة، 29 شوال 1331هـ ،30 سبتمبر 1913م).
72- رضا،محمد رشيد،" **بيـان للامـة العربيـة مـن حـزب اللامركزيـة** " مجلة المنار، م16،ج9(القاهرة،30 ذي القعدة 1331هـ،30 اكتوبر 1913م).
73- رضا،محمد رشيد،" **تتمـة سـيرة الكـواكبي** "مجلـة المنـار، م5،ج7 (القاهرة، غرة ربيع الثاني 1320هـ ،7 يوليو 1902م).
74- رضـا،محمد رشـيد،" **تجديـد جهـاد المنـار بينـه وبـين قرائـه** " مجلة المنار، م34،ج10(القاهرة، 30 محرم 1354هـ ،3 ماي 1935م).
75- رضـا،محمد رشـيد،" **تحـذير العـرب مـن مقاصـد الـصهيونيين**" مجلة المنار، م17،ج9(القاهرة، سلخ رمضان 1332هـ،23أغسطس 1914م).
76- رضا،محمد رشيد،" **تعليـق المنـار علـى خطبـة مـصطفى كمـال** " مجلة المنار،م23،ج10(القاهرة،29 ربيع الآخر1341هـ،18ديسمبر 1922م).
77- رضـ ـا،محمد رشـ ـيد،" **ثـ ـورة فلـ ـسطين- أسـ ـبابها -1-** " مجلة المنار، م30،ج5(القاهرة،29 جمادي الأولى1348هـ،1نوفمبر 1929م).

78- رضا،محمد رشـيد،" **جمـال باشـا الـسفاك** "مجلـة المنـار،م19،ج2 (القاهرة، 15 رمضان 1334هـ ،15 يوليو 1916م).
79- رضا،محمد رشيد،" **جمعية الشورى العثمانية**"مجلـة المنـار، م9،ج12 (القاهرة، غرة ذي الحجة 1324هـ ،13 فبراير(شباط) 1907م).
80- رضا،محمد رشيد،" **حقـائق فـي عـداوة ملاحـدة التـرك للإسـلام** " مجلة المنار، م29،ج6(القاهرة، 30 ربيع الآخر1347هـ ،14أكتوبر 1928م).
81- رضا،محمد رشيد،" **حكم الشرع فيمن يساعد اليهود على امتلاك فلسطين ببيـــع أراضـــيها أو غيـــر ذلـــك** " مجلـــة المنـــار، م33،ج4 (القاهرة،ربيع الأول 1352هـ ،يونيه 1933م).
82- رضا،محمد رشيد،" **خاتمة سنة المنار الرابعة** "مجلـة المنـار، م4،ج24 (القاهرة، غرة ذي الحجة 1319هـ ،11 مارس1902م).
83- رضـــا،محمد رشـــيد،" **خبـــر واعتبـــار** "مجلـــة المنـــار، م1،ج6 (القاهرة، 28 ذو القعدة 1315هـ ،9 أبريل 1898م).
84- رضا،محمد رشيد،" **خطبة على أعضاء المجلـس العمـومي ببيـروت** " مجلة المنار، م12،ج2 (القاهرة، 29 صفر 1327هـ ،22 مارس1909م).
85- رضا،محمد رشيد،" **خطبتنـا الـسياسية فـي منـى** " مجلـة المنـار، م20،ج6(القاهرة، 30 ربيع الأول 1336هـ ،13 يناير 1918م).
86- رضـــا،محمد رشـــيد،" **دعـــوى الخلافـــة** "مجلـــة المنـــار، م6،ج24 (القاهرة، 16 غرة الحجة 1321هـ ،3 مارس 1904م).
87- رضا،محمد رشـيد،" **رحلـة الحجـاز-3-** " مجلـة المنـار، م19،ج9 (القاهرة، 30 ربيع الآخر 1335هـ ،22 فيفري 1917م).
88- رضا،محمد رشيد،"**رد جريدة القبلة على الحقائق الجليـة فـي القـضية العربية** "مجلة المنار، م22،ج9 (القاهرة،3محرم 1340هـ،2 أكتوبر 1921م).
89- رضا،محمد رشيد،" **رسائل الطعـن فـي الوهابيـة** " مجلـة المنـار، م24،ج4(القاهرة، 29 شعبان 1341هـ ،16 أفريل 1923م).
90- رضـا،محمد رشـيد،" **رفيـق العظـم وترجمتـه** " مجلـة المنـار، م26،ج4(القاهرة، المحرم 1344هـ ،أغسطس 1925م).
91- رضا،محمد رشيد،" **سخاء الـسلطان علـى رجـال الدولـة والمـابين**" مجلة المنار، م4،ج16 (القاهرة، 16 رجب 1319هـ ،29 أكتوبر 1901م).
92- رضا،محمد رشيد،" **عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الـشرقية- 3-**" مجلة المنار، م16،ج2(القاهرة، 29 صفر 1331هـ ،6 فيفري 1913م).

93- رضا،محمد رشيد،" **عيد الأمـة العثمانيـة بنعمـة الدسـتور والحريـة** "<u>مجلة المنـار</u>، م11،ج6 (القـاهرة، 29 جمـادي الآخـرة 1326هـ ـ، 28 يوليو(تموز) 1908م).
94- رضا،محمد رشيد،" **فاتحة السنة الأولى للمنـار**"<u>مجلـة المنـار</u>، م1،ج1 (القاهرة، شوال1315هـ ،فبراير 1898م).
95- رضا،محمد رشيد،" **فاتحة السنة الثانية عشرة** "<u>مجلة المنـار</u>، م12،ج1 (القاهرة، 30 المحرم 1327هـ ،21 فبراير(شباط) 1909م).
96- رضا،محمد رشيد،" **فاتحـة الـسنة الـسابعة عـشرة**" <u>مجلـة المنـار</u>، م17،ج1(القاهرة، المحرم 1332هـ ،ديسمبر 1913م).
97- رضا،محمد رشيد،" **فاتحة المجلد الرابع والثلاثين من المنار**" <u>مجلـة المنار</u>، م34،ج1(القاهرة، 29 المحرم 1353هـ ،مايو 1934م).
98- رضـا،محمد رشـيد،" **فتـاوى المنـار** " <u>مجلـة المنـار</u>، م14،ج3 (القاهرة، 29 ربيع الأول 1329هـ ،30 مارس 1911م).
99- رضا،محمد رشيد،" **فتاوى المنار** " <u>مجلة المنار</u>، م16،ج12 (القاهرة، 29 ذي الحجة 1331هـ ،29 نوفمبر 1913م).
100- رضـا،محمد رشـيد،" **فتـاوى المنـار،فتوى اللـبس والـزي** " <u>مجلة المنار</u>، م26،ج7(القاهرة، جمادى الآخرة 1344هـ ،14 يناير 1926م).
101- رضا،محمد رشيد،" **فـتح اليهـود لبـاب الفتنـة فـي القـدس** " <u>مجلة المنار</u>، م29،ج6(القاهرة، ربيع الآخر 1347هـ ،14 أكتوبر 1928م).
102- رضا،محمد رشيد،" **قرارات المؤتمر السوري العربي** "<u>مجلة المنار</u>، م16،ج9 (القاهرة، 30 رمضان 1331هـ ،1 سبتمبر 1913م).
103- رضا،محمد رشيد،" **كيف تنال الامة حقوقها** "<u>مجلة المنار</u>، م13،ج5 (القاهرة، سلخ جمادي الأولى 1328هـ ،يونيو (حزيران) 1910م).
104- رضا،محمد رشيد،" **لبنان الكبير وطن مـسيحي** "<u>مجلـة المنـار</u>، م33،ج2(القاهرة، ذو الحجة 1351هـ ،ابريل 1933م).
105- رضا،محمد رشيد،" **مؤتمر الصلح بين الترك وأوربا في لـوزان** " <u>مجلة المنار</u>،م24،ج2(القاهرة،30جمادي الآخرة1341هـ،16 فبراير 1923م).
106- رضـا،محمد رشـيد،" **مـا لابـد منـه** "<u>مجلـة المنـار</u>، م1،ج30 (القاهرة، 24 جمادي الأولى 1316هـ ،أكتوبر 1898م).
107- رضا،محمد رشيد،" **ما يمدح وينتقد على المصلحين البيـروتيين**" <u>مجلة المنار</u>، م16،ج4(القاهرة، 29 ربيع الأول 1331هـ ،7 أفريل 1913م).

108- رضا،محمد رشيد،" **مآثر مولانـا الخليفـة والـسلطان الأعظـم** " مجلة المنار، م3،ج8 (القاهرة، 21 محرم 1318هـ ،20 مايو 1900م).
109- رضا،محمد رشيد،" **محاورة بين عالم سياسي وتاجر ذكـي فـي المركزيـــة واللامركزيـــة** " مجلـــة المنـــار، م16،ج5 (القاهرة، 29 جمادي الأولى1331هـ ، 7 مايو1913م).
110- رضا،محمد رشيد،" **محاورة في دعوى ضـرر الـدين والجامعـة الإسلامية** "مجلة المنار، م1،ج16 (القاهرة،16 صفر1316هـ ،يوليو 1898م).
111- رضا،محمد رشـيد،" **مدنيـة العـرب** "مجلـة المنـار، م3،ج13 (القاهرة، 11 ربيع الأول 1318هـ ،8 يولية(تموز) 1900م).
112- رضا،محمد رشيد،" **مـذكرة لمـؤتمر الخلافـة** " مجلـة المنـار، م27،ج2(القاهرة، 29 شوال 1344هـ ،13 مايو 1926م).
113- رضا،محمد رشيد،" **مراقبو الجرائد في سـوريا** "مجلـة المنـار، م1،ج20 (القاهرة، 14 ربيع الأول 1316هـ ،أغسطس 1898م).
114- رضا،محمد رشيد،" **مـشائخ الطـرق** "مجلـة المنـار، م1،ج21 (القاهرة، 21 ربيع الأول 1316هـ ،أغسطس 1898م).
115- رضا،محمد رشيد،" **مظاهرة الصهيونيين لتحقيـق أمـانيهم فـي فلسطين**"مجلةالمنار،م20،ج4(القاهرة،29المحرم1336هـ ،15نوفمبر 1917م).
116- رضا، محمـد رشـيد،"**مقدمـة الطبعـة الثانيـة للمجلـد الأول من المنار**" مجلة المنار، م1،ج1(القاهرة، شوال1315هـ ،فبراير 1898م).
117- رضا،محمد رشيد،" **ملك اليهـود ومـسيحهم والمـسيح الحـق** " مجلة المنار، م30،ج7(القاهرة، 30 شعبان 1348هـ ،30 يناير 1929م).
118- رضـــا،محمد رشـــيد،"**منـــافع الأوربيـــين ومـــضارهم في الشرق- 3-** "مجلة المنار، م10،ج4 (القاهرة، ربيع الآخر 1325هـ ، 11 يونيو(حزيران) 1907م).
119- رضا،محمد رشيد،" **ويل للعرب من شر اقتـرب** " مجلـة المنـار، م33،ج7(القاهرة، ذو الحجة 1352هـ ،أبريل 1934م).
120- رضا،محمد رشيد،"**الإصلاح الديني المقترح على مقـام الخلافـة الإسلامية** "مجلة المنار، م1،ج40 (القاهرة،10شعبان1316هـ ،يناير 1899م).
121- رضـــا،محمد رشـــيد،"**الدســـتور وجمعيـــة الاتحـــاد والترقـــي وســـائر الجمعيـــات** " مجلـــة المنـــار، م12،ج3 (القاهرة، 30 ربيع الأول 1327هـ ،21 أفريل1909م).

122- رضا،محمد رشيد،"**حياة أمة بعد موتها،جمعية اليهود الـصهيونية**" مجلة المنار، م4،ج21 (القاهرة، 16 شوال 1319هـ ،29 يناير 1902م).
123- الريماوي ، سهيلة **حزب اللامركزيـة الإداريـة العثمـاني**،مجلـة دراسات تاريخية ،العددان 15-16،(سوريا،آيار1984).
124- الريماوي، سهيلة،" **تطور مفهوم اللامركزية عند العرب العثمانيين 1900-1918**"،مجلـــــة دراســـــات تاريخية،العـــــددان13و14، (سوريا،تشرين أول (أكتوبر)1983).
125- الريماوي، سهيلة،" **جمعية الجامعة العربية"**،مجلة دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر،العددان 39و40، (سوريا،كانون الأول 1991).
126- الريماوي، سهيلة،" **صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850-1908.من الجمعيات العلمية إلى الجمعيات السياسية**"، مجلة دراسات تاريخية ، العدد7،(سوريا، كانون الثاني-يناير1982).
127- سالم، احمد علي، " **الإصلاح السياسي عند الشيخ رشيد رضا بين بناء دولة إسلامية نموذجية وإقامة جامعة إسلامية** "،مجلة الكلمة، السنة السادسة، العدد24، (لبنان، صيف1999).
128- الشنوفي، المنصف،" **علائق رشيد رضا صاحب مجلة المنار مـع التونسيين 1898-1935**"،حوليات الجامعة التونسية،العدد4،(تونس، 1967).
129- صالحية، محمد عيسى،"**الأيام الأخيرة للـسلطان عبـد الحميـد**"، مجلة العربي،السنة التاسعة والعشرين، العدد329،(الكويت،ابريل1986).
130- العظـم ، رفيـق، " الجامعـة الاسـلامية " مجلـة المنـار، م10،ج8(القاهرة،شعبان 1325هـ،18 أكتوبر 1907م).
131- العظم،رفيق، " **الانقلاب الميمون وأثر السلطان عبد الحميـد فـي الدولة ومقاومته للدستور**" مجلـة المنـار ،م12،ج5(القـاهرة،30 جمـادي 1327هـ، 18 يونيو(حزيران) 1909).
132- عمارة، محمد، " **الجامعـة العربيـة. . .والجامعـة الـسلامية**"، مجلة المستقبل العربي، السنة الثالثة، العدد24،(لبنان، فبراير1981).
133- كوثراني ،وجيه، " **العثمانية من السلطنة إلى الدولة القومية** "، مجلة الفكر العربي المعاصر،العدد 3،(لبنان، تموز1980).
134- مكحل،غسان، " **الشيخ محمد رشيد رضا لسان حركة النهضة وحامل لوائها** "، مجلة المنابر، السنة الثانية، العدد6، حزيران(لبنان،(يونيو)1987).

135- نظمي،وميض، " **ملامح من الفكر العربـي فـي عـصر اليقظـة وعلاقته بفكرة القومية العربية** "،مجلة المستقبل العربـي، الـسنة الـسادسة، العدد52، حزيران(يونيو)1983.

ثانيا: الأجنبية.

1- Dawn. G. Ernest., From Ottomanism to arabism, University of Illinois, USA, 1973.
2- MERAD Ali, L'Islam contemporains, 5me edition, Editions Dahleb, L'Algerie, 1995.
3- Saab HASSAN, The arab Federalists of the Ottoman Empire, Djambatan Amesterdam, 1958.

الفهــارس

أ. فهرس الأعلام

ملاحظة : يشمل هذا الفهرس الأعلام الواردة في الرسالة دون اسم محمد رشيد رضا الذي تكرر كثيرا .

ب - فهرس
الأمــاكن والبلدان

ج - فهرس الأحزاب والجمعيات السياسية

ج

ح

ل

ن

د - فهرس الجرائد والمجلات

فهرس ا واضيع: